الكتاب : التنبيه والإشراف

المؤلف : المسعودي

مصدر الكتاب : موقع الوراق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

ذكر الغرض من هذا الكتاب

قال أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي أما بعد فإنا لما صنفنا كتابنا الأكبر في أخبار الزمان ومن أباده الحدثان من الأمم الماضية والأجيال الخالية والممالك الدائرة، وشفعناه بالكتاب الأوسط في معناه ثم قفوناه بكتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر في تحف الأشراف من الملوك وأهل الدرايات ثم أتلينا ذلك بكتاب فنون المعارف، وما جرى في الدهور السوالف وأتبعناه بكتاب ذخائر العلوم، وما كان في سالف الدهور وأردفناه بكتاب الاستذكار لما جرى في سالف الأعصار ذكرنا في هذه الكتب الأخبار عن بدء العالم والخلق وتفرقهم على الأرض والممالك والبر والبحر والقرون البائدة، والأمم الخالية الدائرة الأكابر كالهند والصين والكلدانيين - وهم السريانيون - والعرب والفرس واليونانيين والروم وغيرهم، وتاريخ الأزمان الماضية والأجيال الخالية والأنبياء وذكر قصصهم وسير الملوك وسياساتهم ومساكن الأمم وتباينها في عبادتها، واختلافها في آرائها وصفة بحار العالم وابتدائها وانتهائها واتصال بعضها ببعض وما لا يتصل منها وما يظهر فيه المد والجزر وما لا يظهر، ومقاديرها في الطول والعرض وما يتشعب من كل بحر من الخلجان ويصب إليه من كبار الأنهار وما فيها من الجزائر العظام وما كان من الأرض براً فصار بحراً، وبحراً فصار براً على مرور الأزمان وكرور الدهور، وما قاله حكماء الأمم في كيفية شبابها وهرمها وعلل

جميع ذلك، والأنهار الكبار ومبادئها ومصابها ومقادير مسافاتها على وجه الأرض من ابتدائها إلى انتهائها، والأخبار عن شكل الأرض وهيئتها وما قالته حكماء الأمم من الفلاسفة وغيرهم في قسمتها، والربع المسكون منها وحدبها وأنجادها وأغوارها وتنازع الناس في كيفية ثباتها وتأثيرات الكواكب في سكانها، واختلاف صورهم وألوانهم وأخلاقهم.

ووصف الأقاليم السبعة وأطوالها وعروضها وعامرها وغامرها ومقادير ذلك، ومجاري الأفلاك وهيئاتها واختلاف حركاتها، وأبعاد الكواكب وجرامها واتصالها وانفصالها وكيفية مسيرها وتنقلها في أفلاكها ومضاداتها إياها في حركاتها ووجوه تأثيراتها في عالم الكون والفساد التي بها قوام الأكوان، وهل أفعالها على المماسة أم على المباينة عن إرادة وقصد أم غير ذلك وكيف ذلك وما سببه؟ وهل حركات الأفلاك والنجوم جميعاً طباع أم اختيار؟ وهل للفلك علة طبيعية فاعلة في الأشياء المعلولة التي هو مشتمل عليها ومحيط بها والنواحي والآفاق من الشرق والغرب والشمال والجنوب. وما على ظهر الأرض من عجيب البنيان، وما قاله الناس في مقدار عمر العالم ومبدئه وغايته ومنتهاه، وعلة طول الأعمار وقصرها وآداب الرياسة وضروب أقسام السياسة المدنية؛ الملوكية منها والعامية، مما يلزم الملك في سياسة نفسه ورعيته. ووجوه أقسام السياسة الديانية، وعدد أجزائها، ولأية علة لابد للملك من دين، كما لابد للدين من ملك. ولا قوام لأحدهما إلا بصاحبه، ولم وجب ذلك وما سببه؟ وكيف تدخل الآفات على الملك، وتزول الدول، وتبيد الشرائع والملل؟ والآفات التي تحدث في نفس الملك والدين، والآفات الخارجة المعترضة لذلك وتحصين الدين والملك، وكيف يعالج كل واحد منهما بصاحبه إذا اعتل من نفسه أو من عارض يعرض له، وماهية ذلك العلاج، وكيفيته وأمارات إقبال الدول. وسياسة البلدان والأديان والجيوش على طبقاتهم ووجوه الحيل والمكايد في الحروب ظاهراً وباطناً، وغير ذلك من أخبار العالم وعجائبه وأخبار نبينا صلّى الله عليه وسلّم ومولده. وما ظهر في العالم من الآيات والكوائن والأحداث المنذرات بظهوره قبل مولده؛ من أخبار الكهان وغيرهم وما أظهر الله سبحانه على يديه من الدلائل والعلامات، وجوامع المعجزات. ومنشئه ومبعثه وهجرته ومغازيه

وسراياه وسواربه ومناسره إلى وفاته، والخلفاء بعده والملوك والغرر من أخبارهم وما كان من الكوائن والأحداث والفتوح في أيامهم، وأخبار وزرائهم وكتابهم إلى خلافة المطيع

وذكرنا من كان في كل عصر من حملة الأخبار، ونقلة السير والآثار، وطبقاتهم من عصر الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من فقهاء الأمصار وغيرهم من ذوي الآراء والنحل والمذاهب والجدل بين فرق أهل الصلاة ومن مات منهم في سنة إلى هذا الوقت المؤرخ. وذكرنا في كتاب نظم الأعلام في أصول الأحكام وكتاب نظم الأدلة، في أصول الملة وكتاب المسائل والملل. في المذاهب والملل تنازع المتفقهين في مقدمات أصول الدين والحوادث التي اختلف فيها آراؤهم وما يذهب إليه من القول بالظاهر وإبطال القياس والرأي والاستحسان في الأحكام إذ كان الله جل وعز قد أكمل الدين وأوضح السبيل وبين للمكلفين ما يتقون في آياته المنزلة وسنن رسوله المفصلة التي زجرهم بها عن التقليد ونهاهم عن تجاوز ما فيها من التحديد، وما اتصل بذلك من الكلام في أصول الفتوى والأحكام؛ العقليات منها السمعيات وغير ذلك من فنون العلوم، وضروب الأخبار؛ مما لم تأت الترجمة على وصفه، ولا انتظمت ذكره.

رأينا أن نتبع ذلك بكتاب سابع مختصر نترجمه بكتاب التنبيه والإشراف وهو التالي لكتاب الاستذكار، لما جرى في سالف الأعصار نودعه لمعا من ذكر الأفلاك وهيئآتها والنجوم وتأثيراتها والعناصر وتراكيبها، وكيفية أفعالها، والبيان عن قسمة الأزمنة وفصول السنة، وما لكل فصل من المنازل والتنازع في المبتدإ به منها. والاصطقصات وغير ذلك والرياح ومهابها وأفعالها وتأثيراتها والأرض وشكلها وما قبل في مقدار مساحتها وعامرها وغامرها والنواحي والآفاق وما يغلب عليها وتأثيراتها في سكانها، وما اتصل بذلك وذكر الأقاليم السبعة وقسمتها وحدودها وما قيل في طولها وعرضها، وقسمة الأقاليم على الكواكب السبعة – الخمسة والنيرين – ووصف الإقليم الرابع وتفضيله على سائر الأقاليم، وما خص به ساكنوه من الفضائل التي باينوا بها سكان غيره منها، وما اتصل بذلك من الكلام في عروض

البلدان وأطوالها، والأهوية وتأثيراتها وغير ذلك وذكر البحار وأعدادها وما قيل في أطوالها وأعراضها واتصالها وانفصالها ومصبات عظام الأنهار إليها وما يحيط بها من الممالك وغير ذلك من أحوالها وذكر الأمم السبع في سالف الأزمان، ولغاتهم وآرائهم. ومواضع مساكنهم وما بانت به كل أمة من غيرها. وما اتصل بذلك ثم نتبع ذلك بتسمية ملوك الفرس الأول، والطوائف، والساسانية على طبقاتهم وأعدادهم ومقدار ما ملكوا من السنين وملوك اليونانيين وأعدادهم، مقدار ملكهم، وملوك الروم على طبقاتهم من الحنفاء، وهم الصابئون والمتنصرة، وعدتهم وجملة ما ملكوا من السنين. وما كان من الكوائن والأحداث العظام الديانية والملوكية في أيامهم وصفة بنودهم وحدودها ومقاديرها وما يتصل منها بالخليج وبحري الروم والخزر وما اتصل بذلك من اللمع المنبهة على ما تقدم من تأليفنا فيما سلف من كتبنا وذكر الأفدية بين المسلمين والروم إلى هذا الوقت وتواريخ الأمم، وجامع تأريخ العالم والأنبياء والملوك من آدم إلى نبينا محمد صلّى الله عليه وسلّم. وحصر ذلك وما اتصل به ومعرفة سني الأمم الشمسية والقمرية وشهورها، وكبسها ونسيئها، وغير ذلك من أحوالها وما اتصل بذلك من التنبيهات على ما تقدم جمعه وتأليفه، وذكر مولد النبي صلّى الله عليه وسلّم ومبعثه وهجرته وعدد غزواته وسراياه وسواربه وكتابه ووفاته والخلفاء بعده والملوك وأخلاقهم وكتابهم ووزرائهم وقضاتهم وحجابهم ونقوش خواتيمهم وما كان من الحوادث العظيمة الديانية والملوكية في أيامهم وحصر تواريخهم إلى وقتنا هذا وهو سنة 345 للهجرة في خلافة المطيع منبهين بذلك على ما قدمنا ذكره من كتبنا

وإنما اقتصرنا في كتابنا هذا على هذه الممالك لعظم ملك ملوك الفرس وتقادم أمرهم، واتصال ملكهم، وما كانوا عليه من حسن السياسة وانتظام التدبير، وعمارة البلاد، والرأفة بالعباد، وانقياد كثير من ملوك العالم إلى طاعتهم وحملهم إليهم الأتاوة والخراج، وإنهم ملكوا الإقليم الرابع؛ وهو إقليم بابل أوسط الأرض وأشرف الأقاليم. وأن مملكتي اليونانيين والروم تتلوان مملكة فارس في العظم والعز، ولما خصوا به من أنواع الحكم والفلسفة والمهن

العجيبة، والصنائع البديعة ولأن مملكة الروم إلى وقتنا هذا ثابتة الرسوم متسقة التدبير؛ وإن كان اليونانيون قد دخلوا في جملة الروم منذ احتووا على ملكهم كدخول الكلدانيين – وهم السريانيون سكان العراق – في جملة الفرس الأولى لغلبتهم عليهم.
فأحببنا أن لا نخلي كتابنا هذا من ذكرهم، وإن كنا قد ذكرنا سائر الممالك التي على وجه الأرض وما أزيل منها ودثر، وما هو باق إلى هذا الوقت وأخبار ملوكهم وسياساتهم وسائر أحوالهم فيما سميناه من كتبنا.
على أن نعتذر من سهو إن عرض في تصنيفنا مما لا يسلم منه ما لحقته غفلة الإنسانية، وسهوة البشرية، ثم ما دفعنا إليه من طول الغربة ومن بعد الدار، وتواتر الأسفار طوراً مشرقين وطوراً مغربين كما قال أبو تمام

خليفة الخضر من يربع على وطن ... في بلدة فظهور العيس أوطاني
بالشأم قومي وبغداد الهوى وأنا ... بالرقتين وبالفسطاط إخواني

وكقوله أيضاً

فغربت حتى لم أجد ذكر مشر ... وشرقت حتى قد نسيت المغاربا
خطوبٌ إذا لاقيتهن رددنني ... جريحاً كأني قد لقيت الكتائبا

ونحن آخذون فيما به وعدنا، وله قصدنا. وبالله نستعين، وإياه نسأل التوفيق والتسديد.

ذكر الأفلاك وهيئآتها والنجوم وتأثيراتها
والعناصر وتراكيبها وكيفية أفعالها

فلنبدأ بذكر الفلك الذي نبهنا الله سبحانه عليه، وأشار في نص الكتاب إليه لما فيه من عجائب حكمته ولطائف قدرته وخصائص التدبير وبدائع التركيب التي تدل بعجائب نظمها وغرائب تأليفها على وحدانية مبدعها وأزلية منشئها قال الله جل وعز " لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكلٌّ في فلك يسبحون " أي في دائرة منها يكونون – إذ اسم الفلك يدل على الاستدارة في لغة العرب، والفلك السماء قال الله عز وجل " لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون " قال

المسعودي: وقد تنازع الناس في الفلك ممن سلف وخلف فقال أفلاطون وثامسطيوس والرواقيون وعدة ممن تقدم عصر أفلاطون وتأخر عنه من الفلاسفة إنه من الطبائع الأربع التي هي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة إلا أن الغالب عليه النارية وليست ناريته محرقة إنما هي مثل النار الغريزية في الأبدان، وقال آخرون إنه من النار والهواء والماء دون الأرض

وذهب أرسطاطاليس وأكثر الفلاسفة ممن تقدم عصره وتأخر عنه وغيرهم من حكماء الهند والفرس والكلدانيين إلى أنه طبيعة خامسة خارجة عن الطبائع الأربع ليست فيه حرارة ولا برودة ولا رطوبة ولا يبوسة وأنه جسم مدور كري أجوف يدور على محورين وهما القطبان أحدهما رأس السرطان ومنتهى بنات نعش، من تلقاء نقطة الجنوب، والآخر رأس الجدي وفيه كواكب مثل بنات نعش من تلقاء نقطة الشمال وخط الاستواء في وسط الفلك وهو خط ما بين الشمال والجنوب وأوسع موضع فيه من نقطة المشرق إلى نقطة المغرب وهو منقسم بأربعة أرباع كل ربع منها تسعون درجة على خطين يتقاطعان على مركزه وهو موضع الأرض منه أحد الربعين وهو أحد القطبين نقطة الشمال وبإزائه نقطة الجنوب والربع الثالث نقطة المشرق وبإزائها نقطة المغرب، وهو يدور دوراناً طبيعياً دائماً وبدورانه ودوران الكواكب التي فيه تنفعل الكيفيات وانبسطت الأركان الأربعة وهي النار والماء والهواء والأرض فيتصل ركنان منها وهما النار والهواء بالعلو وركنان منها وهما الماء والأرض بالسفل ثم تتحرك هذه الكيفيات بتحرك الجواهر العلوية والأجسام السمائية على حسب مداراتها ومسيرها وحركاتها وتأثيراتها فيتحرك الركنان الأعليان بتحرك الكيفيات والركنان الأسفلان بتحرك الركنين الأعليين وتهب بذلك الرياح الاثنتا عشرة، فتنشأ السحائب وينزل القطر ويتصل بذلك الآثار العلوية ويتصل بالآثار العلوية الآثار السفلية الموجودة في الحيوان والنبات والبري والبحري. وفي الجواهر والمعادن حتى يكون التدبير في جميع هذه العوالم متسقاً مطرداً، متصلاً بعضه ببعض بالفعل، كامناً بعضه في بعض بالقوة.
حتى تظهر آثار الصنعة، وأمارات الحكمة، ودلائل الربوبية، وترتبط المعلولات بعللها،

وتشهد للصانع بصنعته، وبدائع حكمته.

وجعل عز وجل الفك الأعلى، وهو فلك الاستواء، وما يشتمل عليه من طبائع التدوير، فأولها كرة الأرض يحيط بها فلك القمر ويحيط بفلك القمر فلك عطارد، وبفلك عطارد فلك الزهرة، وبفلك الزهرة فلك الشمس، وبفلك الشمس فلك المريخ، وبفلك المريخ فلك المشتري، وبفلك المشتري فلك زحل وبفلك زحل فلك الكواكب الثابتة، وبفلك الكواكب الثابتة فلك البروج وبفلك البروج فلك الاستواء وهو المحيط بها والمحرك لها.

ومن ذوي المعرفة بعلم الأفلاك والنجوم من بعد فكل الاستواء، وفلك البروج الثابتة فلكاً واحداً؛ لما يرى من تجاذبهما، واتفاق أقطارهما ومراكزهما والأرض في وسط الجميع مركز له كالنقطة في وسط الدائرة والفلك متجاف عنها من حيث ما أحاط بها بميل ما نحو وجهها الذي يكون عليها حيثما كانت وهو أعلى الفلك على سمت رأسك فذلك نصف قطر الفلك الأعلى أخذ منه نصف قطر الأرض، وهو يدور عليها من المشرق إلى المغرب؛ على أوسع موضع فيه على نقطتين وهميتين متقابلتين في جنبي كرته.

إحداهما القطب الشمالي وهو على شمال مستقبل المشرق، والثانية القطب الجنوبي؛ وهو على يمين مستدير المغرب، ويسميان المحورين تشبيها بقطب الرحى ولهذا الفلك نطاق يفصل كرته في متوسط ما بين قطبيه، ويفصل محاذاته كرة الأرض بنصفين. وهذا النطاق يسمى فلك معدل النهار، لاستواء الليل والنهار فيه، ويسمى الفلك المستقيم لاستواء مطالعه ومغاربه، واستقامة مدرجه في أرباع الفلك وما بينها على نظام واحد، وكل جزء من أجزاء هذا النطاق وإن اتسع فإنه كيفما انحدر في بسيطي الكرة إلى المحورين قل عرضه ودق حتى تجتمع أجزاء الفك كلها من فوق الأرض وتحتها في نقطة المحور.

ومن كان تحت هذا النطاق فإنه ينظر المحورين يطوفان على أفق المواضع والفلك يدور منتصباً فوق رأسه.

وأكثر هذه الأفلاك مسيرها من المشرق إلى المغرب موافقة في مسيرها لمسير الفلك الأعلى. ومنها ما يكون مسيره موافقاً لمسير الكواكب من المغرب إلى المشرق، فما كان من الفلك

آخذاً من الشمال إلى الجنوب سمي العرض، وما كان آخذاً من المغرب إلى المشرق سمي الطول.

والأرض من الفلك بمنزلة النقطة من الدائرة بعدها من كل نقطة من النقط الأربع التي ينقسم الفلك عليها بعد واحد، ومن مركزها إلى كل نقطة تسعون درجة، وقطر الدائرة مائة وثمانون درجة وهي تنقسم في نفسها مثل هذه الأربع نقط من الشمال والجنوب والمشرق والمغرب، إلا أنها غير ذات نسبة من الفلك كما أن الفلك لا نسبة له من الدائرة والجرم الذي من نهاية حضيض فلك القمر إلى نهاية العالم في العلو طبيعة خامسة ليست بحارة ولا باردة ولا رطبة ولا يابسة ولا مركبة من شيء من هذه الطبائع الأربع. وهذا الجسم هو الجسم الفلكي، ونهايته مما يلينا أعني كصورة باطن كرة والعناصر أربعةٌ نار وهواء وماء وأرض، فاثنان من هذه العناصر حاران هما النار والهواء، وهما يتحركان بطبعهما صعداً إلى أن أسبقهما إلى العلو النار؛ فهي طافية على الهواء، والنار يابسة والهواء رطب واثنان باردان وهما الماء والأرض وهما يتحركان بطبعهما سفلاً عند حركتهما، إلا أن أسبقهما إلى السفل الأرض، والأرض يابسة. والماء رطب.

فقد حصل بما ذكرنا أن الحرارة تفعل الحركة صعداً، وأن البرد يفعل الحركة سفلا، وأن اليبس يفعل السبق إلى الموضع الأخص بكر واحد منهما وأن الرطوبة تفعل الثقل في الحركة، فما كانت حركته صعداً سموه خفيفاً، وما كانت حركته سفلاً سموه ثقيلاً.

وأنه لا فراغ في جرم العالم، وأن الأجسام إذا حميت احتاجت إلى مواضع أوسع من المواضع التي كانت فيها، فما تحدثه الحرارة فيها من تباعد نهاياتها عن مركزها، وأنها إذا بردت صارت بضد ذلك لأن البرد يفعل تقارب نهايات الأجسام من مركزها، فتحتاج إلى مواضع أصغر من مواضعها وأن الحرارة والبرودة تتبادل المواضع فإذا كان ظهر الأرض حاراً كان باطنها بارداً، على ما تكون عليه السراديب وغيرها من أعماق الأرض وأعوارها في نهار الصيف من البرد، وإذا كان ظاهرها بارداً كان باطنها حاراً على ما عليه السراديب وغيرها

في ليالي الشتاء، وأن الحرارة ترفع من كل جسم رطب لطيفه ولا أولا حتى تجف أرضيته فيتحجر أو تفنى جملته وأن الشمس إذا كان مسيرها في الميل الشمالي عن معدل النهار حمي الهواء في ناحية الشمال وبرد الهواء الجنوبي: فيجب من ذلك أن ينقبض الهواء الجنوبي ويحتاج إلى موضع أصغر، ويتسع الهواء الشمالي، ويحتاج إلى موضع أوسع، إذ لا فراغ في العالم، فبالواجب أن يكون أكثر رياح الصيف عند من هو في ناحية الشمال شمالية لأن الهواء من عندهم يتحرك إلى ناحية الجنوب؛ إذ ليس الريح شيئاً غير حركة الهواء وتموجه، وكذلك يجب أن يكون أكثر رياح الشتاء جنوبية لتحرك الهواء إلى ناحية الشمال لمسير الشمس في الشتاء في الميل الجنوبي وما أبين للحس من مسير الشمس في الشتاء في الجنوب وفي الصيف في الشمال، لما نراه في الشتاء من طول ظلال المظلات، وبعد جرم الشمس في سمت رءوسنا من خط نصف النهار قال المسعودي: وفيما ذكرنا من قسمة الأفلاك وتراكبها وما يلينا من الكواكب – النيرين والخمسة – تنازع بين الأسلاف والأخلاف.

من ذلك ما ذكره أبطلميوس القلوذي في كتاب المجسطي، وفي كتابه في الهيئة أنه لم يظهر له أن الزهرة وعطارد فوق الشمس أو دونها.

وحكى يحيى النحوي وهو المعروف بالحريص الاسكندراني في كتابه الذي دل فيه على أن العالم محدث ونقضه لكتاب برقلس في قدمه ورده على أفلاطون وأرسطاطاليس وأفلوطرخس وغيرهم من القائلين بقدمه أن أفلاطون كان يزعم أن فلك القمر أدنى الأفلاك إلينا وفلك الشمس يليه ثم فلك عطارد ثم فلك الزهرة ثم كذلك على ما رتبها الباقون.

وقد ذكرنا فيما سلف من كتبنا السالفة تنازع الفلاسفة وغيرهم من حكماء الأمم في هيئة الأفلاك وتراكيبها والنجوم وتأثيراتها في هذا العالم الأرضي وما يمين العالم وما شماله، وما خلفه وأمامه وتحته وفوقه.

وما ذكره أرسطاطاليس في المقالة الثانية من كتاب السماء والعالم عن شيعة فيثاغورث في ذلك وما ذهب إليه من أن للسماء يميناً وشمالاً، وأماماً وخلفاً، وفوقاً وأسفل.

فيمنة السماء الجهة الشرقية، ويسرتها المغربية، وأعلاها القطب الجنوبي وهو فوق القطب الشمالي وهو أسفل وما اتصل بذلك.

قال المسعودي: وأكثر من نشاهده من فلكية زماننا ومنجمي عصرنا مقتصرون على معرفة الأحكام – تاركون للنظر في علم الهيئة، ذاهبون عنها – وصناعة التنجيم التي هي جزء من أجزاء الرياضات، وتسمى باليونانية الاصطرونوميا تنقسم قسمة أولية على قسمين إحدهما العلم بهيئة الأفلاك وتراكيبها ونصبها وتأأليفها والثاني العلم بما يتأثر عن الفلك فليس العلم الثاني وهو العلم بتأثيرات الفلك وما يتوجب من الأحكام بمستغن عن العلم الأول، الذي هو علم الهيئة إذ التأثيرات واقعة بالحركات وتبدل الأحوال، وإذا وقع الجهل بالحركات وقع الجهل بالتأثيرات فإذ ذكرنا جملاً وجوامع من علوم هيئة الأفلاك والنجوم، فلنذكر الآن الكلام في جمل من أقسام الزمان وفصوله والسنين والشهور والأيام وطباعها والاصطقصات ومرور الشمس في فلكها، وقطعها لبروجها، وما تحدثه في كل فصل، وما لحق بذلك.

ذكر البيان عن قسمة الأزمنة وفصول السنة

وما لكل فصل من المنازل والتنازع في المبتدأ به منها والاصطقصات وما اتصل بذلك

الأزمنة أربعة: الربيع، والصيف، والخريف، والشتاء؛ فالزمان الأول الربيع وهو طبيعة الدم حار رطب، مدته ثلاثة وتسعون يوماً وثلاث وعشرون ساعة وربع ساعة، وذلك من عشر تبقى من آذار إلى ثلاثة وعشرين يوماً تخلو من حزيران، وهو من نزول الشمس أول دقيقة من الحمل، وهو الاستواءِ الربيعي إلى دخولها أول دقيقة من السرطان، وهو المنقلب الصيفي والزمان الثاني: الصيف هو حار يابس، سلطانه المرة الصفراء؛ مدته اثنان وتسعون يوماً وثلاث وعشرون ساعة وثلث ساعة، وذلك من ثلاثة وعشرين يوماً تمضي من حزيران إلى أربعة وعشرين تمضي من أيلول، وهو من دخول الشمس أول دقيقة من السرطان إلى دخولها أول دقيقة من الميزان والزمان الثالث: الخريف، وهو بارد يابس، سلطانه المرة السوداء مدته ثمانية وثمانون يوماً، وسبع عشرة ساعة، وثلث خمس ساعة. وذلك من أربعة

وعشرين يوماً تمضي من أيلول إلى اثنين وعشرين يوماً تخلو من كانون الأول وذلك من نزول الشمس أول دقيقة من الميزان، وهو الاستواء الخريفي إلى نزولها أول دقيقة من الجدي، وهو المنقلب الشتوي والزمان الرابع: الشتاء، وهو بارد رطب سلطانه البلغم، مدته تسعة وثمانون يوماً وأربع عشرة ساعة من تسع تبقى من كانون الأول إلى أحد وعشرين يوماً تخلو من آذار، وذلك من دخول الشمس أول دقيقة من الجدي إلى نزولها أول دقيقة من الحمل. فانقسام فصول السنة بالأزمان الأربعة إنما هو بحركة الشمس في الجملة قال المسعودي: فقد تبين بما ذكرنا أن مدة زمان الربيع مسير الشمس في ثلاثة أبراج وهي الحمل والثور والجوزاء. ومدة زمان الصيف مسير الشمس في ثلاثة أبراج هي السرطان والأسد والسنبلة، ومدة زمان الخريف مسير الشمس في ثلاثة أبراج هي الميزان والعقرب والقوس، ومدة زمان الشتاء مسير الشمس في ثلاثة أبراج وهي الجدي والدلو والحوت فما أعجب وأتقن اشتباك أمر العالم بعضه ببعض ونظمه إنا إذا خرجنا من ربع الصيف إلى ربع الخريف؛ فإنا نخرج من ربع حار يابس إلى ربع بارد يابس فاختلف الربعان في الحر والبرد، واتفقا في اليبس. وإذا خرجنا من ربع الخريف إلى ربع الشتاء خرجنا من ربع بارد يابس إلى ربع بارد رطب، فاختلفا في اليبس واتفقا في البرد. وإذا خرجنا من ربع الشتاء إلى ربع الربيع خرجنا من ربع بارد رطب إلى ربع حار رطب فاختلفا في الحر واتفقا في الرطوبة فقد تبين أنا لم نخرج من ربع حار رطب إلى ربع بارد يابس ولا من ربع بارد رطب إلى ربع حار يابس فتأمل حكمة البارئ جل وعز في نظمه الاستقصات الأربعة في العالم السفلي أعني الأرض والماء والهواء والنار فإنك تجدها على هذا الترتيب مؤلفة تجد الأرض وهي باردة يابسة ثم الماء وهو بارد رطب ثم الهواء وهو حار رطب ثم النار وهي حارة يابسة، فالماء الذي يلي الأرض يوافقها في البرودة ويختلفان في الرطوبة واليبس، والهواء الذي يلي الماء يوافقه في الرطوبة يختلفان في الحر والبرد، والنار التي تلي الهواء توافقه في الحر ويختلفان في اليبس والرطوبة وكذلك أيضاً الزمان فإنه مقسوم بأربعة أقسام فقسم ربيعي دموي هوائي، وقسم صيفي صفراوي ناري، وقسم خريفي سوداوي أرضي، وقسم شتائي مائي

فسبحان من دبر الأمور بحكمته وأتقنها بقدرته فلا يوجد فيها خلل، ولا يبين فيها زلل. إذ كان الإهمال لا يأتي بالصواب والتضاد لا يأتي بالنظام.

وقد شبه أبطلميوس فصل الربيع بفصل الطفولية وفصل الصيف بالشباب والخريف بالكهولة والشتاء بالشيخوخة وقد تنازع من تقدم وتأخر من حكماء الأمم وفلاسفتهم في المبتدإ به من فصول السنة ومداخلها وأوائلها ومددها، فمنهم من اختار تقديم الفصل الربيعي وصيره أول السنة لأنه الوقت الذي يبتدئ النهار فيه بالزيادة وأنه مع ذلك رطب والرطوبة ولية بأن تكون ابتداء الأشياء الكائنة ومنهم من اختار تقديم الانقلاب الصيفي لأنه الوقت الذي فيه كمال طول النهار وأن مدة النيل بمصر فيه يكون وفيه تطلع الشعرى اليمانية التي تقطع السماء عرضاً ومنهم من اختار تقديم الاعتدال الخريفي لأن جميع الثمار فيه تستكمل والبذور فيه تبذر وإنما سمي الخريف لأن الثمار تخترف فيه أي تجتنى والعرب تسميه الوسمي بالمطر الذي يكون فيه وذلك أن أول المطر يقع على الأرض وهي بعيدة العهد بالرطوبة وقد يبست بالصيف فتسميه بهذا الاسم لأنه يسم الأرض، وهم يبتدئون من الأزمان بهذا الفصل لأن المطر الذي به عيشهم فيه يبتدئ، ومنهم من اختار تقديم الانقلاب الشتوي لأن النهار فيه يبتدئ باسترداد ما نقص منه والازدياد في طوله وقد ذكر ذلك أبطلميوس القلوذي في كتابه المعروف بالأربع مقالات. وفي كتابه في الأنواء الذي ذكر فيه أحوال أيام السنة كلها وما يحدث فيها من طلوع الكواكب وغروبها، فإذ ذكرنا الأخبار عن قسمة الأزمنة وفصول السنة وما اتصل بذلك فلنذكر الرياح ومهابها وما لحق بذلك

ذكر الرياح الأربع ومهابها وأفعالها وتأثيراتها

وما اتصل بذلك من تقريظ مصر والتنبيه على فضلها وما شرفت به على غيرها

تنازع الناس في الرياح الأربع ومهابها وطباعها: فقال فريق منهم الرياح أربع شمال وجنوب وصبا ودبور؛ الصبا من المشرق والدبور من المغرب والشمال من تحت جدي الفرقدين، والجنوب من تحت جدي سهيل فالشمال باردة يابسة وهي ما هب من ناحية الجربي وهو

الشمال وأشكالها من البروج والكواكب والأمهات وما يشاكل ذلك ويضاف إلى البرد واليبس، والجنوب حارة رطبة وهي التي تهب من القبلة وأشكالها كما وصفت مما يضاف إلى الحرارة والرطوبة، والدبور باردة رطبة وهي التي تهب من المغرب وكذلك أشكالها، والصبا حارة يابسة وهي التي تهب من المشرق وأشكالها مما هو مضاف إلى الحرارة واليبوسة قال المسعودي: وذهب فريق آخر من حكماء الأمم من العرب وغيرهم إلى أن الصبا هي القبول وهي ما هب من مطلع الشمس، والدبور التي تهب من المغرب من دبر من استقبل المشرق، فلذلك سميت الدبور، والشمال التي تهب عن شمالك إذا استقبلت المشرق والجنوب التي تهب عن يمينك إذا استقبلت المشرق، وقد ذكرت العرب ذلك في أشعارها قال أبو صخر الهذلي

إذا قلت هذا حين أسلو يهيجني ... نسيم الصبا من حيث يطلع الفجر

وقال هدبة العذري وهو يومئذ بالمدينة مسجوناً

ألا ليت الرياح مسخرات ... بحاجتنا تباكر أو تؤوب

فتخبرنا الشمال إذا أتتنا ... وتخبر أهلنا عنا الجنوب

وقال آخر

أتاني نسيم من صبا بتحية ... فحملت مثليها نسيم دبور

قال المسعودي: والرياح محدودة بحسب الآفاق تكون الآفاق اثني عشرة أفقاً والرياح كذلك فالشمال بالحقيقة هي التي تجيء من القطب الظاهر والجنوب من القطب الخفي والصبا من مشرق الاعتدال والدبور من مغرب الاعتدال إلا أن الناس لما لم يبن لهم في رأى العين تحديد هذه نسبوا كل يرح تأتي من ناحية المشرق سواء كان من مشرق الاعتدال أو من مشرق الصيفي أو الشتوي أو ما بينهما بعد أن تكون من المشرق إلى الصبا وكذلك فعلوا في الدبور واحتذوا ذلك في الشمال. فسموا كل ريح تأتي من جانب القطب الظاهر وما يليه من جانبيه الشمال وكذلك فعلوا بالجنوب أيضاً

فأما الريح التي تسمي ببلاد مصر المريسية مضافة إلى بلاد مريس من أوائل أرض النوبة في أعالي النيل وهو صعيد مصر فهي باردة تقطع الغيوم وتصفي الهواء وتقوي حرارة الأبدان، وما يهب من أسفل النيل من الريح ويسمي أسفل الأرض فهي شمال وتفعل أضداد هذه الأفعال من تختير الأبدان وأهل مصر يسمونها البحرية وتداومها في الصيف يطيب هواءهم ويبرد ماءهم في الليل والنهار فقد تفعل ذلك الريح الغربية في هذا الفصل إلا أن الأغلب في ذلك الشمال، ويقع الوباء إذا دامت المريسية بمصر، كما يقع الوباء بالعراق إذا دامت الريح في أيام البوارح والشمال عندنا ببغداد تهب من أعالي دجلة مما بلى سر من رأى وتكريت وبلاد الموصل فتقطع السحاب وأيام هبوب المريسية بمصر مقابلة لأيام البوارح ببغداد، لأن المريسية تهب بمصر في كانون الأول وهو كيهك بالقبطية والبوارح بالعراق تهب في حزيران والجنوب ببغداد تهب من أسفل دجلة مما يلي بلاد واسط والبصرة فتثور دجلة وتكثر الغيوم والأمطار والبوارح تدوم أربعين يوماً والمريسية أربعين الهرمان العظيمان اللذان في الجانب الغربي من فسطاط مصرن وهما من عجائب بنيان العالم، كل واحد منهما أربعمائة ذراع في سمك مثل ذلك، مبنيان بالحجر العظيم على الرياح الأربع كل ركن من أركانهما يقابل ريحاً منها، فأعظمها فيهما تأثيراً الجنوب وهي المريسي؛ بتشقيقها الركن المقابل لها منهما، وأحد هذين الهرمين قبر أغاثذيمون والآخر قبل هرمس وبينهما نحو من ألف سنة – أغاديمون المنقدم – وكان سكان مصر وهم الأقباط يعتقدون نبوتهما قبل ظهور النصرانية فيهم، على ما يوجبه رأي الصابئين في النبوات لا على طريق الوحي، بل هم عندهم نفوس طاهرة صفت وتهذبت من أدناس هذا العالم فاتحدت بهم مواد علوية فأخبروا عن الكائنات قبل كونها وعن سرائر العالم وغير ذلك مما يطول وصفه ولا تحتمل كثير من النفوس شرحه، وفي العرب من اليمانية من يرى أنهما قبر شداد بن عاد وغيره من ملوكهم السالفة الذين غلبوا على بلاد مصر في قديم الدهر، وهم العرب العاربة من العماليق وغيرهم وقد أتينا في كتاب فنون المعارف وما جرى في الدهور السوالف على أخبار سائر أهرام مصر، وهي عند من ذكرنا من الصابئين قبور أجساد طاهرة وأخبار

البرابي التي بسائر بلاد مصر وهي بيوت عبادتهم الكواكب السبعة النيرين والخمسة وغيرها من الجواهر لعقلية والأجسام السمائية التي هي وسائط بين العلة الأولى وبين الخلق وغير ذلك من أخبار مصر وعجائبها وما خصت به من الفضائل التي لا يشرك أهلها فيها غيرهم من أهل البلدان، وهي محدودة على تخوم أفريقية وأرض السودان وبحر الحجاز وبحر الشام وهي البرزخ بين البحرين المذكورين في القرآن؛ لأن في الفرما التي على ساحل بحر الروم إلى القلزم التي هي ساحل بحر الصين مسيرة ليلة يحمل إليها من جميع الممالك المحيطة بهذين البحرين من أنواع الأمتعة والطرائف والتحف من الطيب والأفاويه والعقاقير والجوهر والرقيق وغير ذلك من صنوف المآكل والمشارب والملابس، فجميع البلدان تحمل إليها وتفرغ فيها، ونيلها العجيب أمره الشريف قدره، يمد إذا حسرت مياه الأمطار ويحسر إذا مدت، يأتيها في وقت الحاجة إلى منفعته فيبدأ مخضراً ثم محمراً ثم كدراً ثم يتدافع بأمواجه ويترامى بسيوله، فتكون زيادته في اليوم الإصبع والإصبعين وأكثر فإذا تناهى مدة يغشى الأرض وصارت القرى كالنجوم فوق الروابي والتلال، والمراكب تجري بأهلها في حاجاتهم من بعض إلى بعض قد أعدوا قبل ذلك من أقواتهم وعلوفة حيوانهم ما يكفيهم إلى حسوره عنهم وإبان زراعتهم، فدهرها من أربع صفات؛ فضة بيضاء أوأو مسكة سوداء أو زبرجدة خضراء أو ذهبة صفراء وذلك أن نيلها يطبقها كأنها فضة بيضاء، ثم ينضب عنها فتصير مسكة سوداء، ثم تزدرع فيصير زرعها زبرجدة خضراء، ثم يستحصد زرعها ويصفر فتصير ذهبة صفراء

وكورها نيف وثمانون كورة ليس منها كورة إلا وفيها طريفة أو عجيبة لا تكون في غيرها تنسب إلى تلك الكورة وتعرف بها لكل كورة منها مدينة وقد ورد التنزيل بذلك بقوله عز وجل عند ذكره قصة موسى وفرعون " أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين " لا مدينة فيها إلا وفيها عجائب البنيان بالصخور والمرمر والبلاط وعمد الرخام التي لا يوجد مثلها في غيرها من البلدان، تؤتى هذه المدن والكور كلها في الماء ويحمل ما يكون بها من الطعام

والأمتعة إلى فسطاطها؛ تحمل السفينة الواحدة حمل مائة بعير وأقل وأكثر وهي حجازية شأمية جبلية أما صعيدها وهو أعلاها فأرض حجازية حرها كحر الحجاز تنبت أنواع النخيل الكبير والأراك والدوم والقرظ والهليلج والفلفل والخيار شنبر وأما أسفلها فشأمي يمطر وينبت ثمار الشأم من الكروم واللوز والجوز وسائر الفواكه والبقول والرياحين وأما ناحية الإسكندرية ولوبية والمراقية فبراري وجبال وغياض وزيتون وكروم جبلية بحرية بلاد عسل ولبن ويذكرها أهلها أنهم أكثر الناس قنداً وشهداً وعبداً ونقداً وصوفاً وبغالاً وحميراً وخيلاً عناقاً ونبيذ العسل الذي لا يفي به شراب ودقّ تنّيس ودمياط الذي لا يضاهيه دق ومعدن التبر والزمرد الثمين الذي لا يوجد إلا بها والقراطيس ودهن البلسان وزيت الفجل والقمح اليوسفي وهو أعظم القمح حباً وأطوله شكلاً وأثقله وزناً وطرز البهنسا وأسيوط وأخميم، ومن نواحي معادنها تحمل الزرافة والكركدن وعناق الأرض، وأن وفاء خراجها ست عشرة ذراعاً فإن زاد في النيل ذراعاً زاد في الخراج مائة ألف دينار بما يروى من الأعالي فإن زاد ذراعاً أخرى نقص من الخراج مثلها لما يستبحر من البطون والأسافل، والمعمول عليه في وقتنا هذا وهو سنة 345 أنه إن زاد على الست عشرة ذراعاً أو نقص عنها نقص من خراج السلطان قالوا وجميع البلدان في سائر النواحي والآفاق إنما تعيش بالأمطار وتهلك بإبطائها عنها ومصر مستغنية عن المطر غير مرتاحة ولا محتاجة إليه وسائر أنواع الفواكه والثمار وكثير من الحيوان والألبان لها في جميع البلاد أزمنة وأوقات لا توجد الا فيها ولا تكون إلا معها وذلك بمصر موجود غير معدوم في سائر فصول السنة وغير ذلك من فضائلها وخصائصها فإذ قد ذكرنا الرياح ومهابها وما اتصل بذلك لنذكر الأرض وشكلها ومساحتها والنواحي والآفاق وغير ذلك

ذكر الأرض وشكلها

وما قيل في مقدار مساحتها وعامرها وغامرها، والنواحي والآفاق وما يغلب عليها وتأثيرها في سكانها وما اتصل بذلك قسم الله تبارك وتعالى الأرض قسمين مشرقاً ومغرباً فصار المشرق والتيمن وهو الجنوب جوهراً واحداً؛ لغلبة الحرارة عليهما وصارت جهة المغرب

والجربي وهو الشمال جوهراً واحداً لغلبة البرودة عليهما وشدتها فيهما، وذلك لبعد الشمس من ناحية الجربي، لأن المحور على تلك الناحية وهي أشدهما ارتفاعاً، فمن أجل ذلك صار الجربي بارداً رطباً، وصار المغرب أقل برداً من الجربي، وأكثر يبساً لانحطاط الفلك هناك، وهاتان الجهتان المشرق والتيمن بخلاف ذلك لدنو الشمس منهما والعالم أربعة أرباع فالربع الشرقي وهو ما تسافل عن خط الجنوب والشمال إلى المشرق فهو ربع مذكر يدل على طول الأعمار، وطول مدد الملك والتذكير وعزة الأنفس وقلة كتمان السر وإظهار الأمور والمباهاة بها، وما لحق بذلك، وذلك لطباع الشمس وعلمهم الأخبار والتواريخ والسير والسياسات والنجوم وأما أهل الربع الغربي، فإن الغالب عليه التأنيث إلا ما استولت عليه الكواكب المذكرة، كما يغلب التذكير على المشرق إلا ما غلبته عليه الكواكب المؤنثة، وأهله أهل كتمان للسر وتدين وتأله، وكثرة انقياد إلى الآراء والنحل، وما لحق بهذه المعاني إذ كان من قسم القمر

وأما أهل الربع الشمالي، وهم الذين بعدت الشمس عن سمتهم من الواغلين في الشمال كالصقالبة والإفرنجة ومن جاورهم من الأمم، فإن سلطان الشمس ضعف عندهم لبعدهم عنها فغلب على نواحيهم البرد والرطوبة وتواترت الثلوج عندهم والجليد، فقل مزاج الحرارة فيهم فعظمت أجسامهم وجفت طبائعهم وتوعرت أخلاقهم وتبلدت أفهامهم وثقلت ألسنتهم، وابيضت ألوانهم حتى أفرطت فخرجت من البياض إلى الزرقة ورقت جلودهم وغلظت لحومهم، وازرقت أعينهم أيضاً، فلم تخرج من طبع ألوانهم وسبطت شعورهم، وصارت صهباً لغلبة البخار الرطب ولم يكن في مذاهبهم متانة. وذلك لطباع البرد وعدم الحرارة ومن كان منهم أوغل في الشمال فالغالب عليه الغباوة والجفاء والبهايمة وتزايد ذلك فيهم في الأبعد فالأبعد إلى الشمال، وكذلك من كان من الترك واغلاً في الشمال فلبعدهم من مدار الشمس في حال طلوعها وغروبها كثرت الثلوج فيهم وغلبت البرودة والرطوبة على مساكنهم، فاسترخت أجسامهم وغلظت ولانت فقارات ظهورهم وخرز أعناقهم؛ حتى

تأتى لهم الرمي بالنشاب في كرهم وفرهم وغارت مفاصلهم لكثرة لحومهم فاستدارت وجوههم وصغرت أعينهم لاجتماع الحرارة في الوجه حين تمكنت البرودة من أجسادهم إذ كان المزاج البارد يولد دماً كثيراً، واحمرت ألوانهم إذ كان من شأن البرودة جمع الحرارة وإظهارها وأما من كان خارجاً عن هذا العرض إلى نيف وستين ميلاً يأجوج ومأجوج، وهم في الإقليم السادس فإنهم في عداد البهائم وأما أهل الربع الجنوبي كالزنج وسائر الأحابش، والذين كانوا تحت خط الاستواء وتحت مسامتة الشمس؛ فإنهم بخلاف تلك الحال من التهاب الحرارة وقلة الرطوبة؛ فاسودت ألوانهم واحمرت أعينهم وتوحشت نفوسهم وذلك لالتهاب هوائهم وإفراط الأرحام في نضجهم حتى احترقت ألوانهم وتفلفلت شعورهم لغلبة البخار الحار اليابس، وكذلك الشعور السبطة إذا قربت من حرارة النار دخلها الانقباض ثم الانضمام ثم الانعقاد على قدر قربها من الحرارة وبعدها عنها والأرض قسمان على ما قدمنا أحدهما مسكون، والآخر غير مسكون، والعامر المسكون منهما على أقسام أحدها مفرط الحر وهو ما كان من جهة الجنوب لأن الشمس تقرب منه فيلتهب هواؤه والآخر الشمال وهو مفرط البرد لبعد الشمس عنه وأما المشرق والمغرب فمعتدلان وإن كان فضل المشرق وأظهر واعتداله أشهر وأما الذي ليس بمسكون فعلى قسمين أيضاً؛ إما أن يفرط فيه البرد ببعد الشمس عنه أو يفرط فيه الحر لقربها منه فلا يتركب هناك حيوان ولا ينبت نبات فالموضع الذي يكون بعده في الشمال عن خط معدل النهار وستاً وستين درجة لا يمكن أن يكون فيه نشوء لإفراط البرد عليه لبعد الشمس عنه وإن ما كان عرضه ستة وستين جزء وتسع دقائق تكون السنة فيه يوماً وليلة ستة أشهر نهاراً لا ليل فيه وستة أشهر ليل لا نهار فيه يبطل نهاره في الشتاء وليله في الصيف والموضع الذي بعده في الجنوب عن خط معدل النهار تسع عشرة درجة لا يمكن أيضاً أن يكون فيه نشوء لإفراط الحر عليه لقرب الشمس منه قال المسعودي فأما أبطلميوس فإن أقصى ما وجد عنده من العمارة في جهة الشمال الجزيرة المعروفة بثولي في أقصى بحر المغرب من الجهة الشمالية وأن عرضها من معدل النهار في الشمال ثلاثة وستون جزءاً، وحكاه أيضاً عن مارينوس فيما ذهب إليه في

حدود المعمور من الأرض، وذهب أبطلميوس إلى أن نهاية العمارة في جهة الجنوبي تحت الموازي الذي بعده من معدل النهار ستة عشر جزءاً وخمس وثلاثون دقيقة وربع وسدس وذهب قوم إلى أن الموضع الذي لا يمكن أن يكون فيه عمارة عرضه في الجنوب أحد وعشرون جزءاً وخمس وثلاثون دقيقة، وإلى هذا ذهب يعقوب بن إسحاق الكندي في كتابه في رسم المعمور من الأرض. وسواء قيل عرض الموضع أو قيل بعده عن خط الاستواء أو قيل ارتفاع القطب عليه، فمقدار نهاية العمارة في الشمال إلى نهايتها في الجنوب ثمانون جزءاً يكون ذلك عند هؤلاء من الأميال خمسة آلاف ميل وأقل من أربعمائة ميل.

وأقصى العمران في المشرق أقصى حدود بلاد الصين والسيلي إلى أن ينتهي ذلك إلى ردم يأجوج ومأجوج الذي بناه الإسكندر دافعاً ليأجوج ومأجوج عن الفساد في الأرض، والجبل الذي وراءه ووقع في فجة الردم، ومنه كان مخرجهم بدؤه خارج العمران في الإقليم السابع طرف مبدئه مستقبل المشرق ثم ينعطف إلى ناحية الجنوب ويستقيم ممره طولاً إلى أن ينتهي إلى بحر أوقيانس المظلم المحيط فيتصل به، وأقصى عمران المغرب ينتهي إلى بحر أوقيانس المحيط أيضاً، وكذلك ينتهي أقصى عمران الشمال إلى هذا البحر أيضاً وأقصى عمران الجنوب ينتهي إلى خط الاستواء الذي يكون الليل والنهار فيه سواء أبداً وجزيرة سر نديب من البحر الصيني على هذا الخط أيضاً.

قال المسعودي وذكر من عني بمساحة الأرض وشكلها أن تدويرها يكون بالتقريب أربعة وعشرين ألف ميل وذلك تدويرها مع المياه والبحار فإن المياه مستديرة مع الأرض وحدّهما واحد فكلما نقص من استدارة الأرض وطولها وعرضها شيء تم باستدارة الماء وطوله وعرضه وذلك أنهم نظروا إلى مدينتين في خط واحد أحداهما أقل عرضاً من الأخرى وهما الكوفة ومدينة السلام فأخذوا عرضيهما فنقصوا الأقل من الأكثر ثم قسموا ما بقي على عدد الأميال التي بينهما فكان نصيب الدرجة مما يحاذيهما من أجزاء الأرض المستديرة ستة

وستين ميلاً وثلثي ميل على ما ذكر أبطلميوس فإذا ضربوا ذلك في جميع درج الفلك التي هي ثلثمائة وستون درجة كان ذلك أربعة وعشرين ألف ميل، وكان قطرها الذي هو طولها وعرضها وغلظها سبعة آلاف ميل وستمائة وسبعة وستين ميلاً، والميل أربعة آلاف ذراع بالسواء وهو الذراع الذي وضعه المأمون لذرع الثياب ومساحة البناء وقسمة المنازل، والذراع أربع وعشرون إصبعاً والإصبع ست شعيرات مضموم بعضها إلى بعض والفرسخ بهذا الميل ثلاثة أميال ومنهم من يجعل الميل ثلاثة آلاف ذراع والفرسخ أربعة أميال وكلاهما يؤولان إلى شيء واحد وفيما ذكرناه من مقدار حصة الدرجة من الأميال تنازع فمنهم من رأى أن ذلك سبعة وثمانون ميلاً ومنهم من رأى ذلك ستة وخمسون ميلاً وثلثي ميل والمعول في ذلك على ما حكيناه عن أبطلميوس والأرض من أربعة جواهر من الرمل والطين والأحجار والأملاح وجوفها أطباق يتخرق فيها الهواء ويجول فيها الماء مواصلاً لها كمواصلة الدم للجسد فما غلب عليه الهواء من الماء كان عذباً شروباً وما امتنع الهواء من التمكن منه وغلبت عليه أملاح الأرض وسبخها صار ملحاً أجاجاً وأن كون مياه العيون والأنهار في الأرضين كالعروق في البدن وأن الحكمة في كون الأرض كريةالشكل؛ إنها لو كانت مسطوحة كلها لا غور فيها ولا نشز يخرقها لم يكن النبات وكانت مياه البحار سائحة على وجهها فلم يكن الزرع ولم يكن لها غدران تفضي مياه السيول إليها، ولا كانت لها عيون تجري تنبع بالماء أبداً لأن مياه العيون لو كانت منها تخرج دائماً لفنيت ولصار الماء أبداً غالباً على وجه الأرض فكان يهلك الحيوان ولا يكون زرع ولا نبات فجعل عز وجل منها أنجاداً ومنها أغواراً ومنها أنشازاً ومنها مستوية، وأما أنشازها فمنها الجبال الشامخة ومنافعها ظاهرة في قوة تحدر السيول منها فتنتهي إلى الأرضين البعيدة بقوة جريها ولتقبل الثلوج فتحفظها إلى أن تنقطع مياه الأمطار وتذيبها الشمس فيقوم ما يتحلب منها مقام الأمطار ولتكون الآكام والجبال في الأرض حواشر للمياه لتجري من تحتها ومن شعوبها وأوديتها، فيكون منها العيون الغزيرة ليعتصم بها الحيوان ويتخذها مأوى ومسكناً، ولتكون مقاطع ومعاقل وحواجز بين الأرضين من غلبة مياه الأمطار عليها وما لا يحصيه إلا خالقها قال

المسعودي: وقد تختلف قوى الأرضين وفعلها في الأبدان لثلاثة أسباب كمية المياه التي فيها وكمية الأشجار ومقدار ارتفاعها وانخفاضها، فالأرض التي فيها مياه كثيرة ترطب الأبدان والأرض العادمة للمياه تجففها. وأما اختلاف قوتها من قبل الأشجار فإن الأرض الكثيرة الأشجار؛ الأشجار التي فيها تقوم لها مقام السترة فبهذا السبب تسخن. والأرض المكشوفة من الأشجار العادمة لها حالها عكس حال الأرض الكثيرة الأشجار

وأما اختلاف قواها من قبل مقدار علوها وانخفاضها؛ فلأن الأرض العالية المشرفة فسيحة باردة والأرض المنخفضة العميقة حارة ومدة. ومنهم من رأى أن أصناف اختلاف البلدان أربعة أولها النواحي والثاني الارتفاع والانخفاض والثالث مجاورة الجبال والبحار لها والرابع طبيعة تربة الأرض وذلك أن ارتفاعها يجعلها أبرد وانخفاضها يجعلها أسخن على ما قدمنا. وأما اختلافها من جهة مجاورة الجبال لها فمتى كان الجبل من البلد من ناحية الجنوب جعله أبرد لأنه يكون سبب امتناع الريح الجنوبية، وإنما تهب فيه الشمالية فقط. ومتى ما كان الجبل من البلد من ناحية الشمال جعله أسخن لامتناع هبوب الرياح الشمالية فيه، وأما اختلافها لمجاورة البحار لها فمتى كان البحر من البلد في ناحية الجنوب كان ذلك البلد أسخن وأرأرطب، وإن كان من البلد في ناحية الشمال كان ذلك البلد أبرد وأيبس. وأما اختلافها بحسب طبيعة تربتها فمتى كانت تربة الأرض صخرية جعلت ذلك البلد أبرد وأجف، وإن كانت تربة البلد جصية جعلته أسخن وأجف، وإن كانت طينية جعلته أبرد وأرطب وبقاع الأرض مختلفة بحسب اختلاف الطبائع وما تؤثره فيها الأجسام السمائية من النيرين وغيرهما فغلب طبع كل أرض على ساكنها كما نشاهد الحرار السود والأغوار؛ وحشها إلى السواد ووحش الرمال البيض على ذلك اللون فإن كانت الرمال أحمر فوحشها عفر وهو لون التراب، وكذلك وحش الجبال من الأراوي وغيرها يكون على ألوان تلك الجبال إن حمراً وإن بيضاً وإن سوداً.

وعلى هذا السبيل تكون القملة في الشعر الأسود سوداء وفي الشعر الأبيض بيضاء وفي

المشيب شهباء وفي الأحمر حمراء ومن الفلكيين من يرى أن كل جزء من أجزاء الأرض يناسب جزء من أجزاء الفلك ويغلب عليه طباعه لأن في أجزاء الفلك المضيء والمظلم والفصيح والأخرس وذا الأصوات والمجوف وغير ذلك من نعوت الدرج، فلذلك يكون كلام أهل الموضع الواحد مختلفاً على قدر ما تصلح فيه السعود وتفسد فيه النحوس ثم يختلف أهل اللسان الواحد في المنطق واللهجات قال المسعودي: وقد ذم أبطلميوس القلوذي آراء كثير ممن تقدمه ممن عني بعلم معمور الأرض وغايات ذلك ونهاياته مثل مارينوس وأبرخس وطيمستانس وغيرهم في قبول أقاويل المخبرين من التجار وغيرهم من نهاية المعمور وأن ذلك قد يدخله الكذب والزيادة والنقصان فيما أخبروا به من وصولهم إلى هذه المواضع النائية والعمائر القاصية في البر والبحر، ثم اضطر أبطلميوس لما أراد علم ذلك والوقوف عليه إلى أن يستعمل ما أنكره على من ذكرنا من جهة الخبر فبعث بثقات من رسله في الآفاق ليعرف الغابات من عمران الأرض المسكونة فعمل على أخبارهم مقايساً بها ما وجده بالدلائل النجومية، وهذا دخول منه فيما أنكره، وقد ذكر في كتابه المترجم بمسكون الأرض بلداناً ومدائن كثيرة ووصف أطوالها وعروضها ورسم للناس صورة معمور الأرض على ما رسم فيها من مواضع الكور والبحار والأنهار في الطول والعرض، وقد قال أرسطاطاليس في المقالة الثانية من كتابه في الآثار العلوية لقد أعجب من الذين يصورون أقطار الأرض وأبعادها فإنهم يصورون الأرض المعمورة مستديرة والقياس والعيان يشهدان على أنها على خلاف ذلك وأنه لا يمكن أن يكون ذلك أما القياس فيثبت أن عرض الأرض محدود وأن طولها ليس بمحدود أعني أن طول الأرض كله يمكن أن يسكن لحال مزاجه وذلك أن الحر والبرد لا يكونان مفرطين في طول الأرض لكن في عرضها، ولو لم يكن البحر يمنع لكان طول الأرض كله مسلوكاً قال والعيان يشهد أيضاً على أن طول الأرض يسلك في البر والبحر لأن الطول مخالف للعرض كثيراً قال المسعودي وقد ذكرنا في كتاب فنون المعارف وما جرى في الدهور السوالف ما ذهبت إليه الفرس والنبط في قسمة المعمور من الأرض وتسميتهم مشارق الأرض وما قارب ذلك من مملكتها خراسان وخر:

الشمس فأضافوا مواضع المطلع إليها والجهة الثانية وهي المغرب خربران وهو مغيب الشمس والجهة الثالثة وهي الشمال بأخترا والجهة الرابعة وهي الجنوب نيمروز وهذه ألفاظ يتفق عليها الفرس والسريانيون وهم النبط وما ذهب إليه اليونانيون والروم في قسمة المعمور من الأرض على ثلاثة أجزاء وهي أورفا، ولوبية، وآسية وغير ذلك من كلام سائر الأمم في هذه المعاني، فلنقل الآن في الأقاليم وصفتها وما قيل في قسمتها وغير ذلك.

ذكر الأقاليم السبعة وقسمتها وحدودها

وما قيل في طولها وعرضها وما اتصل بذلك

كل ما كان من الأرض معموراً فهو مقسوم بسبعة أقسام يسمي كل قسم منها إقليماً وقد تنازع من عني من حكماء الأمم وفلاسفتهم بعلم الهندسة ومساحة الأرض في هذه الأقاليم السبعة أفي الشمال والجنوب أم في الشمال دون الجنوب؟ فذهب الأكثرون إلى أن ذلك في الشمال دون الجنوب لكثرة العمارة في الشمال وقلتها في الجنوب ورأى قوم أن القدماء إنما قصدوا لقسمة الأقاليم السبعة في الجانب الشمالي من خط معدل النهار ولم يقسموا في الجنوب شيئاً لقلة قدر العمارة في الجنوب عن الخط وذهب هرمس في متبعيه من المصريين وغيرهم إلى أن في الجنوب سبعة أقاليم كما هي في الشمال وكان يجعل قسمة أقاليم العمران من الشمال مدورة فيجعل الإقليم الرابع وهو إقليم بابل واسطاً لها وستة دائرة حوله وإن كل إقليم سبعمائة فرسخ في مثله فالإقليم الأول الهند والثاني الحجاز والحبشة والثالث مصر وإفريقية الرابع بابل والعراق والخامس الروم والسادس يأجوج ومأجوج والسابع يوماريس والصين ويبتدئ جميعها من المشرق مما يمر ببلاد الصين وغيرها، فحد الإقليم الأول البحر مما يلي المشرق والثاني البحر مما يلي الحجاز والثالث الديبل من ساحل المنصورة من أرض السند والرابع حد الإقليم السابع مما يلي الصين أطول ساعات نهاره ثلاثة عشرة ساعة وحد الإقليم الثاني البحر مما يلي عمان إلى الشحر، والأحقاف إلى عدن أبين إلى جزائر الزنج والحبشان، وأطول ساعات نهاره ثلاث عشرة ساعة نصف وحد

الإقليم الثالث وينتهي إلى أرض الحبشة مما يلي الحجاز إلى بحر الشأم الذي بين مصر وأرض الشام إلى وسط البحر الذي يلي الأندلس مما يلي المغرب أطول ساعات نهاره أربع عشرة ساعة. وحد الإقليم الرابع الثعلبية والثاني وسط نهر بلخ والثالث خلف نصيبين باثني عشر فرسخاً من ناحية سنجار والرابع وراء الديبل من ساحل المنصورة من بلاد السند بستة فراسخ أطول ساعات نهاره أربع عشرة ساعة ونصف ساعة وحد الإقليم الخامس بحر الشام إلى أقصى أرض الروم مما يلي البحر إلى تراقية وبلاد برجان والصقالبة والأبر إلى حد أرض يأجوج ومأجوج إلى حد الإقليم الرابع مما يلي نصبين أطول ساعات نهاره خمس عشرة ساعة إلى حد الاقليم السادس من الصين إلى حد الإقليم الخامس إلى البحر مما يلي المشرق أطول ساعات نهاره خمس عشرة ساعة ونصف، وحد الإقليم السابع أرض الهند إلى حد الإقليم الرابع إلى حد الإقليم السادس إلى البحر أطول ساعات نهاره ست عشرة ساعة، وفي كتاب مارينوس أن مساحة هذه الأقاليم في الطول ثمانية وثلاثون ألفاً وخمسمائة فرسخ في عرض ألف فرسخ وسبعمائة وخمسة وسبعين فرسخاً، وقد أنكر ذلك على مارينوس جماعة ممن تقدم وتأخر قال المسعودي: بين الأسلاف والأخلاف من حكماء الأمم في مقادير هذه الأقاليم السبعة وأطوالها وعروضها وعدد ساعاتها وابتدائها وغاياتها وما فيها من مساكن الأمم في البر والبحر تنازع كثير، وقد أتينا على شرح كثير من ذلك فيما تقدم من كتبنا. ورأيت هذه الأقاليم مصورة في غير كتاب بأنواع الأصباغ. وأحسن ما رأيت من ذلك في كتاب جغرافيا لمارينوس وتفسير جغرافيا قطع الأرض وفي الصورة المأمونية التي عملت للمأمون اجتمع على صنعتها عدة من حكماء أهل عصره صورة فيها العالم بأفلاكه ونجومه وبره وبحره وعامره وغامره ومساكن الأمم والمدن وغير ذلك، وهي أحسن مما تقدمها من جغرافيا أبطلميوس وجغرافيا مارينوس وغيرها

ذكر قسمة الأقاليم على الكواكب السبعة

الخمسة والنيرين

قسموا هذه الأقاليم بين الكواكب السبعة على قدر تواليها وتتابعها في الفلك. فالإقليم الأول لزحل وهو كيوان بالفارسية له من البروج الجدي والدلو الإقليم الثاني للمشتري وهو بالفارسية أورمزد له من البروج القوس والحوت. الإقليم الثالث للمريخ وهو بالفارسية بهرام له من البروج الحمل والعقرب. الإقليم الرابع للشمس وهو بالفارسية خرشاد ومن أسمائها آفتاب لها من البروج الأسد. الإقليم الخامس للزهرة وهي بالفارسية أناهيد لها من البروج الثور والميزان. الإقليم السادس لعطارد وهو بالفارسية تير له من البروج الجوزاء والسنبلة. الإقليم السابع للقمر وهو بالفارسية ماه له من البروج السرطان، واسم الإقليم بالفارسية كشور واسم الفلك إسبهر وذلك بالفارسية الأولى وبهذه الفارسية حايدان قال المسعودي:وفيما حكيناه تنازع بين حكماء الأمم من الفرس واليونانيين والروم والهند والكلدانيين وغيرهم والأشهر ما ذكرناه وقد أتينا على شرح ذلك فيما سلف من كتبنا، وكذلك ما تنازعوا فيه من اشتراك البروج الاثني عشر في الأقاليم السبعة، وخاصة الكواكب السبعة في الآراء والملل والنواحي والآفاق وغير ذلك.

قال المسعودي: ونحن ذاكرون الإقليم الرابع وما بان به عن سائر الأقاليم وجلالة صقعه وشرف محله إذ كان به مولدنا وفه منشؤنا وكنا أولى الناس بتقريظه والإبانة عن شرفه وفضله وإن كان ذلك أشهر من أن يحتاج فيه إلى إطناب ولا يحويه لعظمه كتاب.

ذكر الإقليم الرابع

ووصفه وفضله على سائر الأقاليم، وما خص به ساكنوه من الفضائل التي باينوا بها سكان غيره منها وما اتصل بذلك من الكلام في عروض البلدان وأطوالها والأهوية والترب والمياه وتأثيراتها وغير ذلك

الإقليم الرابع يضاف إلى بابل ويعرف بها وكان اسمه بالكلدانية وهي السريانية خنيرث وبه كانت تسميه جميع طبقات الفرس، وكانت بابل تسمى بالفارسية والنبطية بابيل ومن حكماء الفرس والتبط من يذهب إلى أنها سميت بهذا الاسم اشتقاقاً من اسم المشتري وهو

بلغتهم الأولى بيل لتوليه هذا الإقليم ووقوعه في قسمته وحدود هذا الإقليم الشريف المفضل على سائر الأقاليم مما يلي أرض الهند الديبل ومما يلي الحجاز الثعلبية من طريق العراق إلى الحجاز ومما يلي الشأم نصيبين ومما يلي خراسان نهر بلخ، وقد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب ما قيل في حدوده أيضاً عند ذكرنا الأقاليم فعلى هذا التحديد قد دخل في هذا الإقليم ما دون النهر من خراسان والجبال كلها من الماهات وغيرها والعراق بأسره وغير ذلك، ولم يعرف ما حواه هذا الإقليم من ذلك أجمع إلا ببابل لفضل موضعها وجلالة صقعها لأن ذوي المعرفة من الناس إنما ينسبون الشيء إلى الأفضل المشهور ولولا أن بابل كذلك ما نسبوا هذا الإقليم مع سعة أرضه وجلالة ما حوى من البلدان إليه، وهذا الإقليم وسط الأقاليم السبعة وأعدها وأفضلها وبلد العراق وسطه فهو شرف الأرض وصفوتها؛ أعدها غذاء وأصفاه هواء متوسط بين إفراط الحر والبرد وموضعه الموضع الذي ينقسم فيه الزمان أربعة أقسام فلا يخرج ساكنوه من شتاء إلى صيف حتى يمر بهم فصل الربيع ولا من صيف إلى شتاء حتى يمر بهم فصل الخريف، ولما ذكرنا من توسطه كانت ملوك سوالف الأمم تحله إذ كان نسبة الملك إلى المملكة التي هو عليها القلب إلى البدن الذي هو فيه فكما كان الله عز وجل بلطيف حكمته لما خلق القلب أشرف الأعضاء أحله من البدن أوسطه كانت هذه سبيل الملك فيما يسكنه من مملكته وكانت قدماء الملوك تقول الملك الأعظم مركز لدائرة ملكه بعده من محيطها بعد واحد وتد مركوز وعلم منشور منه يستمد التدبير، وإليه ترد الأمور. ولذلك يقال أن الملك الأعظم والمدبر الأكبر ينبغي أن يكون منزله الواسطة من هذا الإقليم وهو الرابع، والعراق أشرف المواضع التي اختارتها ملوك الأمم من النماردة وهم ملوك السريانيين الذي تسميهم العرب النبط ثم ملوك الفرس على طبقاتهم من الفرس الأولى إلى الساسانية وهم الأكاسرة وهي حيث تلتقي دجلة والفرات وما قرب من ذلك، وهي من السواد البقعة التي حدها الزابي فوق سر من رأى مما يلي السن وتكريت وناحية حلوان مما يلي الجبل وهيت مما يلي الفرات والشأم وواسط من أسفل دجلة والكوفة من سقي الفرات إلى بهندف وبادرايا وباكسايا وهي النبطية ترقف من أرض

جوخي، وهذه الأرض هي لب إيرانشهر التي تفانت عليها ملوك الأمم فكان اختيارهم بفضل آرائهم؛ المصيف بالجبال ليسلموا من سمائم العراق وكثرة ذبابه وهوامه، والمشتى بالعراق ليسلموا من زمهرير الجبل وكثرة ثلوجه وأمطاره ووحوله وأقذاره وقد كان أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي يفعل ذلك، فقال مفتخراً به في كلمة له طويلة

إني امرؤ كسروي الفعال ... أصيف الجبال وأشتو العراقا

وألبس للحرب أثوابها ... وأعتنق الدارعين اعتناقا

ولما بلغ عبد الله بن طاهر هذه الأبيات بعد افتتاحه مصر والشأمات قال يرد عليه

ألم تر أنا جلبنا الجيادا ... إلى أرض بابل قبّاً عتاقا

إلى أن وردن بأدوائها ... قلوب رجال أرادوا النفاقا

وأنت أبا دلف ناعم ... تصيف الجبال وتشتو العراقا

وكانت الفرس تسمي هذا الصقع أيضاً إيرانشهر إضافة إلى إيرج بن أفريدون حين قسم أفريدون الأرض بين ولده الثلاثة فجعل لسلم الروم وما يليهم من الأمم ولطوج الترك وما يليها من الأمم ولإيرج العراق وما يليه من الأمم فأضيف إليه وفي ذلك يقول شاعرهم في الإسلام مفتخراً:

وقسمنا ملكنا في دهرنا ... قسمة اللحم على ظهر الوضم

فجعلنا الشأم والروم إلى ... مغرب الشمس إلى الغطريف سلم

ولطوج جعل الترك له ... فبلاد الترك يحوبها ابن عم

ولإيران جعلنا عنوة ... فارس الملك وفزنا بالنعم

ومنهم من يذهب إلى أن معنى إيرانشهر بلد الخيار لأن إير بالفارسية الأولى اسم جامع للخير والفضل، ومن ذلك قولهم لرئيس بيت النار إير بذاي رئيس الخيار الفاضلين فعرب فقيل هربذ والنبط تذكر أن هذا الإقليم لها ملكته في سالف الدهر وأن ملوكهم النماردة منهم نمرود إبراهيم الخليل، والنمرود سمة لملوكهم وإن الفرس كانت بفارس والماهات وغيرها

من بلاد الفهلويين وإن هذا الصقع مضاف إليهم، وإنما هو بلد أريان شهر؛ معنى ذلك بلد السباع لأن السباع تدعي بالنبطية أريان أحدها أريا فشبهوا بالسباع لشدة بأسهم وشجاعتهم وعظم ملكهم وكثرة جنودهم، فلما غلبت الفرس عليهم لما كان بينهم من التحزب والحروب واختلاف إلى الكلمة وتباين الممالك ودامت أيامهم واتصل ملكهم دخلوا في جملتهم وتعززوا بهم وانتسبوا إليهم، ثم جاء الإسلام فمضى على ذلك أكثرهم وأنفوا من النبطية لزوال العز الذي كان فيهم، وانتمى جلهم إلى ملوك الفرس حتى قال بعض المتأخرين في ذلك:

أيا دهر ويحك كم ذا الغلط ... وضيع علا وكريم سقط

وعير يخلد في جنة ... وطرف بلا علف يرتبط

وأهل القرى كلهم يدعون ... بكسرى قباذ فأين النبط

وقد حد كثير من الناس السواد وهو العراق، فقالوا حده مما يلي المغرب وأعلى دجلة من ناحية أنور وهي الموصل القريتان المعروفة إحداهما بالعلث من الجانب الشرقي من دجلة وهي من طسّوج بزر جسابور والأخرى المعروفة بحربي وهي بإزائها في الجانب الغربي من طسوج مسكن، ومن جهة المشرق الجزيرة المتصلة بالبحر الفارسي المعروفة بميان روذان من كورة بهمن أردشير وراء البصرة مما يلي البحر طول ذلك مائة وخمسة وعشرون فرسخاً - والحد الشمالي من عقبة حلوان إلى الموضع المعروف بالعذيب وراء القادسية من جهة الجنوب مسافة ما بين هذين الموضعين وهو عرض السواد ثمانون فرسخاً، يكون ذلك مكسراً عشرة آلاف فرسخ والفرسخ اثني عشر ألف ذراع بالذراع المرسلة يكون بذراع المساحة وهي الذراع الهاشمية تسعة آلاف ذراع وهو مائة وخمسون أشلا يكن ذلك جرباناً اثنين وعشرين ألفاً وخمسمائة جريب هذا إنما هو تكسيراشل فإذا ضرب ذلك في عدد الفراسخ وهو عشرة آلاف فرسخ بلغ مائتي ألف ألف وخمسة وعشرين ألف ألف جريب، أسقط أرباب الخراج لمواضع الجبال والآكام والتلول والآجام والسباخ ومدارس الطرق والمحاج ومجاري الأنهار ومواضع المدن والقرى وغير ذلك من المواضع التي لا يتأتى فيه الحرث على

التخمين والتقريب الثلث من ذلك وهو خمسة وسبعون ألف ألف جريب فيبقي مائة ألف ألف وخمسون ألف ألف جريب يراح النصف من ذلك ويكون النصف معموراً مع ما في الجميع من النخيل والكروم وسائر الأشجار وما يعمر دائماً من الأرضين، ولم يزل السواد في ملك النبط والفرس مقاسمة إلى أيام قباذ بن فيروز الملك، فإنه فرض على كل جريب درهمين وألزم الناس المساحة وأطلقوا في أملاكهم وكانوا ممنوعين منها إلى وقت القسمة فهلك قبل إتمام ذلك فلما ملك أنوشروان بعده تممه وأخذ الناس به فارتفع أول سنة مائة ألف ألف وخمسين ألف ألف درهم من الدراهم التي وزن الدرهم منها مثقال، وقد كان خسر وأبرويز بن هرمز بن أنوشروان بن قباذ – اجتبى مملكته في سنة ثماني عشرة من ملكه وكان في يده السواد وأرض الأعاجم دون أعمال الغرب وكان حد مملكته إلى هيت وما وراء ذلك من الموصل والجزيرة والشام بيد الروم من الورق أربعمائة ألف ألف وعشرين ألف ألف مثقال يكون ذلك وزن سبعه ستمائة ألف ألف درهم وكثير من هذه النواحي اليوم على ما كانت عليه في ذلك الوقت لم يغز أرضوها ولم يبد ساكنوها وإنما يحتاج أن يكون مع ملاكها ومدبريها تقى الله أولاً ثم دراية ونجدة وعدل وعفة وسياسة حتى تستقيم عليه الأمور وينتظم التدبير ويأتي من الأموال ما يسد به أركان الملك وتعمر به البلاد ويشحن به الثغور ويقمع به العدو إذ كان سلوك طريقة العدل يؤدي إلى طول المدة واتصال أيام الدولة وبالعدل ركب جميع العالم فلا جرم أنه لا يقوم إلا بالحق وهو ميزان الرب في الأرض بين عباده فلذلك حكمته مبرأة من كل ميل وزلل، فمن بخسه بتر عمره وانقضت أيامه، وظلم الرعية، واستجلاب البلية.

وكان السواد يعد في أيام الفرس اثنتي عشرة كورة، تسمي الكورة بلغتهم استان وطساسيجه ستون طسوجا في كل كورة عدة طساسيج وتفسير الطسوج الناحية ثم تغير ذلك على مر الأيام لانخراق دجلة وخروجها عن عمودها، وكان مجراها في جوخي وتغريقها طسوج الثرثور من بلاد كسكر وغيره حتى صارت بطائح إلى هذا الوقت مسيرة أيام وذلك بين واسط

والبصرة واسمها في هذا الوقت في ديوان السلطان آجام البريد وأخراب جوخي وكانت أعمر السواد وأهلها المتقدمون على أهله وإضافة كورة حلوان إلى كورة الجبل وكانت تدعى شادفيروز وغير ذلك فصارت كور السواد عشر كور تحوي ثمانية وأربعين طسوجاً ثم آل ذلك إلى نقص وخراب لبثوق انبثقت وجلاء وانتقال وجدب وجور وحيف من الأتراك والديلم الذين غلبوا على هذا الصقع إلى هذا الوقت وهو سنة 345 في خلافة المطيع، وقد وصف بعض أهل المعرفة سكان هذا الصقع الشريف وهو العراق فقال هم هل العقول الصحيحة والشهوات المحمودة والشمائل الموزونة والبراعة في كل صناعة، مع اعتدال الأعضاء واستواء الأخلاط وسمرة الألوان وهي أعدلها وأقصدها، ويستدل على اعتدال مزاج باطن أبدانهم بالذي يرى من السمرة الظاهرة في ألوانهم واعتدال أعضائهم أحسن الناس ألواناً ووجوهاً وأتمهم حلماً وفهماً فهم أهل العلم والخير، وذلك لامتزاج صقعهم من حر الجنوب وبرد الشمال وغلب عليهم المشتوي لامتزاجه من برد فلك زحل وحرارة فلك المريخ فاعتدلوا فاجتمعت فيهم محاسن جميع الأقطار كما اعتدلوا في الجبلة كذلك لطفوا في الفطنة والتمسك بمحاسن الأمور، وكيف لا يكونون كذلك وهم أرباب الوافدين وأصحاب الرافدين من دجلة والفرات، والثمانية والأربعين طسوجاً. قال الفرزدق في هجاء ابن هبيرة:

أأطمعت العراق ورافديه ... فزاريا أحذ يد القميص

وقال بشار بن برد:

الرافدان توافى ماء بحرهما ... إلى الأبلة شرباً غير محظور

وقال آخر هذان الواديان رائدان لأهل العراق لا يكذبان قال المسعودي والصقع الذي مدينة السلام منه أفضل مواضع الأرض جميعاً في الطيب والغذاء، وذلك أن أطيب خيرات الدنيا بعد الأمن والعافية والعز والرئاسة؛ صلاح الماء والهواء، ثم أفضل أنهار العالم دجلة والفرات، وإن نازع في ذلك أهل مصر وفضلوا نيلهم، وأطيب مواضع العالم في كل الأزمنة عند قياس بعضها إلى بعض وقياس بعض البلدان إلى بعض موضع اجتماع دجلة والفرات، وذلك أن بعض المواضع يطيب صيفه ويفسد شتاؤه فساداً يمتنع فيهم من المكاسب المهنية

والمطالب الصناعية لشدة برده ودوام سقوط ثلجه، ومنها ما يطيب شتاؤه ويفسد صيفه حتى يشغل الحر والومد والبق والهوام عن تخشين الزي باللباس والتصرف في المهن والصناعات ويعز علينا بما دفعنا إليه من مفارقة هاا المصر الذي به مولدنا وفيه منشؤنا، فنأت الأيام بيننا وبينه وساحقت مسافاتنا عنه فبعدت الدار، وتراخى المزار. ولكنه الزمن الذي من شأنه التشتيت والدهر الذي من شرطه الإفاتة، ولقد أحسن أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي حيث يقول في هذا المعنى في كلمة له

أيا نكبة الدهر التي طوحت بنا ... أيادي سبا في شرقها والمغارب

قفي بالتي نهوى فقد طرت بالتي ... إليها تناهت فاجعات المصائب

وقال آخر

بلاد بها أنسى وأهلي وجيرتي ... وقد يتناسى الشيء وهو حبيب

ولولا الشوق إلى الوطن والحنين إلى المنشأ لم نذكر ما ذكرناه من هذه المعاني قال بعض الحكماء: إن من علامة وفاء المرء وحسن دوام عهده، حنينه إلى إخوانه وشوقه إلى أوطانه، وإن من علامة الرشد أن تكون النفس إلى مولدها مشتاقة، وإلى مسقط رأسها تواقة وقال آخر: عمر الله الأبدان، بحب الأوطان. فمن علامة كرم المحتد، الحنين إلى المولد قال المسعودي: وكثير ممن تقدم وتأخر من أهل صناعة النجوم إذا حصلوا أمر بغداد قالوا عرض وسط الإقليم الثالث أي بعده من خط الاستواء ثلاثون درجة واثنتان وثلاثون دقيقة وعرض وسط الإقليم الرابع ست وثلاثون درجة ثم قالوا عرض بغداد ثلاث وثلاثون درجة وتسع دقائق فبغداد إذاً عندهم كأنها قريبة من أن تكون بين وسطي الإقليمين الثالث والرابع والأكثر منهم يرى أنها من الإقليم الرابع على ما ذكرناه، وممن يرى ذلك من تقدم مارينوس ودورثيوس وغيرهما من الفلكيين

وعرض كل بلد هو بعده عن خط الاستواء وإن شئت قلت ارتفاع القطب عليه إن كان في النصف الشمالي من الأرض فارتفاع القطب الشمالي وإن كان في النصف الجنوبي من

الأرض فارتفاع القطب الجنوبي، لأنه كلما تباعدت المدينة عن خط الاستواء درجة ارتفع أحد القطبين درة وانخفض الآخر درجة والطول هو بعد المدينة من المغرب وربما كان بعدها من المشرق ومن المغرب إلى المشرق مائة وثمانون درجة فعرض بغداد ثلاث وثلاثون درجة وطولها سبعون درجة وكذلك عرض دمشق وعرض بغداد واحد وطول دمشق ستون درجة، وكذلك عرض مدينة القيروان من بلاد إفريقية من أرض المغرب، وكذلك أيضاً عرض بيت المقدس وقيسارية وصيدا وصور وأنطاكية ومدينة السيرجان من أرض كرمان ومما عرضه ثلاثون فسطاط مصر والبصرة وشيراز وشينيز وجنابا ومهروبان وتوج من أرض فارس والقندهار من أرض السند، ومما عرضه ست وثلاثون درجة مدينة حلب من جند قنسرين من أرض الشأم ومنبج وبالس والرقة ونصيبين ونهاوند من الماهات وهمذان وطرسوس من الثغر الشأمي وقم والري والموصل وبلد سميساط وجسر منبج ودباوند وقومس ومدينة نيسابور وبخارى وسمرقند وأشرو سنة من بلاد خراسان وكلما في الأقاليم من المدن فعلى خط واحد وإن كان ذلك مختلفاً عند من لا علم له بهذه الأمور لما يرى من اختلاف وضع هذه المدن وبعد المسافات بينها طولاً وعرضاً، والأقاليم كلها مستقيمة كذلك رأيتها في الصورة المأمونية وغيرها وأهوية هذه المواضع تختلف وإن اتفقت فيما ذكرنا من العرض وغيره لآفات وعوارض من ذلك أن يكون بخارات باردة وفي أعماق الأرض فتظهر فتكون سبيل تلك المواضع من الأرض أن ما يتولاها من الكواكب يوجب تأثير الحرارة فيها فيغلب ما ظهر من البرودة منها عليها تدفع فعل الكواكب، كالسروات من أرض التهائم وهي ثلاث سراة منها ما بين تهامة ونجد، أدناها وج وهي الطائف، وأقصاها قرب صنعاء من أرض اليمن والسروات أرض عالية وجبال مشرفة يجب أن تكون حارة لتأثير الكواكب إلا أن ما يظهر من بخار الأرض يغلب على البلد فصار بارداً وكذلك أيضاً دمشق عرضها وعرض بغداد واحد على ما ذكرنا فيما تقدم فيجب أن تكون حارة كحر بغداد؛ إلا أن البرد يغلب عليها لما يظهر من بحار الأرض من البرودة فكان الحكم له، وكذلك قد تكون مواضع من الأرض ما يتولاها من الكواكب يوجب تأثير البرودة فيها فيظهر من قعور

الأرض بخارات كثيرة حارة فتدفع ذلك وتصير الحكم لها وتجعل ذلك البلد حاراً ككثير من البلدان الحارة وقد تكون بقاع من الأرض يغلب على ما يظهر منها من البخار البارد تأثيرات الكواكب بالحر فيكون الحكم له ويغلب على ما ظهر منها من البخار الحار تأثيراتها بالبرد فيكون الحكم له ولعلل غير ذلك يطول ذكرها هي موجودة في كتب المتقدمين على الشرح والإيضاح وقد قدمنا فيما سمينا من كتبنا لمعاً من ذلك فأغنى عن إعادته في هذا الكتاب مع اشتراطنا على أنفسنا فيه الاختصار والإيجاز وفي القليل كفاية لمن كان له بالعلم عناية وكل ما كان على رأس قبة الأرض وراءها إلى الشق الشرقي فهو عند أهل الشق الغربي أرفع، لجهات منها أن المشرق لطلوع الكواكب وظهور النهار والمغرب لهبوطها وانخفاضها والثانية أن المشرق ذكر والمغرب أنثى وقسم هذا الكواكب المذكرة وقسم ذلك الكواكب المؤنثة والذكر أبداً أعلى من الأنثى، والثالثة أن حركة الفلك إلى المشرق هي ارتفاعه وحركته إلى المغرب هي انخفاضه والرابعة وهي الوجه العياني والمذهب القياسي أنا نجد بلد فارس أأرفع من العراق والعراق أرفع من الشأم والشأم أرفع من مصر والإسكندرية

من ذلك أن حساب بغداد مثل محمد بن موسى الخوارزمي ويحيى بن أبي منصور وسند بن علي وأبي معشر وغيرهم وجدوا طول بغداد من المشرق مائة درجة وعشر درجات يريدون من أفق القبة إلى وسط سماء بغداد وذلك يعرف بساعات وسط الكسوف في المواضع المختلفة المتباعدة ووجد أبطلميوس على ما عبر عنه ثاون الإسكندراني طول الإسكندرية من المشرق مائة وتسع وعشرة درجة ونصفاً فإذا طرحنا بعد بغداد من بعدها بقي تسع درجات ونصف فقلنا تطلع الشمس ببغداد قبل الإسكندرية بثلثي ساعة غير ثلثي عشر ساعة، وكذلك تخالف البلاد في العروض من ذلك أن ارتفاع القطب الشمالي عن أفق صنعاء من بلاد اليمن أربع عشرة درجة ونصف وارتفاعه على بغداد ثلاث وثلاثون درجة وكسر، ومن هذا يطول النهار في بلد ويقصر في بلد ومن الدليل على ذلك أن ارتفاع

سهيل في وسط سمائه على اليمن ثلاث وعشرون درجة وهو بالعراق على خط الأفق وبخراسان لا يرى ولا تغيب بنات نعش هنالك وتغيب باليمن وأشباه لهذا كثيرة قال المسعودي: وقد كان وزير المتوكل عبيد الله بن يحيى بن خاقان لما أمر المستعين بنفيه إلى برقة وذلك في سنة 348 فصار إلى الإسكندرية من بلاد مصر رأى حمرة الشمس على علو المنارة التي بها وقت المغيب فقدر أنه يلزمه أن لا يفطر إذ كان صائماً أو تغرب الشمس من جميع أقطار الأرض وذهب عليه من الله عز وجل إنما فرض على كل قوم أن يصوموا إلى أن تغيب الشمس في بلدهم لأن مغيبها يختلف بحسب اختلاف البلدان فيكون مغيبها في بلاد المشرق قبل مغيبها في بلدان المغرب كما كان طلوعها في المشرق قبل طلوعها في المغرب لما قدمناه من أقاويل المنجمين في ذلك، ويجوز أن يكون ذلك لأسباب استأثر الله بغيبها، فأمر عبيد الله إنساناً أن يصعد إلى أعالي منارة الإسكندرية ومعه حجر وأن يتأمل موضع سقوط قرص الشمس فإذا سقطت رمى بالحجر ففعل الرجل ذلك فوصل الحجر إلى قرار الأرض بعد صلاة العشاء الآخرة فجعل إفطاره بعد صلاة العشاء الآخرة فيما بعد إذا صام في مثل ذلك الوقت وكان عند رجوعه إلى سر من رأى لا يفطر إلا بعد العشاء الآخرة وعنده أن هذا فرضه، وأن الوقتين متساويان وهذا غاية ما يكون من قلة العلم بالفرض ومجاري أمر الشرق والغرب وقد ذكر أرسطاطاليس في كتاب الآثار العلوية أن بناحية المشرق الصيفي جبلاً شامخاً جداً وأن من علامة ارتفاعه أن الشمس لا تغيب عنه إلى ثلاث ساعات من الليل وتشرق عليه قبل الصبح بثلاث ساعات ومنارة الإسكندرية إحدى بنيان العالم العجيب، بناها بعض البطلميوسين من ملوك اليونانيين بعد وفاة الإسكندر بن فيلبس الملك، لما كان بينهم وبين ملوك رومية من الحروب في البر والبحر، فجعلوا هذه المنارة مرقباً في أعاليها مرآة عظيمة من نوع الأحجار المشفة يشاهد منها مراكب البحر إذا أقبلت من رومية على مسافة تعجز الأبصار عن إدراكها، فكانوا يراعون ذلك في تلك المرآة فيستعدون لهم قبل مرورهم وطول المنارة في هذا الوقت على التقريب مائتان وثلاثون ذراعاً وكان طولها قديماً نحو أربعمائة ذراع فهدمت على طول الزمان

وترادف الزلازل والأمطار لأن بلد الإسكندرية يمطر، وليس سبيلها سبيل فسطاط مصر إذ كان الغالب عليها أن لا تمطر إلا اليسير؛ وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب ما قال الناس في ذلك والسبب في امتناعه وبناؤها ثلاثة أشكال فقريب من النصف وأكثر من الثلث مربع الشكل، بناؤه بأحجار بيض يكون نحواً من مائة ذراع وعشرة أذرع على التقريب، ثم من بعد ذلك مثمن الشكل مبنى بالآجر والجص نحواً من نيف وستين ذراعاً وحواليه فضاء يدور فيه الإنسان، وأعلاها مدور

وكان أحمد ابن طولون أمير مصر والإسكندرية والشأم رم منه شيئاً وجعل في أعلاه قبة من الخشب ليصعد إليها من داخلها، وهي مبسوطة مؤربة بغير درج وفي جهة الجانب الشرقي من المنارة كتابة برصاص مدفون بقلم يوناني يكون طول كل حرف ذراعاً في عرض شبر ويكون مقدارها على وجه الأرض نحواً من مائة ذراع، وماء البحر قد بلغ أصلها وقد كان تهدم أحد أركانها الغربية مما يلي البحر فبناها أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون، وبينها وبين مدينة الإسكندرية في هذا الوقت نحو ميل، وهي على طرف لسان من الأرض قد ركب ماء البحر جنبيه، مبنية على فم ميناء الإسكندرية وليس بالميناء القديم لأن القديم في المدينة العتيقة لا ترسو فيه المراكب لبعده عن العمران، والميناء هو الموضع الذي ترسو فيه مراكب البحر، وأهل الإسكندرية يخبرون عن أسلافهم أنهم شاهدوا بين المنارة وبين البحر نحواً مما بين المدينة والمنارة في هذا الوقت، فغلب عليه ماء البحر في المدة اليسيرة، وأن ذلك في زيادة قال المسعودي: وتهدم في شهر رمضان سنة 344 نحو من ثلاثين ذراعاً من أعاليها بالزلزلة التي كانت ببلاد مصر وكثير من بلاد الشأم والمغرب في ساعة واحدة، على ما رودت به علينا الأخبار المتواترة ونحن بفسطاط مصر، وكانت عظيمة جداً مهولة فظيعة، أقامت نحو نصف ساعة زمانية وذلك النصف من يوم السبت لثماني عشرة ليلة خلت من هذا الشهر، وهو اليوم الخامس من كانون الآخر من شهور السريانيين، واليوم التاسع من ديماه من شهور الفرس، والتاسع أيضاً من طوبه من شهور القبط – وقد دخلنا أكثر

المواضع المشهورة بكثرة الزلازل وعظمها مثل بلاد سيراف من ساحل فارس وهي بين جبل وبحر وبلاد الصيمرة من مهرجان قذق وماسبذان من أرض الجبال، وهي في سفح جبل عظيم يقال له كبر ومدينة أنطاكية من جند قنسرين والعواصم، من أرض الشأم وهي في سفح جبل مطل عليها وبلاد قومس وهي كثيرة الزلازل جداً وتغور أعين وتفور في مواضع أخر لعظم ذلك، فالبلد شديد الاختلال. وبين بلاد قومس وبين نيسابور جبل عظيم شامخ طويل كثير المياه والأشجار والثمار والأودية وفيه خلق من العباد يأكلون من تلك الثمار ويأوون إلى كهوف وغيران هنالك يقال لهذا الجبل جبل مورجان، ومورجان قرية بقرب هذا الجبل والجبل بين هذه القرية وبين قرية من أعمال نيسابور تعرف بهفدرة تفسير ذلك سبعة أبواب، وذلك أول عمل خراسان لأن قومس عمل مفرد بين الري وخراسان ومدنها بسطام وسمنان والدامغان، ولها جبل آخر عظيم بينها وبين طبرستان يقال له قارن، ومدينة آمل ويطل عليها الجبل العظيم المعروف بدباوند ويقال إنه أعلى جبال العالم وكثير من مدن طبرستان وغير ذلك من البلاد – فلم أر أعظم أمراً من هذه الزلزلة ولا أطول مكثاً، وذلك أني تبينت تحت الأرض كالشيء العظيم يحاكّها ماراً تحتها وهازاً ومحركاً لها، كأنه أعظم منها وكأنها كالنائية عنه، ومع دوي عظيم في الجو وكانت السلامة بحمد الله شاملة للناس، والتهدم قليل وقد كان خسف بضياع كثيرة وقرى وعمائر واسعة من بلاد كش، ونسف مما يلي سمرقند من أرض خراسان، بزلازل تواترت كان مبدؤها من نحو بلاد الصين إلى أن اتصلت ببلاد فرغانة، وهذه البلاد هلك فيها خلق كثير من الناس فمنها ما صار موضعها آجاماً ومياهاً سوداً منتنه؛ ومنها ما صارت كالرماد لانقلابها في سفوح جبال شاهقة منيعة، وذلك مشهور ببلاد خراسان وغيرها، وقد ذكرنا ما قاله الناس من الشريعيين وغيرهم في الزلازل وحدوثها والهدات والخسوف وكونها فيما تقدم من كتبنا فإذ قد ذكرنا الأقاليم السبعة، وما قيل في أطوالها وعروضها، ووصفنا الإقليم الرافع وفضله على سائرها وما اتصل بذلك؛ فلنذكر البحار وكمية أعدادها ومقادير مسافاتها وغير ذلك من الأخبار عنها

ذكر البحار وأعدادها وما قيل في أطوالها وعروضها واتصالها وانفصالها، ومصبات عظام الأنهار إليها وما يحيط بها من الممالك وغير ذلك من أحوالها

تنازع من سلف وخلف في البحار وأعدادها ومسافاتها وأطوالها وعروضها واتصالها وانفصالها وجزرها وغير ذلك من أحوالها، ونحن ذاكرون أصح ما نقل في ذلك وأشهره ومبينوه، إذ كنا عنينا بذلك برهة من دهرنا وصرفنا إليه هممنا مشاهدة وخبراً، حتى وقفنا منه على ما نظن أنه استغلق على غيرنا علمه وغرب عليهم فهمه، فأول ما نبدأ من ذلك بوصف البحر الحبشي إذ كان أعظم ما في المعمور من البحار وأجلها قدراً وأعظمها خطراً لاكتناف الممالك الجليلة إياه، وما خص به من الجواهر النفسية وأنواع الطيب والعقاقير في قعوره وجزائره وشطوطه، وهذا حين نبتدئ بذلك على اختصار وإيجاز

ذكر الأول منها وهو الحبشي

البحر الحبشي هو بحر الصين والسند والهند والزنج والبصرة والأبلة وفارس وكرمان وعمان والبحرين والشحر واليمن وأيلة والقلزم من بلاد مصر والحبشة وليس في المعمور بحر أعظم منه وهو مساو في الطول لخط الاستواء آخذ من أقصى بلاد الحبشان التي في المغرب إلى أقصى بلاد الهند والصين في المشرق وطوله على هذا السمت فيما ذكر من عني بمساحة الأرض وتصويرها على مواضعها من العروض والأطوال الفلكية ثمانية آلاف ميل وعرضه في الشمال ألفان وسبعمائة وقيل ألف وتسعمائة ميل وممن ذهب إلى هذا القول أبطلميوس وغيره ممن تقدم عصره وتأخر عنه، وآخر من ذهب إلى ذلك في الإسلام يعقوب بن إسحاق الكندي في رسالة له في البحار والمد والجزر وغير ذلك، وتلميذه أحمد بن الطبب في رسالة له أيضاً في منافع البحار والجبال والأنهار وأدخل أبطلميوس هذا البحر في حد المعمور وذكر أنه ينتهي إلى أرض من الجنوب مجهولة، وذهب آخرون إلى أن طوله أربعة آلاف وخمسمائة فرسخ في مثلها فرد ذلك عليهم أصحاب القول الأول وأنكروه لأن أربعة

آلاف فرسخ وخمسمائة فرسخ ثمانية عشر ألف ميل إذ كان الفرسخ أربعة أميال بميل ثلاثة آلاف ذراع فيصير طول هذا البحر ثلاثة أرباع منطقة الأرض وهي أربعة وعشرون ألف ميل وعرضه ثلاثة أرباع ويصير الباقي من كرة الأرض المنكشف من ماء هذا البحر جزءاً يسيراً إذا أضيف إلى هذا البحر وليس الوجود كذلك والقول الأول أصح وعليه المعول لما بينا ومما يصب إليه من الأنهار العظام المشهورة الفرات ومخرجه من الإقليم السادس من ناحية قاليقلا وكانت من ثغور أرمينية من تحت جبل هنالك يدعى افرد خمش ويقطع بلاد الروم ويمر بالقرب من ملطية وسميساط وبالس والرقة والرحبة وهيت والأنبار ويأخذ منه نهر عيسى الذي ينتهي إلى مدينة السلام وكان يسمى نهر الرّفيل والصراة ونهر صرصر وجميعها تصب إلى دجلة ثم ينقسم الفرات إلى جهتين قسم منهما يتوجه يسيراً نحو المغرب يسمى العلقمي يمر بالكوفة وغيرها والقسم الآخر يسمى سورا يمر بمدينة سورا إلى النيل والطفوف ويسقي كثيراً من أعمال السواد ثم ينتهي جميع ذلك إلى بطيحة البصرة وواسط التي ينتهي منها إلى هذا البحر في دجلة العوراء التي تدعى بالفارسية بهمنشير وهي دجلة المفتح والأبلة وعبّادان فمسافته من ابتدائه إلى انتهائه خمسمائة فرسخ وقيل ستمائة فرسخ ودجلة ومخرجها من الإقليم الخامس من عيون بناحية آمد من الموضع المعروف بحصن ذي القرنين وتمر بجزيرة ابن عمر وباسورين وقبر سابور من بلاد قردى وبازبدي وباهدرا وبلد والموصل ويصب فيها الزاب الأكبر فوق العمر المعروف بعمر بارقانا من كورة المرج وذلك بين الموصل والحديث من الجانب الشرقي على فرسخ من الحديثة ومبدأ هذا النهر من بلاد مشنكهر حده بين آذربيجان وبابغيش ما بين أرض قطينا والموصل من عين في رأس جبل هنالك ينحدر، وهو شديد الحمرة ويجري في جبال وأودية وحزونة ويصفو من حمرته، ويمر بباشزّي وأرض حفتون إلى أن يصب في دجلة على ما ذكرنا فتكون مسافته إلى أن يصب إليها نحواً من عشرة أيام والزاب الأصغر فوق السن على ميل منها في الموضع المعروف بدير ابن كامش، ومخرجه من الموضع المعروف بدينور، والجبال المعروفة بسلق من رساتيق آذربيجان مما يلي شهرزور ومسافة جريانه إلى أن يصب في دجلة نحو من خمسة عشر يوماً

ثم تمر دجلة بمدينة السلام، فإذا خرجت عنها صبت إليها أنهار كثيرة من الجانب الشرقي منها ديالي ونهربين والنهروان، ومخرجه من جبال أرمينية وسيسر من بلاد آذربيجان وشهرزور وبلاد الصامغان؛ ثم يجتمع وينتهي إلى الموضع المعروف بباصلوي. ومما يلي جلولا وخانقين من طريق خراسان فسمي هناك تامرا، ويستمد من القواطيل الآخذة من دجلة ويصير إلى الموضع المعروف بباجسري على فرسخين من دسكرة الملك، وهناك يسمى النهروان ويمر ببلاد بعقوبا ويشق مدينة النهروان وهي جانبان وجسر بوران وعبرتاوبر زاطيا واسكاف بني الجنيد ويصب إلى دجلة بناحية جرجرايا، ثم تصير دجلة إلى واسط حتى تصب في بطيحة البصرة وتنتهي إلى البحر وقد ذكرنا في كتاب الاستذكار سبب انخراق دجلة وخروجها عن عمودها وذلك في أيام كسرى ابرويز ملك فارس وكان مجراها في جوخي وتغريقها طسوج الثرثور من بلاد كسكر وغيره حتى صارت بطائح على ما قدمنا. آثار عمود دجلة إلى وقتنا هذا بين فم الصّلح وبهندف وبادرايا وباكسايا وفامية العراق إلى بلاد باذبين ودبربي وقرقوب والطّيب وشابرزان والدّرمكان إلى نهر جور وإلى المذار، وقد يصب في الفرات ودجلة أنهار كثيرة مثل سربط وساتيدما وأرسناس والزّرم ونهر دوشا – وهو بين جزيرة ابن عمر وباسورين وخابور دجلة ومصبه إليها بين باسورين وقبر سابور ومخرجه من عين تعرف بعين البطريق من أرض الزوزان من بلاد أرمينية ويمر بين الجبل الجودي وجبل التنين وغيره وعليه قصور علي بن داود الكردي من الرهزادية وغيره، وسفان ومخرجه من ناحية العمر وقارة والجبل المعروف بعلم الشيطان مما يلي جبل طور عبدين وهو جبل فيه بقايا الأرمان من السريانيين وخابور الفرات ومخرجه من رأس العين وكانت تسمى عين الوردة ومصبه إلى الفرات بناحية قرقيسيا، وغير ذلك من الأنهار فمقدار مسافة دجلة من ابتدائها إلى انتهائها نحو من أربعمائة فرسخ وقيل أكثر من ذلك ومنها نهر مهران السند، ومخرجه من الإقليم الخامس من عيون في أعالي السند وجبالها من أرض قنّوج من مملكة بوورة وأرض قشمير والقندهار والطافن حتى ينتهي إلى مدينة المولتان، وتفسير المولتان فرج الذهب.وهناك يسمى مهران ثم ينتهي إلى بلاد المنصورة ويصب في البحر على نحو من فرسخين من مدينة

الديبل من ساحل السند وبين المنصورة وبين البحر نحو من سبعة أيام وفيه السوسمار وهو التمساح على حسب ما يكون في نيل مصر وزيادته في وقت زيادته وله بطائح وآجام عظيمة من القنا والقصب نحو من ثلاثمائة فرسخ فيه جنس من السنديقال لهم اليمدوهم خلق عظيم حزب لأهل المنصورة، ولهم بوارج في البحر تقطع على مراكب المسلمين المجتازة إلى أرض الهند والصين وجدة والقلزم وغيرها كالشواني في بحر الروم وقد ذكر أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في كتابه في الأخبار عن الأمصار وعجائب البلدان: أن مخرج مهران السند والنيل من موضع واحد؛ واستدل على ذلك باتفاق زيادتهما وكون التمساح فيهما وأن سبيل زراعتهم في البلدين واحد، ولا أدري كيف ذلك وقع له وقد توجد التماسيح في أكثر أخوار الهند وهي الخلجانات كخور صندابور وخلجان الزابج وغيرها وتلحق الناس وسائر الحيوانات منها الأذية على حسب ما يلحق أهل مصر وحيواناتهم وقد يتشعب من مهران هذا نهر آخر يسمى مهران الصغير فمقدار مسافة مهران الكبير من ابتدائه إلى انتهائه نحو من خمسمائة فرسخ وقيل أكثر من ذلك ومنها نهر الهند العظيم المعروف بجنجس وهو أعظم من مهران وعليه مساكن كثير من الأمم من أصناف الهند وغيرهم، ومخرجه من جبل بناحية التبت لا عمارة بينه وبين التبت إلى أن يصب في هذا البحر مما يلي الجزيرة المعروفة بجزيرة العراة من جزائر الهند، فمسافته من ابتدائه إلى انتهائه أربعمائة فرسخ وقيل خمسمائة فرسخ. وعلى هذا النهر كان القتاء الإسكندر بن فيلبس وفور ملك الهند، لا تناكر بين الهند في ذلك وغير ذلك من الأنهار العظام كأنهار بلاد الأهواز؛ المشرقان، ودجيل، وغيرهما وأنهار فارس وكرمان والهرمند؛ نهر سجستان، وغزنين، والدّوار، وغير ذلك من بلاد زابلسنان وكابل وتيزمكران والسند والهند والصين وجبال الصغد وفرغانة وغير ذلك مما أحاط به من الممالك

ذكر البحر الثاني وهو الرومي

والبحر الثاني وهو الرومي هو بحر الروم والشأم ومصر والمغرب والأندلس والإفرنجة والصقالبة ورومية وغيرهم من الأمم، طوله خمسة آلاف ميل وعرضه مختلف فمنه ثمانمائة ميل ومنه سبعمائة ميل ومنه ستمائة وأقل من ذلك وأكثر على حسب مضايقة البر للبحر والبحر للبر على مرور الأزمان وذهب قوم إلى أن طوله ستة آلاف ميل، وأعرض موضع فيه أربعمائة ميل، ومبدؤه خليج آخذ من بحر أوقيانس المحيط يعرف بالزّقاق معترض بين طنجة وسبتة من سواحل إفريقية وبين سواحل جزيرة أم حكيم وغيرها من سواحل جزيرة الأندلس، عرضه هنالك نحو من عشرة أميال، وجريته بينة تكون من مبدئه إلى أن يتسع ويعظم نحواً من ثلاثة أيام ومما يصب إلى هذا البحر من الأنهار العظام المشهورة النيل ومبدؤه من عين تخرج من جبل القمر وراء خط الاستواء بسبع درج ونصف، وذلك مائة فرسخ وأحد وأربعون فرسخاً وثلثا فرسخ، ويكون أميالاً وأربعمائة ميل وخمسة وعشرين ميلاً ثم يتشعب من هذه العين عشرة أنهار تصب كل خمسة منها في بطيحة من بطيحتين في الناحية الجنوبية وراء خط الاستواء ثم يتشعب من كل بطيحة منها ثلاثة أنهار تجتمع جميعاً إلى بطيحة في الإقليم الأول فيخرج من هذه البطيحة نيل مصر فيقطع بلاد السودان ويمر بمدينة علوة دار مملكة النوبة، ثم بمدينة دنقلة لهم أيضاً ويخرج عن الإقليم الأول حتى ينتهي إلى الإقليم الثاني ويصير إلى مدينة أسوان من صعيد مصر، وهي أول مدن الإسلام مما يلي النوبة ثم يقطع صعيد مصر ويمر بفسطاطها إلى أن يصب في البحر الرومي من مصاب كثيرة وكذلك في الإقليم الثالث ومن خط الاستواء إلى مدينة الإسكندرية التي إليها ينتهي أحد مصبات النيل على شاطئ البحر ثلاثون درجة تكون من الأميال ألف ميل وثمانمائة ميل وعشرين ميلاً يكون فراسخ ستمائة فرسخ وستة فراسخ وثلثي فرسخ فيكون من مبدئه من جبل القمر إلى منتهاه في البحر الرومي سبعمائة فرسخ وثمانية وأربعين فرسخاً وثلثي فرسخ، تكون أميالاً ألفين ومائتين وخمسة وأربعين ميلاً ومن الناس من يرى أن من مبدئه إلى مصبه ألف فرسخ ومائة فرسخ ونيفاً وثلاثين فرسخاً ويقرب من جبل القمر هذا كثير من أحواز الزنج ومساكنهم إلى أن يتصل ذلك ببلاد سفالة الزنج وجزيرة قنبلو وأهلها

مسلمون وبلاد بربرا وحفوني وقد ذكرنا فيما سلف من كتبنا العلة في نسبة هذا الجبل إلى القمر وما يظهر فيه من التأثيرات البينة العجيبة عند زيادة القمر ونقصانه، وما قالته الفلاسفة في ذلك وأصحاب الاثنين من المانوية وغيرهم ومنها نحر سيحان ونهر أذنة من الثغر الشأمي ومخرجه من مدينة سيحان من ناحية ملطية من الثغر الجزيري وإن كان قد غلب على أكثره في وقتنا هذا الروم والأرمن ونهر جيحان وهو نهر المصيصة من الثغر الشأمي أيضاً ومخرجه من الإقليم السابع من عيون وراء بلاد مرعش وبردان نهر طرسوس من الثغر الشأمي ومخرجه من عيون تحت العقبة المعروفة بعقبة الأكواخ من جبل ترابي أحمر مما يلي هرقلة من بند القبادق فإذا جرى نحواً من ميل انقسم قسمين قسم يمضي إلى هرقلة وقسم يصير إلى طرسوس فإذا صار على بريدين منهما إلى الموضع المعروف بالقطالية صب إليه نهر يعرف بالفاتر غزير الماء مخرجه من عقبة تحت العقبة المعروفة بعقبة البراذع يكون جريانه إلى أن يصب إلى بردان نحو يوم وليلة، وإنما سمي الفاتر بالضد لشدة برودته ثم يشق بردان مدينة طرسوس ويصب إلى البحر الومي على ستة أميال منها والأرنط نهر حمص وحماة وشيزر وأنطاكية الخارج من القرية المعروفة باللبوة بين حمص ودمشق ويشق بحيرة قدس وبحيرة فامية ويصب إليه بالقرب من أنطاكية نهر الرقيا الخارج من بحيرة جندارس

وغير ذلك من الأنهار العظيمة التي تصب إلى هذا البحر من بلاد الأندلس والإفرنجة وبلاد الصقالبة ورومية وسائر بلاد الروم وإليه ينحلب كثير من مياه الشمال من خليج
القسطنطينية الآخذ من بحيرة مايطس على ما نذكره فيما يرد من هذا الكتاب، وقد ذكرنا فيما سلف من كتبنا العلة في ارتفاع الشمال على الجنوب وكثرة مياهه وقلتها في الجنوب وما قالته الفلاسفة وأصحاب الاثنين وغيرهم من الحكماء في ذلك، وما في هذا البحر من الجزائر العظام كجزيرة قبرس وجزيرة أقريطش وجزيرة صقلية وما يليها من جبل البركان، ومنه تخرج عين النار التي تعرف بأمطة صقلية يستضيء بضوء نارها السفر على أكثر من مائة فرسخ براً وبحراً في الليل، ويرى في شراره إذا علا لهبه في الجو جثث كأبدان الناس وتنعكس

إلى البحر وتطفو فوق الماء فهو الحجر الأبيض الخفيف الذي يحك به الكتابة من الدفاتر والرقوق وغيرها ويعرف بالفنسك ويسمى أيضاً القيشورا، وقد يوجد بنواحي هذه الأطمة الحجر المعروف بالنشب النافع لأوجاع البطن والمعدة إذا علق عليها وللماء الأصفر وقد يفعل ذلك الحجر المعروف بالبسّد وهو أصل المرجان وهو من هذا البحر يخرج، وفي هذه الأطمة هلك فرفوريوس صاحب كتاب ايساغوجي وهو المدخل إلى كتب ارسطاطاليس في المنطق، وقد ذكر ذلك غير واحد ممن تقدم وتأخر منهم يعقوب بن إسحاق الكندي وأحمد بن الطيب في أول مختصره لكتب المنطق

ذكر البحر الثالث وهو الخزري

والبحر الخزري هو بحر الخزر والباب والأبواب وأرمينية وآذربيجان وموقان والجيل والديلم وآبسكون وهي ساحل جرجان وطبرستان وخوارزم وغير ذلك من دور الأعاجم ومساكنهم المطيفة به طول ثمانمائة ميل وعرضه ستمائة ميل وقيل أكثر من ذلك وهو مصراني الشكل إلى الطول ما هو، ومن الناس من يسميه البحر الخراساني لاتصاله ببلاد خوارزم من أرض خراسان وعليه كثير من بوادي الغزيّة من الترك في مفاوز هنالك، وعليه أيضاً الموضع المعروف بباكه وهي النفّاطة من مملكة شروان مما يلي الباب والأبواب؛ ومن هناك يمل النفط الأبيض وهناك آطام وهي عيون النيران تظهر من الأرض، وفيه جزائر مقابل النفاطة فيها عيون للنيران كبيرة، ترى في الليل على مسافة نائية وقد ذكرنا في كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر أخبار سائر الآطام مما في المعمور من الأرض كأطمة صقلية المقدم ذكرها وأطمة وادي برهوت من بلاد الشحر وحضرموت وآطام البحر الخزري والباب والأبواب وأطمة آسك من بلاد الهنديجان وذلك بين بلاد فارس والأهواز، ترى بالليل من مسيرة أكثر من أربعين فرسخاً وأمرها أشهر لكثرة السفر في ذلك الطريق وأطمة اربوجان مما يلي السيروان من بلاد ماسبذان وهي المعروفة بحمة تومان مما يلي منجلان وذلك يرى على أربعين فرسخاً من بغداد على طريق البندنيجين وأبراز الروز وكالأطمة العظيمة التي في مملكة المهراج ملك جزائر الزابج وغيرها في البحر الصيني منها كله وسربزة والمهراج سمة لكل من

ملكها وملكه لا يضبط كثرة ولا تحصى جنوده، ولا يستطيع أحد من الناس أن يطوف في أسرع ما يكون من المراكب بجزائره في سنتين جميعها عامر قد حاز هذا الملك أنواع الطيب والأفاويه فليس لأحد من الملوك ما له وما يجهز من أرضه من ذلك الكافور والعود والقرنفل والصندل والجوزبوا والقاقلة والكبابة وغير ذلك وهذه الأطمة في جبال في أطراف جزائره فهي بالنهار سوداء لغلبة ضوء الشمس وبالليل حمراء يلحق لهبها بأعنان السماء لعلوها وذهابها في الجو ويظهر منها كأشد ما يكون من أصوات الرعود والصواعق وربما يظهر منها صوت عجيب مفزع يسمع على المسافة النئلية ينذر بموت بعض ملوكهم وربما يكون أخفض من ذلك فينذر بموت بعض رؤسائهم فقد عرف بما ينذر من ذلك موت الملوك من غيرهم بطول العادات والتجارب على قديم الزمان، وأن ذلك غير متخلف وتلي هذه الجبال الجزيرة التي يسمع منها على دوام الأوقات كأصوات العيدان والسرنايات والطبول وسائر أنواع الملاهي المطربة وكأنأنواع الرقص والتصفيق يميز السامع لذلك بين صوت كل نوع منها والبحريون من أهل سيراف وعمان وغيرهم ممن اجتاز بتلك النواحي يزعمون أن الدجال في تلك الجزيرة وأمرها مشتهر، وغير ذلك من الآطام

ومما يصب إلى هذا البحر من الأنهار العظام المشهورة نهر أرتيش الأسود ونهر أرتيش الأبيض وهما عظيمان يزيد كل واحد منهما على دجلة والفرات وبين مصبيهما نحو من عشرة أيام وعليهما مشتى ومصيف الكيماكية والغزية من الترك ونهر الكر الذي يجتاز ببلاد تفليس ومدينة صغدبيل من أرض جرزان ثم ببلاد برذعة ويجتمع مع نهر الرس الذي هو نهر ورثان فيصبان جميعاً فيه ونهر اسبيذورذ ومخرجه من ناحية سيسر وشاه روذ وهما يجتازان ببلاد آذربيجان والديلم ونهر الخزر الذي يمر بمدينة أتل دار مملكة الخزر في هذا الوقت وكانت دار مملكتهم قبل ذلك مدينة بلنجر. وإليه يصب نهر برطاس؛ وبرطاس أمة عظيمة من الترك بين بلاد خوارزم ومملكة الخزر إلا أنها مضافة إلى الخزر تجري في هذا النهر السفن العظام بالتجارات وأنواع الأمتعة من بلاد خوارزم وغيرها، ومن بلاد برطاس تحمل جلود

الثعالب السود، وهي أكرم الأوبار وأكثرها ثمناً، ومنها الأحمر والأبيض الذي لا يفضل بينه وبين الفنك والخلنجي وشرها النوع المعروف بالأعرابي وليس يوجد الأسود منها في العالم إلا في هذا الصقع وما قرب منه، ويتباهى ملوك الأمم من الأعاجم بلبس هذه الجلود ويتخذ منها القلانس والفراء ويبلغ الأسود منها الثمن الكثير، وقد يحمل منه إلى ناحية الباب والأبواب وبرذعة وغير ذلك من بلاد خراسان، وربما يحمل إلى بلاد الجربي من أرض الصقالبة لاتصالها بالجربي، ثم إلى بلاد الإفرنجة والأندلس ويصار بهذه الجلود من السود والحمر إلى بلاد المغرب فيتوهم المتوهم أنها من بلاد الأندلس وما اتصل بها من ديار الإفرنجة والصقالبة، وطبعها حار يابس شديد الحرارة يدل على ذلك مرارة لحمه، وجلده أشد حراً من جلود سائر الأوبار وهو يشبه في مزاجه بالنار لغلبة الحرارة واليبس عليه ويصلح لبسه للمرطوبين والشيوخ، وقد كان المهدي في مقامه بالري أحب امتحان أي الأوبار أشد حرارة، فعمد إلى عدة قوارير فملأها ماء وشد رؤوسها بأنواع من الأوبار، وكان ذلك في سنة شديدة البرد كثيرة الثلج، ثم دعا بها حين أصبح فوجدها جامدة إلا ما شد رأسه بجلد الثعلب الأسود فإنه لم يجمد، فعلم أنه أشدها حراً ويبساً ومنها نهر الخزر، المعروف بأوم، وهو من أعظم دجلة والفرات والنهر العظيم المعروف بكزل روذ تفسير ذلك نهر الذئب وتنحلب إليه المياه من جبل القبق ومصبه هذا إلى البحر مما يلي الباب والأبواب، وعليه هناك قنطرة عظيمة عجيبة البناء نحو من قنطرة سنجة وقنطرة سنجة إحدى عجائب العالم وهي بناحية سميساط من الثغور الجزرية وسنجة نهر تعرف القنطرة به يصب إلى الفرات ومنها نهر كالف وهو جيحون نهر بلخ والترمذ وخوارزم مبدؤه من عيون في الإقليم الخامس وراء الرباط المعروف ببدخشان، وهو على نحو عشرين يوماً من مدينة بلخ، وآخر أعمالها من ذلك الوجه وهذا الرباط ثغر بإزاء أجناس من الترك يقال لهم أوخان وتبت وأيغان حضر وبدو ويعرف هذا النهر هناك بهذا الجنس أيغان ويصب إليه أنهار كثيرة وينحلب إليه مياه عظيمة فيكمل هذا النهر فوق مدينة الترمذ بفرسخين ويدعى هذا الموضع ماله ويعظم ماؤه ويكثر يستبحر ويأتي الترمذ وهي عالية راكبة عليه من الجانب

الشرقي مقابلة لرباط لبلخ من الجانب الغربي على اثني عشر فرسخاً من بلخ وهذا الموضع أضيق أعبار هذا النهر وأغزرها ماء عرضه نحو من ميلين وقد ينبسط في غير هذا العبر كعبر زمّ وهو أسفل من عبر الترمذ بنحو من أربعين فرسخاً، وزم مدينة من الجانب الغربي بالقرب من هذا العبر بين رمال ودهاس وما قابلها من المشرق فلا عمارة فيها وهي صحراء تؤدي إلى بلاد نخشب وسمرقند وغيرها وعبر آموا وهو أسفل من عبر زم بنحو خمسين فرسخاً وآموا مدينة في الجانب الغربي على نحو أربعة أميال من النهر يقابلها من الجانب الشرقي منه مدينة يقال لها فربر على ميلين من هذا النهر

ومن فربر إلى بخارى دار مملكة آل إسماعيل بن أحمد بن أسد بن أحمد ابن سامان خداه صاحب خراسان ثمانية عشر فرسخاً منها خمسة عشر إلى السور الأعظم المحيط ببخارى وعمائرها، ومن باب السور إلى مدينة بخارى ثلاثة فراسخ بنى هذا السور ملك من ملوك الصغد في سالف الدهر مانعاً لغارات أجناس الترك ودافعاً لأذيتهم، وجدد في أيام المهدي وقد كان تهدم على يدي أبي العباس الطوسي أمير خراسان على ما ذكر سلمويه في كتابه في الدولة العباسية وأمراء خراسان وعبر خوارزم وهو أسفل من عبر آموا بنحو سبعين فرسخاً، يقال إن الإسكندر بن فيلبس الملك قطع عبر الترمذ في خمسة أشهر بجسر عقدة من خمسمائة سفينة كثرة جنوده وأتباعه ثم يأتي هذا النهر بلاد خوارزم ويصب في البحيرة المعروفة بالجرجانية والجرجانية مدينة بالقرب من هذا المصب وهي من أعظم البحيرات في المعمور مسافتها نحو من أربعين يوماً في مثلها ويخرج من هذه البحيرة أنهار عظيمة تصب في البحر الخزري، إلى هذه البحيرة يصب نهر الشاش وهو مغيض وجوب لا يسقي بلاد الشاش وإنما سقيهم وشربهم من نهر عظيم يعرف بترك يصب في النهر هو ونهر فرغانة ونهر حجندة أيضاً ويمر ببلاد الفاراب وقد عظم واستبحر وتجري فيه السفن إلى هذه البحيرة بأنواع الأمتعة حتى تخرج إلى بلاد خوارزم من مصب جيحون وهذا النهر يتبحر في إبان زيادته وذلك من أول كانون الثاني فيركب الأرض من الجهة المقابلة لبلاد فاراب لانخفاضها

أكثر من ثلاثين فرسخاً عرضاً والقرى والضياع على رءوس التلال والروابي كالقلاع، لا سبيل لبعضهم إلى بعض إلا في الزواريق وسبيل هذا الموضع في الشرب سبيل نيل مصر في الزيادة إلا أن أوقاتها مخلفة فيركب الأرض وينبسط عليها ما لا يركبه نيل مصر، لأن أكثر ما يركب نيل مصر الأرض من جانبيه نحو من فرسخين سيحاً وفي خلجان وقد قيل إن نهر جيحون ينتهي إلى آجام وبطائح فيغور فيها وقد قيل إنه يصب في بحر الهند مما يلي كرمان وقد دخلنا بلاد فارس وكرمان وسجستان صرودها وجرومها فلم نجد لذلك حقيقة لأن الأنهار التي تصب ببلاد كرمان إلى البحر من ناحية هرموز ساحل كرمان وغيرها معروفة، فيكون مسافة جريان جيحون على وجه الأرض من مبدئه إلى مصبه في هذه البحيرة نحواً من أربعمائة فرسخ وقيل أكثر من ذلك وقيل أقل منه

ذكر البحر الرابع وهو بنطس

والبحر الرابع وهو بحر بنطس هو بحر البرغر والروس وغيرهم من الأمم يمتد من الشمال من ناحية المدينة التي تدعى لازقة وذلك وراء القسطنطينية طوله ألف ميل وثلاثمائة ميل في عرض ثلاثمائة ميل ويتصل ببحيرة مايطس وطولها ثلاثمائة ميل وعرضها مائة ميل وهي في طرف العمارة من الشمال وبعضها تحت القطب الشمالي وبقرب منها مدينة ليس بعدها عمارة تسمى تولية ومنها يخرج خليج القسطنطينية الذي يصب إلى بحر الروم طوله ثلاثمائة ميل ونحو من خمسين ميلاً على ما نذكره فيما يرد من هذا الكتاب، وجريه وانصبابه في المواضع الضيقة بين وماؤه بارد، ومن الناس من يعد هذا البحر وهذه البحيرة بحراً واحداً. ويتصل هذا البحر من بعض جهاته ببحر الباب والأبواب من خليج وأنهار عظام هنالك ولأجل ذلك غلط قوم من مصنفي الكتب في البحر ومعمور الأرض، فزعموا أن بحر بنطس وبحيرة مايطس وبحر الخزر شيء واحد ومما يصب إلى هذا البحر من الأنهار العظام المشهورة النهر العظيم المسمى طنايس مبدؤه من الشمال وعليه كثير من مساكن الصقالبة وغيرهم من الأمم الواغلين في الشمال وغيره من الأنهار الكبار مثل نهر دنبه وملاوة وهذا اسمه بالصقلبية أيضاً وهو نهر عظيم عرضه نحو من ثلاثة أميال وهو وراء القسطنطينية بأيام

عليه دور الناجين والمراوة من الصقالبة، وقد سكنها كثير من البرغر حين تنصروا، وقيل إن منه يأخذ نهر ترك الذي هو نهر الشاش المقدم ذكره

ذكر بحر أوقيانس وهو المحيط

فأما البحر المحيط الذي هو عند أكثر الناس معظم البحار وعنصرها وأنها منه تتشعب، ويسميه كثير منهم الأخضر، ويسمي باليونانية أوقيانس وأكثر نهاياته مجهولة عند أبطلميوس وغيره فإنه يبتدئ من نهاية العمارة في الشمال إلى أن يصير إلى المغرب وينتهي إلى نهاية العمارة في الجنوب وليس له في غربيه ولا شماليه نهاية محدودة، ويتصل ببحر الصين مما يلي الزابج وجزائر المهراج وشلاهط وهرلج، وفي هذا البحر مما يلي مغربه الجزائر المسماة الخالدات ومما يلي شماله الجزائر المسماة برطانية وهي اثنتا عشرة جزيرة، وعليه من بعض جهاته كثير من مدن الأندلس والإفرنجة ومن جهة أخرى مدن من مدن المغرب مما يلي بلاد أبي عفير وبصرة المغرب، ثم مساكن البربر الذين يدعون أصحاب الأخصاص وكثير من مساكن السودان ويصب إليه أنهار عظيمة من بلاد الأندلس والإفرنجة وغيرهم من الأمم منها نهر قرطبة قصبة الأندلس في هذا الوقت ودار مملكة بني أمية، مبدأ هذا النهر من جبل على نحو ستة أيام من قرطبة يدعى لينشكه، ويجري في هذا النهر مراكب كثيرة إلى قرطبة فإذا فصل عنها صار إلى مدينة شبيلية وهي على يومين من قرطبة ومن شبيلية إلى مصبه في هذا البحر يومان، وعلى هذا البحر المحيط مما يلي الأندلس جزيرة تعرف بقادس مقابلة لمدينة شذونة من مدن الأندلس بينها وبين شذونة نحو من اثني عشر ميلاً في هذه الجزيرة منارة عظيمة عجيبة البنيان على أعاليها عمود عليه تمثال من النحاس يرى من شذونة، وورائها لعظمه وارتفاعه، ووراءه في هذا البحر على مسافات معلومة تماثيل أخر في جرائر يرى بعضها من بعض وهي التماثيل التي تدعى الهرقلية، بناها في سالف الزمان هرقل الملك الجبار تنذر من رآها أن لا طريق وراؤها ولا مذهب، بخطوط على صدورها بينة ظاهرة ببعض الأقلام القديمة وضروب من الإشارات بأيد هذه التماثيل تنوب عن تلك

الخطوط لمن لا يحسن قراءتها؛ صلاحاً للعباد ومنعاً لهم في ذلك البحر من التغرير بأنفسهم. وأمر هذه الأصنام مشهور من قديم الزمان إلى هذا الوقت وهو سنة 345 قد ذكرتها الفلاسفة القدماء وغيرهم ممن عني بهيئة الأرض وأخبار العالم، منهم صاحب المنطق في كتابه في الآثار العلوية وهو أربع مقالات، فقال في المقالة الأولى منه – عند ذكره النهر المعروف بطرسيوس – ويسيل إلى أن يبلغ خارجاً من الأصنام التي أقامها هرقل الملك الجبار وذكر ذلك أيضاً في آخر المقالة الثانية من كتاب السماء والعالم وهو أربع مقالات أيضاً حين ذكر صغر الأرض فقال: الدليل على صغر الأرض ما يزعمون أن الموضع الذي يدعى أصنام هرقل يختلط بأول حد من حدود الهند، فلذلك قالوا إن البحر واحد وذكر أيضاً وبينه الإسكندر الإفروديسي في شرحه لكتاب أرسطاطاليس في الآثار العلوية وهي أكبر النسخ في الآثار تكون نحواً من خمسمائة ورقة وقد ذكر أبطلميوس في كتابه في المدخل إلى الصناعة الكرية أن من وراء خط الاستواء تحت مدار الجدي سودان مثل السودان التي تحت مدار رأس السرطان من دون خط الاستواء مما يلي الشمال، وأن بحر أوقيانس يأتي من ناحية المشرق الشتوي وهو مطلع الجدي ثم ينعطف من المشرق الشتوي إلى ناحية الشمال إلى أن ينتهي إلى المغرب الصيفي وهو مغرب السرطان وذكر أنه إنما وقف على هذا من الكتب التي دونت فيها أخبار المساكن التي عن جنوب بلاد مصر وأنهم وصلوا إلى ذلك بعناية ملوك مصر وأنفاذهم ثقاتهم إلى تلك النواحي ليعرف من هناك من الأمم

قال المسعودي: وقد ذهب كثير من الناس إلى أن تحديدهم لمقادير مسافات هذه البحار إنما هو على طريق التقريب والتخمين، إذ كان ذلك لا يحاط به لعجز البشر عن مشاهدته وبلوغ غاياته، وقد ذكرنا فيما سمينا من كتبنا السالفة ما قاله صاحب المنطق في كتابه في الآثار العلوية ومن تقدم عنه وتأخر في علة انتقال البحار والأنهار عن مواضعها، وشباب الأرض وهرمها وحياتها وموتها، والكلام في كيفية المد والجزر السنوي والقمري الذي هو الشهري، ولأية علة صار في بعض البحار أظهر وأقوى كالبحر الحبشي وبحر أوقيانس

المحيط، وفي بعضها أضعف وأخفى كبحر الروم والخزرى ومايطس. على أنه قد يظهر في بحر الروم مما يلي المغرب ظهوراً بيناً حتى أن مدينة في جزيرة من سواحل إفريقية يقال لها جربة بينها وبين البحر نحو ميل تخرج مواشيهم غدواً حين يجزر الماء وينضب فترعى ثم تروح عشياً قبل المد، وقول بعض أهل الشرائع إن المد والجزر من فعل ملك وكله الله عز وجل بذلك في أقاصي البحار، يضع رجله أو بعض أصابعه فيها فتمتلئ فيكون المد، ثم يرفعها الماء إلى موضعه فهو الجزر. وقول من قال منهم إن ذلك لأمور استأثر الله بغيبها لم يطلع أحداً من خلقه عليها ليعتبروا بذلك ويستدلوا على وحدانيته وعجيب حكمته، وتنازع الأوائل في ذلك من فلاسفة الأمم وحكمائهم أهو من أفعال الشمس أم من أفعال القمر عند زيادة نوره فيكون منه المد؟ أم عند نقصانه فيكون الجزر؟ على حسب ما يظهر من أفعاله عند زيادته في أبدان الحيوان من الناطقين وغيرهم من القوة وغلبة السخونة والرطوبة والكون والنمو عليها، وأن الأخلاط التي تكون في أبدان الناس كالدم والبلغم وغيرهما عند ذلك تكون في ظاهر الأبدان والعروق ويزيد ظاهر البدن بلة ورطوبة وحسناً، وأن الأبدان عند نقصان نوره تكون أضعف والبرد عليها أغلب وتكون هذه الأخلاط في غور البدن والعروق ويزداد ظاهر البدن يبساً، وذلك ظاهر عند ذوي المعرفة والعلم بالطب، وما يظهر من أحوال الأمراض في زيادته ونقصانه وأن أبدان الذين يمرضون في أول الشهر تكون على دفع الأمراض والعلل أقوى من أبدان الذين يمرضون آخر الشهر تكون على دفع العلل أضعف وكذلك ما يعلم من دلالته في أنواع البحران في اليوم السابع من الأمراض والرابع عشر والحادي والعشرين والثامن والعشرين إذ كان القمر أربعة أشكال شكل التنصيف وشكل التمام وشكل التنصيف عن التمام وشكل المحاق فإن لكل شكل من هذه سبعة أيام لأنه في سبعة أيام ينتصف وفي الرابع عشر يتم وفي الحادي والعشرين ينتصف وفي الثامن والعشرين يمتحق فكذلك البحرانات تصح في السابع والرابع عشر والحادي والعشرين والثامن والعشرين وتصح في تنصيفات هذه إذ كانت هذه الأشكال أثبت أشكال الشيء المنقسم وغير ذلك من تنازع الناس في كيفية البحران، وأن نتاج سائر الحيوان إذا كان في

أول الشهر كان المولود أتم وأعظم منه إذا كان في آخره، وما يظهر عند زيادته من النمو والزيادة في شعر الحيوان وأدمغته والألبان والبيض، وحيض النساء وكثرة السمك في البحار والأنهار وغيرها، ونمو الأشجار والبقول والفواكه والرياحين وسائر النبات وغير ذلك مما يعلمه أصحاب الفلاحة ونقصان جميع ذلك عند نقصانه، وكذلك المعادن وزيادتها أول الشهر في جواهرها وحسن بصيصها وصفائها، وأن لسع سائر حشرات الأرض من الحيات والعقارب وغيرها وأفعال سائر السباع تكون في أول الشهر أقوى وأشد وفي آخره أنقص وأضعف وغير ذلك من أفعاله، وغير ما لم نأت على وصفه وإنما نذكر الشيء اليسير منبهين بذلك على الشيء الكثير والكواكب السبعة التي هي النيران والخمسة المتحيرة وغيرها لها تأثيرات في هذا العالم عند ذوي المعرفة بالنجوم، إلا أن تأثيرات القمر في العالم الأرضي أبين منها لقربه منه وبعدها عنه

وذلك موجود في كتب الأوائل على الشرح والإيضاح، ولثابت بن قرة الحراني كتاب جمع فيه ما ذكره جالينوس في سائر كتبه من أفعال النيرين وهما الشمس والقمر في هذا العالم أفادناه ابنه سنان بن ثابت، وكذلك ذكرنا فيما وصفنا من كتبنا ما خص به كل بحر من البحار من أنواع الجواهر الحيوانية منها والمعدنية والحجرية كاللؤلؤ والياقوت والمرجان وغيره والأدوية والعقاقير والطيب وغير ذلك، وما السبب في ملوحة ماء البحار ومرارتها وغلظها وكثافتها، ولأية علة لا نتبين فيها الزيادة مع كثرة موادها من الأنهار التي تصب إليها وحملها السفن الثقيلة حتى إذا صارت إلى العذب من الأنهار عرف غرق بعضها؛ للطافة العذب وكثافة المالح، إذ كان الغليظ يمنع من الرسوب فيه. وقد استولى صاحب المنطق في كتاب الآثار العلوية على ذلك بأنه إن أخذ بيضة فصيرها في إناء فيه ماء عذب رسبت فيه، وإن ألقى في الماء ملحاً يغلب عليه وتركه حتى ينحل فيه، أو أخذ من ماء البحر فصير البيضة فيه وجدها طافية. قال ويذكر الملاحون أنهم يجدون السفينة التي تغرق في الماء العذب أبعد رسوباً من التي تغرق في الماء المالح، واستدل ببحيرة فلسطين فإنها شديدة المرارة والملوحة،

وأنه إن أخذ إنسان أو دابة فشد وثاقه وألقى فيها وجد طافياً على الماء لخفته عند غلظ الماء وثقله، وإن غمس فيها ثوب وسخ استنقى من ساعته لشدة المرارة والملوحة، وأنه لا يكون فيها شيء من السمك قال المسعودي: وهذه البحيرة التي ذكرها أرسطاطاليس وغيره هي البحيرة المنتنة بحيرة أريحا وزغر وقد شاهدناها وإليها يصب نهر الأردن الخارج من بحيرة طبرية ومواد بحيرة طبرية من نهر يصب إليها يخرج من بحيرة قدس وكفرلي يتحلب إلى هذه البحيرة مياه كثيرة من أعمال دمشق مما يلي القرعون والخيط وغيره. وإذا شق نهر الأردن البحيرة المنتنة وانتهى إلى وسطها متميزاً من مائها غار هناك فخرج بين كفر سابا البريد وبين الرملة من بلاد فلسطين من عين عظيمة وهي نهر أبي فطرس يصب في البحر الرومي يكون مسافته على وجه الأرض بعض يوم وماؤه كالزئبق ثقلاً وعليه الجادة، وإنما عرف ما ذكرنا بأشياء ألقيت في نهر الأردن فظهرت في عين نهر أبي فطرس من امتحن ذلك بعض ذوي العناية بأمور العالم ممن ملك هذه البلاد في سالف الزمان فيما قيل وكذلك ذكر في زرنروذ نهر أصبهان إنه ينتهي إلى رمل في آخر كورتها فيغور ثم يظهر بكرمان ويصب في البحر الحبشي، وإنه إنما عرف بذلك بأن بعض الملوك السالفة كتب على قصب وطرحه في موضع مغيضه فظهر بنهر كرمان وقد شاهدناه وهو نهر حسن وللفرس فيه أشعار كثيرة، وليس في هذه البحيرة المنتنة ذو روح من سمك ولا غيره، ومنها يخرج الحمر الذي يسمي قفر اليهود يطلى على المناجل ويكسح به الكروم ليؤمن من الدود عليها، ولغير ذلك من العلاجات، ولمخرجه منها وما يظهر من الصوت وعلى أي صورة يظهر أخبار عجيبة وفيها وحولها يوجد الحجر الأصفر المعروف باليهودي المحزز على شكل البطيخ وخطوطه وذكر ابقراط وجالينوس وغيرهما أنه يفتت الحصى المتولد في الكلى دون المثانة إذا برد وسقي وليس فيما عرف من معمور الأرض بحيرة لا يتكون ذو روح فيها إلا هذه البحيرة وبحيرة كبوذان وهي على بعض يوم من مدينة أرمية وبلاد المراغة وغيرهما من بلاد آذربيجان، وهي أعظم وأغزر وأمر وأملح لا يتكون ذو روح فيها أيضاً وهي مضافة إلى قرية في جزيرة في

وسطها تعرف بكبوذان يسكنها ملاحو المراكب التي يركب فيها في هذه البحيرة، وتصب إليها أنهار كثيرة ومياه من بلاد آذربيجان وغيرها، لم يعرض أحد ممن ذكرنا لوصفها

وقد صنف أحمد بن الطيب السرخسي صاحب يعقوب بن إسحاق الكندي كتاباً حسناً في المسالك والممالك والبحار والأنهار وأخبار البلدان وغيرها، وكذلك أبو عبد الله محمد بن أحمد الجيهاني وزير نصر بن احمد بن إسماعيل بن أحمد بن أسد صاحب خراسان، ألف كتاباً في صفة العالم وأخباره وما فيه من العجائب والمدن والأمصار والبحار والأنهار والأمم ومساكنهم وغير ذلك من الأخبار العجيبة والقصص الظريفة، وأبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه في كتابه المعروف بالمسالك والممالك وهو أعم هذه الكتب شهرة في خواص الناس وعوامهم في وقتنا هذا وكذلك محمد بن أحمد بن النجم ابن أبي عون الكاتب في كتابه المترجم بالنواحي والآفاق والأخبار عن البلدان وكثير من عجائب ما في البر والبحر وغيرهم ممن لم نسمه، فكل استفرغ وسعه وبذل مجهوده، وقد يدرك الواحد منهم ما لا يدركه الآخر وقد ذكرنا في كتابنا هذا وما سلف قبله من كتبنا التي هذا سابعها أخبار العالم وعجائبه، ولم نخله من دلائل تعضدها، وبراهين توتدها عقلاً وخبراً، وغير ذلك مما استفاض واشتهر وشاهد من الشعر على حسب الشيء المذكور وحاجته إلى ذلك ونحن وإن كان عصرنا متأخراً عن عصر من كان قبلنا من المؤلفين، وأيامنا بعيدة عن أيامهم فلنرجو أن لا نقصر عنهم في تصنيف نقصده وغرض نؤمه، وإن كان لهم سبق الابتداء فلنا فضيلة الاقتداء، وقد تشترك الخواطر وتتفق الضمائر، وربما كان الآخر أحسن تأليفاً، وأتقن تصنيفاً لحنكة التجارب وخشية التتبع والاحتراس من مواقع الخطأ، ومن هاهنا صارت العلوم نامية غير متناهية؛ لوجود الآخر ما لا يجده الأول وذلك إلى غير غاية محصورة ولا نهاية محدودة، وقد أخبر الله عز وجل بذلك فقال " وفوق كل ذي علم عليم " على أن من شيم كثير من الناس الإطراء للمتقدمين وتعظيم كتب السالفين ومدح الماضي وذم الباقي، وإن كان في كتب المحدثين ما هو أعظم فائدة وأكثر عائدة وقد ذكر أبو عثمان

عمرو بن بحر الجاحظ أنه كان يؤلف الكتاب الكثير المعاني الحسن النظم، فينسبه إلى نفسه فلا يرى الأسماع تصغي إليه ولا الإرادات تيمم نحوه، ثم يؤلف ما هو أنقص منه مرتبة وأقل فائدة ثم ينحله عبد الله بن المقفع أو سهل بن هارون أو غيرهما من المتقدمين ومن قد طارت أسماؤهم في المصنفين فيقبلون على كتبها، ويسارعون إلى نسخها لا لشيء إلا لنسبتها إلى المتقدمين، ولما يداخل أهل هذا العصر من حسد من هو في عصرهم ومنافسته على المناقب التي يخص بها، ويعنى بتشييدها وهذه طائفة لا يعبأ بها كبار الناس، وإنما العمل على ذوي النظر والتأمل الذين أعطوا كل شيء حقه من العدل، ووفوه قسطه من الحق، فلم يرفعوا المتقدم إذ كان ناقصاً، ولم ينقصوا المتأخر إذ كان زائداً، فلمثل هؤلاء تصنف الكتب وتدون العلوم وسنذكر الآن الأمم السبع السالفة في سابق الدهر، ولغاتهم ومواضع مساكنهم وغير ذلك

ذكر الأمم السبع في سالف الزمان

ولغاتهم وآرائهم ومواضع مساكنهم وما بانت به كل أمة من غيرها وما اتصل بذلك

قد قدمنا فيما سلف من كتبنا ما قاله الناس في بدء النسل، وتفرقهم على وجه الأرض، وما ذهب إليه كل فريق منهم في ذلك من الشرعيين وغيرهم ممن قال بحدوث العالم وأبى الانقياد إلى الشرائع من البراهمة وغيرهم، وما قاله أصحاب القدم في ذلك من الهند والفلاسفة وأصحاب الاثنين من المانوية وغيرهم على تباينهم في ذلك، فلنذكر الآن الأمم السبع ذهب من عني بأخبار سوالف الأمم ومساكنهم إلى أن أجل الأمم وعظماءهم كانوا في سوالف الدهر سبعاً يتميزون بثلاثة أشياء: بشيمهم الطبيعية، وخلقهم الطبيعية، وألسنتهم فالفرس أمة حد بلادها الجبال من الماهات وغيرها وآذربيجان إلى ما يلي بلاد أرمينية وأران والبيلقان إلى دربند وهو الباب والأبواب والري وطبرستن والمسقط والشابران وجرجان وابرشهر، وهي نيسابور، وهراة ومرو وغير ذلك من بلاد خراسان وسجستان وكرمان وفارس والأهواز، وما اتصل بذلك من أرض الأعاجم في هذا الوقت وكل هذه

البلاد كانت مملكة واحدة ملكها ملك واحد ولسانها واحد، إلا أنهم كانوا يتباينون في شيء يسير من اللغات

وذلك أن اللغة إنما تكون واحدة بأن تكون حروفها التي تكتب واحدة وتأليف حروفها تأليف واحد، وإن اختلفت بعد ذلك في سائر الأشياء الأخر كالفهلوية والدرية والآذرية وغيرها من لغات الفرس الأمة الثانية: الكلدانيون وهم السريانيون وقد ذكروا في التوراة بقوله عز وجل لإبراهيم " أنا الرب الذي أنجيتك من نار الكلدانيين لأجعل هذه البلاد لك ميراثاً " وذكرهم أرسطاطاليس في كتابه الذي رسمه بسياسة المدن وهو كتاب ذكر فيه سياسة أمم مدن كثيرة من أمم ومدن اليونانيين وغيرها ويسمى باليونانية بوليطيا وعدد الأمم والمدن التي ذكر مائة وسبعون وفي غيره من كتبه وابطلميوس وغيرهما بهذا الاسم، أعني الكلدانيين وكانت دار مملكتهم العظمى مدينة كلواذي من أرض العراق، وإليها أضيفوا، وكانوا شعوباً وقبائل منهم النونويون والأثوريون والأرمان والأردوان والجرامقة ونبط العراق وأهل السواد وقيل إنما سموا نبطاً لأنهم من ولد نبيط بن باسور بن سام بن نوح، وقيل إنما سموا بذلك لاستنباطهم الأرضين والمياه، وقيل لمعان غير ذلك وغيرهم من الشعوب والقبائل وقيل إن الأرمان إنما سموا بذلك لأن عاداً لما هلكت قيل ثمود ارم؛ فلما هلكت ثمود قيل لبقايا ارم أرمان وهم النبط الأرمانيون، وكذلك ذكر ابن الكلبي وغيره من علماء العرب بأخبار سوالف الأمم وكانت بلاد الكلدانيين العراق وديار ربيعة وديار مضر والشأم وبلاد العرب اليوم وبرها ومدرها اليمن وتهامة والحجاز واليمامة والعروض والبحرين والشحر وحضرموت وعمان، وبرها الذي يلي العراق وبرها الذي يلي الشأم وهذه جزيرة العرب كانت كلها مملكة واحدة يملكها ملك واحد ولسانها واحد سرياني وهو اللسان الأول لسان آدم ونوح وإبراهيم عليهم السلام وغيرهم من الأنبياء فيما ذكر أهل الكتب وإنما تختلف لغات هذه الشعوب من السريانيين اختلافاً يسيراً على حسب ما ذكرنا من حال الفرس والعبرانية منها والعربية أقرب اللغات بعد العبرانية إلى السريانية، وليس التفاوت بينهما بالكثير وقيل إن

أول من تكلم بالعبرانية إبراهيم الخليل عليه السلام بعد أن خرج من قريته المعروفة بأوركشد من بلاد كوثي من خنيرث وهو إقليم بابل وصار إلى حران من أرض الجزيرة وعبر الفرات في من كان معه إلى الشأم فتكلم بها فسميت العبرانية لحدوثها عند عبوره إضافة إلى العبر وبها أنزلت التوراة غير أن للإسرائليين بالعراق لغة سريانية تعرف بالترجوم يفسرون بها التوراة من العبرانية الأولى لوضوحها عندهم وقرب وأخذها، ولفصاحة العبرانية وتعذر فهمها على كثير منهم ولا تنازع بين النزارية وهم ربيعة ومضر الصريحان من ولد إسماعيل وإياد وأنمار على ما فيهما من التنازع بنو نزار بن معد بن عدنان بن أد بن أدد بن مقوم ابن ناخور بن تيرخ بن يعرب بن يشجب بن نابت بن قيذار بن إسماعيل ابن إبراهيم وقيل إنه نزار بن معد بن عدنان بن أد بن أدد بن يامر بن يشجب بن يعرب ابن الهيمسع بن صابوح بن نابت بن قيذار بن إسمعيل وبين اليمانية وهم حمير وكهلان ابنا سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام ابن نوح وغيرهم من جرهم وحضرموت ابني عابر وبين الإسرائليين وغيرهم أن إبراهيم الخليل كان سرياني اللسان وأنه إبراهيم بن تارخ وهو آزر بن ناخور بن ساروغ بن ارعوا بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ بن يرد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم يجتمع مع اليمانية في عابر وأكثر نساب اليمانية وذوو المعرفة منهم يذهبون إلى أن أول من تكلم بالعربية يعرب بن قحطان وأنه إنما سمي بذلك لإعرابه عن المعاني وأن لسان قحطان لم يكن عربياً بل على اللسان الأول لسان سام بن نوح وغيرهم وأن إسماعيل بن إبراهيم إنما تكلم بالعربية حين نشأ في العماليق ولد عملاق بن لاود ابن ارم بن سام بن نوح وجرهم مع هاجر بمكة ولا خلاف أيضاً بين النزارية وهم ولد إسماعيل بن إبراهيم، وبين الإسرائليين وهم بنو إسحاق بن إبراهيم أن إبراهيم لم يكن عربياً ولا إسحاق ابنه وأن ابنه إسماعيل أول من نطق بالعربية وتكلم بها

ولا خلاف بين الجميع من النزارية واليمانية في أن هوداً وصالحاً كانا عربيين أرسلا إلى عاد وثمود وأنهما قبل إبراهيم الخليل، ووبين الإسرائيليين وغيرهم أن إبراهيم الخليل كان سرياني اللسان وأنه إبراهيم بن تارخ وهو آزر بن ناخور بن ساروغ بن ارعوا بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ بن يرد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم يجتمع مع اليمانية في عابر وأكثر نساب اليمانية وذوو المعرفة منهم يذهبون إلى أن أول من تكلم بالعربية يعرب بن قحطان وأنه إنما سمي بذلك لإعرابه عن المعاني وأن لسان قحطان لم يكن عربياً بل على اللسان الأول لسان سام بن نوح وغيرهم وأن إسماعيل بن إبراهيم إنما تكلم بالعربية حين نشأ في العماليق ولد عملاق بن لاود ابن ارم بن سام بن نوح وجرهم مع هاجر بمكة ولا خلاف أيضاً بين النزارية وهم ولد إسماعيل بن إبراهيم، وبين الإسرائيليين وهم بنو إسحاق بن إبراهيم أن إبراهيم لم يكن عربياً ولا إسحاق ابنه وأن ابنه إسماعيل أول من نطق بالعربية وتكلم بها ولا خلاف بين الجميع من النزارية واليمانية في أن هوداً وصالحاً كانا عربيين أرسلا إلى عاد وثمود وأنهما قبل إبراهيم الخليل، وإن لم يكن لهما ذكر في التوراة.

قال المسعودي: وقد ذهب فريق من أخباريي اليمانية ونسابهم ممن تقدم وغبر إلى أن الملك أفضى بعد عاد إلى يقطن، وهو قحطان بن عابر واستشهدوا بقول علقمة ذي جدن:

وملك قحطان ملك عاد ... وسوف تفنيهم الخطوب

ومنهم من رأى أنه قحطان بن هود بن عبد الله بن الخلود بن عاد بن عوض ابن ارم بن سام بن نوح؛ واسمه في التوراة الجبار بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح

واحتجوا لذلك بقول الشاعر:

وأبو قحطان هود ذو الحقف

ومنهم من ذهب إلى أن هوداً هو عابر بن شالخ بن أرفخشد. ونساب ولد نزار بن معد، وبعض اليمانية؛ كهشام بن محمد بن السائب الكلبي، والشرقي ابن القطامي، ونصر بن مزروع الكلبي، وغيرهم – يقولون: قحطان بن الهميسع ابن تيمن بن نبت بن إسماعيل بن

إبراهيم ويحتجون لذلك بما رواه الهيثم بن عدي الطائي. وهشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه محمد بن السائب عن أبي صالح عن ابن عباس: أن النبي صلّى الله عليه وسلّم مر على فتية من الأنصار يتناضلون فقال: " ارموا يا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً، ارموا فأنا مع ابن الأدرع " - رجل من خزاعة - فألقى القوم نبالهم وقالوا يا رسول الله من كنت معه فقد نضل، فقال " ارموا وأنا معكم جميعاً " .

وسائر اليمانية تأبى ذلك وتذهب إلى أنه قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح على ما قدمنا، ويقولون هذا من أخبار الآحاد، وليس من الأخبار المتواترة، القاطعة للعذر، الموجبة للعلم والعمل. ولو صح لكان معنى قوله صلّى الله عليه وسلّم: " ارموا يا بني إسماعيل " . على الأمهات من ولد إسماعيل، وقد أخبر الله عز وجل المسيح أنه من ذرية آدم مع إخباره أنه خلق من غير أب و لو أخرجه مخرج من ولد آدم؛ لأنه لا أب له لكان كاذباً. وإنما نسب إلى آدم من جهة أمه والقوم أعرف بأنسابهم ينقله الباقي عن الماضي قولاً وعملاً موزوناً إنهم من ولد قحطان بن عابر لا يعرفون غير ذلك ومنهم من رأى أن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان أقدم من عاد، واحتجوا بقول الخلجان بن الوهم وكان من ملوك عاد وكان جنادة بن الأصم العادي رأى في منامه أن وفد عاد إلى الحرم فهلكوا فبلغ ذلك الخلجان فقال:

أفي كل عام بدعة تحدثونها ... ورؤيا على غير الطريق تعبر

فإن لعاد سنة يحفظونها ... سنحيا عليها ما حيينا ونقبر

وإنا لنخزي من أمور تسبنا ... بها جرهم فيمن يسب وحمير

وأخبار حمير وكهلان أخبار قديمة سلفت كثيراً من الأمم الماضية، وتقادم بها الدهر، وترادفت عليها الألوف من السنين، وقال الناس في ذلك فأكثروا وإنما يرجع في أكثر ذلك إلى عبيد بن شرية الجرهمي، ورواة أهل الحيرة وغيرهم

والكلام بين اليمانية والنزارية يكثر والخطوب تطول، وهو باب كبير، والكلام فيه كثير. ومن ضمن الاختصار، لم يجز له الإكثار. وقد بسطنا الكلام فيه وأتينا على أكثر ما قيل في ذلك، وحجاج الفريقين، وافتخار بعضهم على بعض منثوراً ومنظوماً، وغير ذلك في كتاب فنون المعارف وما جرى في الدهور السوالف وفي كتاب الاستذكار ما جرى في سالف الأعصار وإنما نذكر في هذا الكتاب لمعاً جوامع، ننبه بها على ما قدمنا ونشرف بها على ما سلف من كتبنا إذ كان مبنياً عليها وسلماً إليها والأمة الثالثة: اليونانيون والروم والصقالبة والإفرنجة، ومن اتصل بهم من الأمم في الجربي وهو الشمال، كانت لغتهم واحدة، ويملكهم ملك واحد والأمة الرابعة: لوبية منها مصر، وما اتصل بذلك من التيمن وهو الجنوب وأرض المغرب إلى بحر أوقيانس المحيط لغتهم واحدة، ويملكهم ملك واحد والأمة الخامسة: أجناس من الترك الخرلخية، والغز وكيماك، والطغزغز، والخزر، ويدعون بالتركية سبير وبالفارسية خزران وهم جنس من الترك حاضرة فعرف اسمهم فقيل الخزر وغيرهم. لغتهم واحدة، وملكهم واحد والأمة السادسة: أجناس الهند والسند، وما اتصل بذلك، لغتهم واحدة، وملكهم واحد والأمة السابعة: الصين والسيلي، وما اتصل بذلك من مساكن ولد عامور ابن يافث بن نوح، ملكهم واحد، ولغتهم واحدة ثم كثر النسل، وتجيلت الأجيال، وتشيعت الشعوب والقبائل، وافترقت اللغات وتفرعت، وتجنست الأمم وتنوعت، وتباينوا في الآراء والعبادات والمساكن والمناسك فهذه الأمم السبع كانت متمركزة بعضها من بعض. لكل أمة منها ملك على حياله قدم جمعهم عبادة الأصنام، كل أمة منها يعظمون أصناماً، جعلوها مثالاً لآلهة غير الآلهة التي كان يجل مثلها غيرهم من الأمم، تمثيلاً بما علا من الجواهر العلوية، والأجسام السمائية؛ التي هي الأشخاص الفلكية من السبعة؛ النيرين، وهما الشمس والقمر والخمسة وهي زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد وغيرها من ذوات التأثير في هذا العالم الأرضي.

وكانت شرائع كل أمة بحسب مناسكهم، وحسب الجهات التي منها معايشهم، وشيمهم الطبيعية التي فطروا عليها، ومن يجاورهم من سائر الأمم.

قال المسعودي: وقد ذكرنا في كتاب الاستذكار، لما جرى في سالف الأعصار الذي كتابنا هذا تال له ومبني عليه – الاجتماعات السبعة المشهورة لحكماء هؤلاء الأمم السبع في سالف الدهر، اجتمع في كل مجمع منها سبعة حكماء في أعصار مختلفة، وأوقات متباينة عند حوادث وأحوال أوجبت اجتماعهم، فجرى لهم فنون من البحث والنظر، وضروب من الحكم والعبر، بما يحدث في الدهر من الغير، بتنقل الدول وتغير الملل، والكلام في العالم ما هو، وكيف هو، ولما هو، وما علته ومعلوله وظاهره وباطنه، وحقائقه واختراع الأجسام وإنشائها، وإلى ماذا يؤول هو بعد فنائها؟ وغير ذلك؛ من فنون الفحص، وضروب البحث.

فإذ قد ذكرنا الأمم السبع ومساكنهم ولغتهم وآرائهم، وما اتصل بذلك فلنذكر الآن الفرس وملوكهم وأعدادهم، وما ملكوا من السنين.

ذكر ملوك الفرس على طبقاتهم من جيومرت

وهو الأول من ملوكهم إلى يزدجرد بن شهريار آخرهم، وعدة ما ملكوا من السنين

جملة سني ملوك الفرس الأولى على طبقاتهم والطوائف والفرس والثانية، وهم الساسانية، أربعة آلاف سنة ومائة وأربعون سنة وخمس أشهر ونصف.

وقد ذهب كثير ممن عني بأخبار الفرس وملوكها وطبقاتها إلى أنه قد كانت فترات في ملك الفرس الأولى، مقدارها من السنين ثلاثمائة سنة وإحدى وثلاثون سنة.

من ذلك الفترة بين ملك جيومرت وأوشهنج مائتا سنة وثلاث وعشرون سنة.

والفترة بين ملك أوشهنج وطهمورث مائة سنة وثمان سنين، فإذا أضيفت سنو هذه الفترات إلى ما ذكرنا من السنين صار الجميع أربعة آلاف سنة وأربعمائة وإحدى وسبعين سنة وخمسة أشهر ونصفاً.

ذكر الطبقة الأولى من ملوك الفرس الأولى أولهم

جيومرت كلشاه

وتفسير ذلك ملك الطين، وإليه ترجع الفرس في أنسابها، وهو عندهم آدم أبو البشر وأصل

النسل، ملك أربعين سنة، وقيل ثلاثين، وذلك في الهزاريكه الأولى من بدء النسل، وتفسير ذلك الألف سنة وكان ينزل اصطخر فارس أوشهنج ملك أربعين سنة طهمورث ملك ثلاثين سنة جم ملك سبعمائة سنة وثلاث أشهر

البيوارسب، وهو الضحاك ملك ألف سنة، والفرس تغلو فيه، وتذكر من أخباره أن حيتين كانتا في كتفيه تعتريانه لا تهدئا إلا بأدمغة الناس، وأنه كان ساحراً يطيعه الجن والإنس، وملك الأقاليم السبعة، وأنه لما عظم بغيه، وزاد عتوه، وأباد خلقاً كثيراً من أهل مملكته؛ ظهر رجل من عوام الناس وذوي النسك منهم من أهل إصبهان إسكاف كابي ورفع راية من جلود علامة له، ودعا الناس إلى خلع الضحاك وقتله، وتمليك افريذون، فاتبعه عوام الناس، وكثير من خواصهم وسار إلى الضحاك، فقبض عليه وأنفذه أفريذون إلى أعلى جبل دباوند بين الري وطبرستان، فأودع هناك وأنه حي إلى هذا الوقت، مقيد هناك، في أخبار يطول ذكرها، قد شرحناها في كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر وعظم ابتهاج الناس بما نال الضحاك بجوره وسوء سياسته، وتيمنوا بتلك الراية فسميت درفش كابيان إضافة إلى كابي صاحبها، والدرفش بالفارسية الأولى الراية وبهذه الفارسية إشفي الخرز وحليت بالذهب وأنواع الجواهر الثمينة وكانت لا تظهر إلى في حروب عظيمة، تنشر على رأس الملك أوولى عهده، أو من يقوم مقامه فلم تزل معظمة عند جميع ملوكهم إلى أن وجه بها يزدجرد بن شهريار آخر ملوك الفرس من الساسانية مع رستم الآذري لحرب العرب بالقادسية في سنة 16 على ما في ذلك من التنازع. فلما هزمت الفرس وقتل رستم، صارت هذه الراية إلى ضرار بن الخطاب الفهري، فقومت ألفي ألف دينار، وقيل إن أخذها كان يوم فتح المدائن، وقيل يوم فتح نهاوند، وكذلك في سنة 19 وقيل في سنة 21 فلما تهيأ على الضحاك من كابي ومن اتبعه؛ أكثر أردشير في عهده التحذي لمن بعده من الملوك من التهاون بما يكون من نوابغ العوام ونساكهم من التجمع والترؤس، وأن ذلك إذا أهمل فتفاقم آل إلى انتقال الملك وزوال الرسوم وكذلك فعل أرسطاطاليس – في تحذيره

الاسكندر في كثير من رسائله – وغيرهما من ذوي المعرفة بسياسة الدين والملك واليمانية من العرب تدّعى الضحاك وتزعم أنه من الأزد وقد ذكرته الشعراء في الإسلام، فافتخر به أبو نواس الحسن بن هانئ، مولى بني حكم بن سعد العشيرة بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، في قصيدته التي هجا فيها قبائل نزار بأسرها وافتخر بقحطان وقبائلها، وهي قصيدته المشهورة التي أطال الرشيد حبسه بسببها، وقيل إنه حده لأجلها وأولها:

لست لدار عفت وغيرها ... ضربان من قطرها وحاصبها

فقال فيها مفتخراً باليمن وذاكراً للضحاك

فنحن أرباب ناعط ولنا ... صنعاء المسك في محاربها

وكان منا الضحاك يعبدها ل ... خابل والطير في مساريها

وفيما يقول يهجو نزاراً

واهج نزاراً وأفر جلدتها ... وكشف الستر عن مثالبها

وقد رد عليه قصيدته هذه جماعة من النزارية، منهم رجل من بني ربيعة بن نزار، قال يذكر نزاراً ومناقبها، واليمن ومثالبها في قصيدة له أولها

دع مدح دار خبا وانتهى ... عهد معد بزعم عاتبها

فقال:

فامدح معداً وافخر بمنصبها ال ... عالي على الناس في مناصبها

وهتك الستر عن ذوي يمن ... أولاد قحطان غير هائبها

وذكر أبو تمام الضحاك في قصيدة له يمدح الإفشين، ويشبهه بأفريذون، ويذكر بابك، ويشبهه بالضحاك هذه أولها:

بذ الجلاد البد فهو دفين ... ما إن به غير الوحوش قطين

فقال:

بل كان كالضحاك في سطواته ... بالعالمين وأنت أفريذون

وقد ذهب كثير من ذوي المعرفة بأخبار الأمم السالفة وملوكها إلى أن الضحاك كان من أوائل ملوك الكلدانيين النبط.

أفريذون ملك خمسمائة سنة.

ذكر الطبقة الثانية من ملوك الفرس الأولى وهم
بلان ومعنى ذلك العلويون

أولهم منوشهر ملك مائة سنة وعشرين سنة، والفرس تعظم أمره وترفع من شأنه لأمور ذكروها ومعجزات وصفوها، وبينه وبين أفريذون ثلاثة عشر أباً وهو من ولد ايرج بن أفرياون، وكان له سبعة أولاد إليهم ترجع أكثر شعوب فارس في أنسابها وسائر طبقات ملوكها، وهو كالشجرة للفرس في النسب. وكذلك الأكراد عند الفرس من ولد كرد بن اسفنديار بن منوشهر منهم البازنجان والشوهجان والشاذنجان والنشاورة والبوذيكان واللّرّية والجورقان والجاوانية والبارسيان والجلالية والمستكان والجابارقة والجروغان والكيكان والماجردان والهذبانية وغيرهم ممن بزمام فارس وكرمان وسجستان وخراسان وإصبهان وأرض الجبال من الماهات؛ ماه الكوفة، وماه البصرة، وماه سبذان والإيغارين وهما البرج وكرج أبي دلف وهمذان وشهرزور ودراباذ والصامغان وآذربيجان، وأرمينية وأران والبيلقان، والباب والأبواب، ومن بالجزيزة والشأم والثغور وقد ذهب قوم من متأخري الأكراد وذوي الدراية – منهم من شاهدناهم فيما ذكرنا من البلاد – إلى أنهم من ولد كرد بن مرد بن صعصعة بن حرب ابن هوازن.

ومنهم من يرى أنهم من ولد سبيع بن هوازن، وحرب وسبيع عند نساب مضر درجا فلا عقب لهما، وإنما العقب لهوازن من بكر بن هوازن.

ومن الأكراد من يذهب إلى أنهم من ربيعة ثم من بكر بن وائل، وقعوا في قديم الزمان لحروب كانت بينهم إلى أرض الأعاجم، وتفرقوا فيهم، وحالت لغتهم، وصاروا شعوباً وقبائل.

قال المسعودي: وقد ذكرنا فيما سلف من كتبنا سائر من سكن البدو والجبال، في المشرق والمغرب والشمال والجنوب؛ من العرب والأكراد والجت والبلوج والكوج، وهم القفص ببلاد كرمان والبربر بأرض إفريقية والمغرب من كتامة وزويلة ومزاتة ولواتة وهوارة وصنهاجة وأوربة ولمطة وغيرهم، من بطون البربر وشعوبهم، والفيرة والبجة وغيرهم من الأمم المخيمة وقيل إنه ملك بعد منوشهر سهم بن أمان بن اثفيان بن نوذر بن منوشهر ستين سنة، ثم ملك فراسيات التركي اثنتي عشرة سنة. ثم غلبه زو، وملك ثلاث سنين، وكرشاسب ثلاث سنين.

ذكر الطبقة الثالثة من ملوك الفرس الأولى وهم

الكيانيون وتفسير ذلك الأعزاء

أولهم كيقباذ ملك مائة وسنة وعشرين سنة.

وكيقاوس مائة سنة وخمسين سنة.

وكيخسرو ستين سنة.

وكيلهراسب مائة سنة وعشرين سنة.

وكيبشتاسب مائة سنة وعشرين سنة أيضاً. ولثلاثين سنة خلت من ملكه أتاه زرادشت بن بورشسب بن اسبيمان بدين المجوسية؛ فقبلها وحمل أهل مملكته عليها، وقاتل عليها حتى ظهرت.

وكانوا قبل ذلك على رأي الحنفاء وهم الصائبون، وهو المذهب الذي أتى به بوذاسب إلى طهمورث، وهذه كلمة سريانية عربت وإنما هي حنيفوا وقيل جيء بحرف بين الباء والفاء وأنه ليس للسريانيين فاء وذكر أن الصابئين نسبوا إلى صابي بن متوشلخ بن إدريس، وكان على الحنيفية الأولى وقيل إلى صابي بن ماري، وكان في عصر إبراهيم الخليل عليه السلام، وغير ذلك من الأقاويل مما قدمنا شرحه فيما سلف من كتبنا.

وجاءه زرادشت بالكتاب المعروف بالأبستا وإذا عرب أثبتت فيه قاف فقيل الأبستاق وعدد سوره إحدى وعشرون سورة، كل سورة في مائتين من الأوراق. وعدد حروفه

وأصواته ستون حرفاً وصوتاً، لكل حرف وصوت صورة مفردة منها حروف تتكرر ومنها حروف تسقط؛ إذ ليست خاصة بلسان الأبستا.

وزرادشت أحدث هذا الخط، والمجوس تسميه دين دبيره أي كتابة الدين وكتب في اثني عشرة ألف جلد ثور بقضبان الذهب حفراً باللغة الفارسية الأولى ولا يعلم أحد اليوم يعرف معنى تلك اللغة، وإنما نقل لهم إلى هذه الفارسية شيء من السور فهي في أيديهم يقرءونها في صلواتهم كأشتاذ، وجترشت وبانيست وهادوخت وغيرها من السور. في جترشت الخبر عن مبدأ العالم ومنتهاه، وفي هادوخت مواعظ.

وعمل زرادشت للأبستا شرحاً سماه الزند وهو عندهم كلام الرب المنزل على زرادشت، ثم ترجمه زرادشت من لغة الفهلوية إلى الفارسية ثم عمل زرادشت للزند سماه بازند وعملت العلماء من الموابذة والهرابذة لذلك الشرح شرحاً سموه بارده ومنهم من يسميه اكرده فأحرقه الإسكندر لما غلب على ملك فارس وقتل دارا ابن دارا

وأحدث زرادشت خطاً آخر تسميه المجوس كشن دبيره تفسيره كتابة الكل يكتب به سائر لغات الأمم، وصياح البهائم والطير وغير ذلك، عدد حروفه وأصواته مائة وستون، لكل حرف وصوت صورة مفردة وليس في سائر خطوط الأمم أكثر حروفاً من هذين الخطين، لأن حروف اليوناني وهو المسمى الرومي في هذا الوقت أربعة وعشرون حرفاً؛ ليس لهم حاء ولا خاء ولا عين ولا باء ولا هاء، وحروف السرياني اثنان وعشرون، والعبراني هو السرياني غير أن حروفه مقطعة ومنها ما لا يشبه صورته صورة السريناني والحميري، وهو قلم حمير المعروف بالمسند يقرب من السرياني، وحروف العربي بالخطين تسعة وعشرون حرفاً، وما عدا ذلك من حروف الأمم يقرب بعضها من بعض وللفرس غير هذين الخطين الذي أحدثهما زرادشت خمسة خطوط منها ما تدخله اللغة النبطية، ومنها ما لا تدخله، وقد أتينا على شرح جميع ذلك، وما ذكروا له من المعجزات والدلائل والعلامات، وما يذهبون إليه من الخمسة القدماء عندهم أورمزد وهو الله عز وجل وأهرمن وهو الشيطان الشرير،

وكان وهو الزمان، وجاي وهو المكان، وهوم وهو الطينة والخميرة وحجاجهم لذلك، وعلة تعظيمهم للنيرين وغيرهما من الأنوار، والفرق بين النار والنور، والكلام في بدء النسل، وما كان من ميشاه وهو مهلا بن كيومرت، ومن ميشاني وهو مهلينه بنت كيومرت، وإن الناس من الفرس يرجعون في أنسابهم إليهما، وغير ذلك من دياناتهم، ووجوه عباداتهم ومواضع بيوت نيرانهم فيما سمينا من كتبنا ومتكلموا الإسلام من أصحاب الكتب في المقالات، ومن قصد إلى الرد على هؤلاء القوم ممن سلف وخلف يحكمون عنهم أنهم يزعمون أن الله تفكر فحدث من فكره شر وأنه الشيطان وأنه صالحه وأمهله مدة من الزمان يفتنه فيها، وغير ذلك من مذاهبهم مما تأباه المجوس، ولا تنقاد إليه، ولا تقر به وأرى أن ذلك حكاية عن بعض عوامهم ممن سمع يعتقد ذلك فنسب إلى الجميع وبهمن ملك مائة سنة اثنتي سنة عشرة سنة، وخماني ابنته ثلاثين سنة، ودارا الأكبر بن بهمن اثنتي عشرة سنة، ودارا بن دارا أربع عشرة سنة، وغلب الإسكندر ملكهم ست سنين قال المسعودي: وقد ذكرنا في آخر الجزء السابع من كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر لأية علة كثرت الفرس سني هؤلاء الملوك وأسرارهم في ذلك وحروبهم مع ملوك الترك، وتسمى تلك الحروب بيكار معنى ذلكالإجهاد، وغيرهم من الأمم وحروب رستم بن دستان واسفنديار ببلاد خراسان وسجستان ورابلستان وغير ذلك مما كان من الكوائن والأحداث في أيامهم وذكرنا في كتابنا في أخبار الزمان، ومن أباده الحدثان، من الأمم الماضية والأجيال الخالية والممالیك الداثرة تنازع الناس في هؤلاء الفرس الأولى أهم الكلدانيون أم الملك أفضى إليهم عنهم؟ وقول من قال إن الكلدانيين إنما زال ملكهم بالأثوريين ملوك الموصل، بعد ما كان بينهم من التحزب والحروب التي افتنهم، ومن قال إن أول مملكة كانت في إقليم بابل بعد الطوفان ملك نمرود الجبار ومن تلاه من النماردة، وكذلك هو في التوراة، وغير ذلك من التنازع في الأمم الذين بعدت عنا أعصارهم، وتقطعت أخبارهم، وقد نفى الله عز وجل الإحاطة بعلم أحوال القرون الخالية والأمم السالفة عمن سواه، لتقادم زمانها وبعد أيامها فقال سبحانه " ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعادٍ وثمود والذي من بعدهم لا يعلمهم إلا الله "

ذكر ما أدركه الإحصاء من ملوك الطوائف

وهي الطبقة الرابعة من ملوك الفرس وجملة ما ملكوا من السنين

كانت ملوك الطوائف نحواً من مائة ملك فرس ونبط وعرب، من حد بلاد أثور وهي الموصل إلى أقصى بلاد الأعاجم، وكان المعظمين منهم والذين ينقاد الباقون إليهم الأشغانيون، وهم من ولد أشغان بن أش الحبار بن سياوخش ابن كيقاوس الملك، وكانوا ينزلون في الشتاء العراق وفي الصيف الشيز من بلاد آذربيجان، وفيها إلى هذا الوقت آثار عجيبة من البنيان والصور، بأنواع الأصباغ العجيبة من صور الأفلاك والنجوم والعالم وما فيه من بر وبحر وعامر ومعدن وخراب ونبات وحيوان وغير ذلك من العجائب ولهم فيها بيت نار معظم عند سائر طبقات الفرس يقال له آذرخش آذر أحد أسماء النار بالفارسية والخش الطيب

وكان الملك من ملوك الفرس إذا ملك زاره ماشياً تعظيماً له، وتنذر له النذور، وتحمل إليه التحف والأموال، وغير ذلك، من البلاد كالماهات، وأرض الجبال ولم يعد من ملوك الطوائف في التواريخ والسير إلا الأشغانيون لما ذكرنا من عظم شأنهم واتساق ملكهم وكان أول من يعد منهم أشك بن أشك بن أردوان بن أشغان بن أش الجبار بن سياوخش بن كيقاوس الملك؛ ملك عشر سنين، وسابور بن أشك ستين سنة وجوذرز بن أشك عشر سنين، بيزن بن سابور إحدى وعشرين سنة جوذرز بن بيزن تسع عشرة سنة، نرسي بن بيزن أربعين سنة، هرمز بن بيزن تسع عشرة سنة، أردوان الأكبر اثنتي عشرة سنة، خسرو بن أردوان أربعين سنة، بلاش بن خسرو أربعاً وعشرين سنة، أردوان الأصغر ثلاث عشرة سنة فهذه جملة ما أدركه الإحصاء من ملوك الطوائف وسني ملكهم، وهم أحد عشر ملكاً ملكوا مائتي سنة وثماني ستين سنة وقد كانت لهم ملوك لم تعرف أسماؤهم ومدة سني ملكهم، ولم يذكروا في شيء من كتب الفرس وغيرها من كتب سير الملوك؛ لاضطراب أمر الملك في تلك الأعصار، والتنازع الواقع من اختلاف الكلمة، والتحزب وغلبة كل واحد

منهم على صقعه، ولما نحن ذاكروه في آخر هذا الباب من فعل أردشير بابكان والصحيح عند من عني بأخبار سوالف الأمم وملوكهم أن مدة ملوك الطوائف بعد قتل داريوش وهو دارا بن دارا إلى قيام أردشير بن بابك خمسمائة سنة وثلاث عشرة سنة، وذلك أن من أول السنة التي ملك فيها الإسكندر بن فيلبس الملك المقدوني إلى وقتنا هذا وهو سنة 345 للهجرة، ألف سنة ومائتين وسبعاً وستين سنة، فإذا أسقط من ذلك ما بين سنة 345 وسنة 32 للهجرة وهي السنة التي قتل فيها يزدجرد بن شهريار الملك وذلك ثلاثمائة وثلاث عشرة سنة وما ملكت الفرس من الساسانية من السنين وهو أربعمائة وتسع وثلاثون سنة كان الذي يبقى بعد ذلك من السنين منذ قتل الإسكندر لداريوش وهو دارا بن دارا إلى قيام أردشير بن بابك خمسمائة سنة وثلاث عشرة سنة وهي مدة ملك ملوك الطوائف وقد ذكرنا جميع ما قيل في ذلك على الشرح والإيضاح في كتابنا في أخبار الزمان وفيما تلاه من الكتاب الأوسط ثم في الجزء السابع من كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر في النسخة الأخيرة، التي قررنا أمرها في هذا الوقت على ما يجب من الزيادات الكثيرة، وتبديل المعاني، وتغيير العبارات وهي أضعاف النسخة الأولى التي ألفناها في سنة 332 وإنما ذكرنا ذلك لاستفاضة تلك النسخة وكثرتها في أيدي الناس ثم في كتاب فنون المعارف، وما جرى في الدهور السوالف ثم في كتاب ذخائر العلوم وما جرى ف سالف الدهور ثم في كتاب الاستذكار، لما جرى في سالف الأعصار الذي كتابنا هذا تال له ومبني عليه وهو سابعها. وكل واحد من هذه الكتب تال لما قبله ومبني عليه، وخصصنا كل كتاب منها بتلاقين وعبارات مما لم نخصص بن الآخر إلا ما لا يسع تركه وبين الفرس وغيرهم من الأمم في تأريخ الإسكندر تفاوت عظيم، وقد أغفل كثير من الناس، وهو سر دياني وملوكي من أسرار الفرس لا يكاد يعرفه إلا الموابذة والهرابذة وغيرهم من ذوي التحصيل منهم والدراية، على ما شاهدناه بأرض فارس وكرمان وغيرها من أرض الأعاجم، وليس يوجد في شيء من الكتب بن بورشسب بن اسبيمان ذكر في الأبستا – وهو الكتاب المنزل عليه عندهم – أن ملكهم يضطرب بعد ثلاثمائة سنة، ويبقى دينهم فإذا كان على رأس ألف سنة ذهب

الدين والملك جميعاً وكان بين زرادشت والإسكندر نحو من ثلاثمائة سنة، لأن زرادشت ظهر في ملك كيبشتاسب بن كيلهراسب، على ما قدمنا من خبره فيما سلف من هذا الكتاب؛ وأردشير بن بابك حاز الملك وجمع الممالك بعد الإسكندر بخمسمائة سنة وبضع عشرة سنة، فنظر فإذا الذي بقي إلى تمام الألف سنة نحو من مائتي سنة، فأراد أن يمد الملك مائتي سنة أخرى، لأنه خشي إن تمت مائتا سنة بعده أن يترك الناس نصرة الملك والذب عنه، ثقة بخبر نبيهم في زواله، فنقص من الخمسمائة سنة والبضع عشرة سنة التي بينه وبين الإسكندر نحواً من نصفها وذكر من ملوك الطوائف من ملك هذه السنين وأسقط من عداهم، وأشاع في المملكة أن ظهوره واستيلاء على ملوك الطوائف وقتله أردوان أعظمهم شأناً وأكبرهم جنوداً إنما كان في سنة مائتين وستين بعد الإسكندر، فأوقع التاريخبذلك وانتشر في الناس

فلهذا وقع الخلاف بين الفرس وغيرهم من الأمم واضطرب تأريخ سني ملوك الطوائف لهذه العلة وقد ذكر ذلك أردشير بن بابك في آخر عهده الذي أورثه من بعده من الملوك من ولده في سياسة الدين والملك فقال ولولا اليقين بالبوار النازل على رأس الألف سنة لظننت أني قد خلفت فيكم من عهدي؛ ما إن تمسكتم به كان علامة لبقائكم ما بقي الليل والنهار؛ ولكن الفناء إذا جاءت أيامه؛ أطعتم أهواءكم، وأطرحتم آراءكم، وملكتم شراركم، وأذللتم خياركم وذكر ذلك أيضاً تنشر موبذ أردشير الداعي إليه والمبشر بظهوره في آخر رسالته إلى ماجشنس، صاحب جبال دباوند، والري، وطبرستان، والديلم، وجيلان. فقال ولولا أنا قد علمنا أن بلية نازلة على رأس الألف سنة لقلنا إن ملك الملوك قد أحكم الأمر للأبد، ولكنا قد علمنا أن البلايا على رأس الألف سنة، وأن سبب ذلك ترك أمر الملوك وإغلاق ما أطلق وإطلاق ما أغلق، وذلك للفناء الذي لابد منه، ولكنا وإن كنا أهل فناء فإن علينا أن نعمل للبقاء ونحتال له إلى أمد الفناء، فكن من أهل ذلك، ولا تعني الفناء على نفسك وقومك، فإن الفناء مكتف بقوته عن أن يعان، وأنت محتاج إلى أن تعين

نفسك بما يزينك في دار الفناء، وينفعك في دار البقاء، ونسأل الله أن يجعلك من ذلك بأرفع منزلة وأعلى درجة

ذكر ملوك الفرس الثانية وهم

الساسانية

وهي الطبقة الخامسة من ملوكهم

كان أولهم أردشير بن بابك بن ساسان بن بابك من ولد بهمن بن أسفنديار بن كيبشتاسب بن كيلهراسب، وهو الذي أزال ملوك الطوائف، ويسمى ملكه ملك الاجتماع ملك أربع عشرة سنة وشهوراً، ثم زهد في الملك وسلمه إلى ولده سابور، وتفرد بالعبادة وبعد ملكه مذ قتل أردوان الملك وكان من أعظم ملوك الطوائف بالعراق، وقد ذكرنا السبب في مبدأ ظهور أردشير وخير داعيه تنشر الزاهد، وفي الناس من يسميه دوشر، وكان أفلاطوني المذهب من أبناء ملوك الطوائف، أفضي ملك أبيه إليه بأرض فارس، فزهد فيه وكيف دعا إلى أردشير وبشر بظهوره، وبث الدعاة في البلاد لذلك ووطأ له الأمر، حتى اجتمع له الملك، واستظهر على جميع ملوك الطوائف، ولتنشر رسائل حسان في أنواع السياسة الملوكية والديانية يخبر عن أردشير وحاله، ويعتذر عنه مما فعل في ملكه من أمور أحدثها في الدين والملك، لم تعهد لأحد من الملوك قبله، وأن ذلك هو الصلاح لما توجبه الأحوال في ذلك الزمان منها رسالته إلى ماجشنس المقدم ذكرها ورسالته إلى ملك الهند وغيرهما من رسائله الثاني سابور بن أردشير ملك إحدى وثلاثين سنة وستة أشهر وفي أيامه كان ماني وإليه تضاف المانوية من أصحاب الاثنين الثالث هرمز بن سابور، ملك سنة وعشرة أشهر والرابع بهرام بن هرمز، ملك ثلاث سنين وثلاثة أشهر، وقتل ماني وعدة من متبعيه وذلك بمدينة سابوز فارس الخامس بهرام بن بهرام، ملك سبع عشرة سنة وقيل ثماني عشرة السادس بهرام بن بهرام بن بهرام، ملك أربع سنين وأربعة أشهر السابع نرسي بن بهرام بن بهرام، ملك تسع سنين وستة أشهر الثامن هرمز بن نرسي، ملك سبع سنين وخمسة أشهر التاسع سابور ذو الأكتاف بن هرمز، ملك اثنتين وسبعين سنة العاشر أردشير بن

هرمز، ملك أربع سنين الحادي عشر سابور بن سابور ذي الأكتاف، ملك خمس سنين وأربعة أشهر والثاني عشر بهرام بن سابور، ملك إحدى عشرة سنة والثالث عشر يزدجرد الأثيم بن سابور، ملك إحدى وعشرين سنة الرابع عشر بهرام بن جور بن يزدجرد، ملك ثلاثاً وعشرين سنة، وهو الذي نشأ عند ملوك الحيرة وبني له الخورنق؛ لأمور قد ذكرناها فيماس لف من كتبنا وكان فصيحاً بالعربية وله بها شعر صالح الخامس عشر يزدجرد بن بهرام جور، ملك ثماني عشرة سنة وأربعة أشهر وسبعة أيام السادس عشر فيروز بن يزدجرد، ملك سبعاً وعشرين سنة، وقتله أخشنوار ملك الهياطلة السابع عشر بلاش بن فيروز ملك أربع سنين الثامن عشر قباذ بن فيروز، ملك ثلاثاً وأربعين سنة، وفي أيامه كان مزدق الموبذ المتأول كتاب زرادشت المعروف بالابستاق، والجاعل لظاهره باطناً بخلاف ظاهره، وهو أول من يعد من أصحاب التأويل والباطن والعدول عن الظاهر في شريعة زرادشت وإليه تضاف المزدقية

والتاسع عشر أنوشروان بن قباذ ملك ثماني وأربعين سنة وقتل مزدقاً ومتبعيه، وقد أتينا على الفرق بين مذهب مزدق وما كان يذهب إليه في التأويل وبين ما ذهب إليه ماني، والفرق بين ماني ومن تقدمه من أصحاب الاثنين كابن ديصان ومرقيون وغيرهما وما ذهبوا إليه جميعاً في الفاعلين وأن أحدهما خير محمود مرغوب، والآخر شرير مذموم مرهوب منه، والفرق بين هؤلاء جميعاً، وما يذهب إليه الباطنية أصحاب التأويل في هذا الوقت في كتاب خزائن الدين سر العالمين وأنوشروان أول من سن رسوم الخراج وبين وضائعه وكان فيما سلف مقاسمة وقد كان أبوه قباذ شرع في ذلك في آخر أيامه ولم يتمه، توقد ذكرنا ذلك في كتاب الاستذكار، لما جرى في سالف الأعصار في باب ذكر السواد ومساحته ووصف طساسيجه وقسمته والعراق وحدوده من الأرض ووصف نهاياته في الطول والعرض
والعشرون هرمز بن أنوشروان ملك اثنتي عشرة سنة وخالف عليه بهرام جوبين الرازي، فآل ذلك إلى أن سمل هرمز، ولا يعلم فيمن قبله وبعده من ملوك الفرس من سمل غيره والحادي

والعشرون خسرو أبرويز بن هرمز، ملك ثماني وثلاثين سنة وقتله ابنه شيرويه بن أبرويز والثاني والعشرون شيرويه بن أبرويز قاتل أبيه واسمه قباذ ملك ستة أشهر والثالث والعشرون أردشير بن شيرويه ملك سنة وستة أشهر الرابع والعشرون شهربراز ملك أربعين يوماً، وقد أتينا على خبره وسبب مقتله ومقتل غيره من فرسان الفرس وشجعانهم على طبقاتهم من الملوك وغيرهم ممن أجمع على تقدميه وتفضيله وشجاعته ومقاماته المشهورة أيامه المذكورة في كتاب لنا ترجمناه بكتاب مقاتل فرسان العجم معارضة لكتاب أبي عبيدة معمر بن المثنى في مقاتل فرسان العرب والخامس والعشرون كسرى بن قباذ، ملك ثلاثة أشهر السادس والعشرون بوران ابنة كسرى أبرويز، ملكت سنة وستة أشهر، وكان ملكها في السنة الثانية من الهجرة وفيها قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين بلغه تمليك الفرس إياها وما بينهم من التخرب والفتن " لا يفلح قوم يدبر أمرهم امرأة " السابع والعشرون فيروز جشنس بنده، ملك ستة أشهر الثامن والعشرون أزرميدخت بنت كسرى أبرويز، ملكت ستة أشهر، وكان خرهرمز الآزدي أصبهبذخرسان، وهو أبو رستم صاحب القادسية بالحضرة فطمع فيها وراسلها في الاجتماع معها فواعدته ليلاً وأمرت صاحب الحرش بالفتك به ففعل ذلك، وكان رستم يخلف أباه بخراسان وقيل بآذربيجان وارمينية، فلما بلغه قتلها لأبيه سار إليها فقتلها به، وذلك في السنة العاشرة من الهجرة التاسع والعشرون فرخزادخسرو بن أبرويز، ملك سنة الثلاثون يزدجرد بن شهريار بن كسرى أبرويز بن هرمز أنوشروان بن قباذ ابن فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور بن يزدجرد الأثيم بن سابور الأصغر بن سابور الأكبر ذي الأكتاف بن هرمز بن نرسي بن بهرام بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير بن بابك ملك عشرين سنة وهو آخر ملوكهم والمقتول بمرو من بلاد خراسان سنة 32 في خلافة عثمان بن عفان وكانت للفرس مراتب أعظمها خمس وهم وسائط بين الملك وبين سائر رعيته فأولها واعلاها الموبذ تفسيره حافظ الدين لأن الدين بلغتهم مو وبذ حافظ وموبذان موبذ هو رئيس الموابذة وقاضي القضاة ومرتبته عندهم عظيمة نحو من مراتب الأنبياء و الهرابذة دون الموابذة في الرئاسة والثاني الوزير اسمه بزرّجفر

مذار تفسير ذلك أكبر مأمور والثالث الأصبهبذ وهو أمير الأمراء وتفسيره حافظ الجيش، لأن الجيش أصبه وبذ حافظ على ما رتبنا والرابع دبيربذ تفسيره حافظ الكتاب، والخامس هوتخشه بذ تفسيره حافظ كل من يكد بيديه كالمهنة والفرحين والتجار وغيرهم ورئيسهم ومنهم من يسميه واستريوش وكان هؤلاء المدبرين للملك والقوام به والوسائط بين الملك وبين رعيته، فأما المرزبان فهو اصحب الثغرلان المرز هو الثغر بلغتهم وبان القيم وكانت المرازبة أربعة للمشرق والمغرب والشمال والجنوب كل واحد على ربع المملكة

وللفرس كتاب يقال له كهناماه فيه مراتب مملكة فارس وأنها ستمائة مرتبة على حسب ترتيبهم لها وهذا الكتاب من جملة آئين ناماه تفسير آئين ناماه كتاب الرسوم، وغيرهم من ذوي الرئاسات، والموبذ لهم في هذا الوقت المؤرخ به كتابنا وهو سنة 345 وقد أتينا بن أذرباد بن أنميذ الذي قتله الراضي بمدينة السلام في سنة 325 وقد أتينا على خبره وقصة مقتله وما ذكر من سببه مع القرمطي سليمان بن الحسن بن بهرام الجنابي صاحب البحرين في ذلك في أخبار الراضي من كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر وقد تنازع من عني بأخبار الملوك والأمم في أنساب الفرس، وتسمية ملوكهم ومدة ما ملكوا، ولم نذكر من ذلك إلا ما ذكرته الفرس دون غيرهم من الأمم كالإسرائليين واليونانيين والروم؛ إذ كان ما يذهبون إليه في ذلك خلاف ما حكته الفرس، وكانت الفرس أحق أن يؤخذ عنها وإن كان أخبارهم قد درست مناقبهم قد نسيت وسومهم قد انقطعت لمر الزمان وتتابع الحدثان فلا نذكر منها إلا اليسير، وكانوا أهل العز الشامخ والشرف الباذخ والرئاسة والسياسة، فرساناً في الوغى، صبراً عند اللقاء أدت إليهم الأمم الأتاوات، وانقادت إلى طاعتهم خشية صولتهم، وكثرة جنودهم وقد أتينا على تنازع الناس في أنساب فارس وتفرع أقاويلهم في ذلك في الجزء السابع من كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهرة وللبابليين ملوك قد ذكروا في كثير من الكتب والزيجات في النجوم مثل النمرود ومن تلاه من النماردة وستحاريب وبخت نصر، ومن كان بعده من ولده ويغرهم لم نعرض لذكرهم في هذا الكتاب للتنازع الواقع في

أعدادهم وتسميتهم وسني ملكهم وتقادم أيامهم، الفرس تذكر أن هؤلاء الملوك البابليين إنما كانوا خلفاء لملوكهم الأولى ومرازبة على العراق وما يليه من المغرب حيث كانت دار مملكتهم بلخ إلى أن انتقلوا عنها ونزلوا المدائن من أرض العراق، وكان أول من فعل ذلك خماني ابنة بهمن بن أسفنديار قال المسعودي: ورأيت بمدينة اصطخر من أرض فارس في سنة 303 عند بعض أهل البيوتات المشرفة من الفرس كتاباً عظيماً يشتمل على علوم كثيرة من علومهم وأخبار ملوكهم وأبنيتهم وسياساتهم، لم أجدها في شيء من كتب الفرس كخداي ناماه وآئين ناماه وكهناماه وغيرها مصور فيه ملوك فارس من آل ساسان سبعة وعشرون ملكاً منهم خمسة وعشرون رجلاً وامرأتان قد صور الواحد منهم يوم مات شيخاً كان أو شاباً وحليته وتاجه ومخط لحيته وصورة وجهه وأنهم ملكوا الأرض أربعمائة سنة وثلاثاً وثلاثين سنة وشهراً وسبعة أيام، وأنهم كانوا إذا مات ملك من ملوكهم صوروه على هيئته ورفعوه إلى الخزائن كي لا يخفى على الحي منهم صفة الميت، وصورة كل ملك كان في حرب قائماً، وكل من كان في أمر جالساً وسيرة كل واحد في خواصه وعوامه وما حدث في ملكه من الكوائن العظيمة والأحداث والجليلة، وكان تاريخ هذا الكتاب أنه كتب مما وجد في خزائن ملوك فارس للنصف من جمادى الآخرة سنة 113 ونقل لهشام بن عبد الملك بن مروان من الفارسية إلى العربية فكان أول ملوكهم فيه أردشير شعاره في صورته أحمر مدنر وسراويله لون السماء وتاجه أخضر في ذهب بيده رمح وهو قائم وآخرهم يزدجرد بن شهريار بن كسرى أبرويز، شعاره أخضر موشى وسراويله موشى لون السماء وتاجه أحمر قائم بيده رمح معتمد على سيفه بأنواع الأصباغ العجيبة التي لا يوجد مثلها في هذا الوقت والذهب والفضة المحلولين ونحاسه محكوك، والورق فرفيري اللون عجيب الصبغ فلا أدري أورق هو أم رق لحسنه وإتقان صنعته

وقد أتينا على جمل من ذلك في الجزء السابع من كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر الحاوي لأخبار الفرس الأولى وهم الكيانيون، والطوائف من الأشغان، والأردوان وغيرهم،

والساسانية وطبقاتهم وأنسابهم وملوكهم إلى يزدجرد بن شهريار آخرهم، ومن أعقب منهم ومن لم يعقب وسيرهم وحروبهم وحيلهم ومكايدهم فيها، وكيفية غلبتهم على العراق وزوال ملك النبط، والأردوان منهم، والأرمان وضروب سياستهم الديانية والملوكية الخاصة منها والعامة، وعهودهم وخطبهم ورسائلهم ومبلغ سني ملكهم وشعارهم، وما كان من الكوائن والأحداث أعصارهم، ومبدأ دين المجوسية وظهورها وخبر زرادشت نبيهم، وما جاء به وخطوطهم السبعة التي كانوا يكتبون بها وأحرف كل خط منها، ولما أفردوا أعيادهم من النواريز والمهرجان وعلة كل نوروذ منها وغير ذلك من الأعياد، والعلة في إيقادها النيران وصبهم المياه وشدهم الكاتيج في أوساطهم كشد النصارى الزنانير، وأسباب الملك وحاجة الناس إلى الملوك والتدبير والحوادث المنذرات بزوال الملك من فارس إلى العرب، وما كانوا يروونه عن أسلافهم ويتوقعونه من الدلائل والعلامات في ذلك واحتراس ملوكهم عن وقوعه، وضروب آنيتهم من المآكل والمشارب والملابس والمراكب والمساكن، وحفروا من الأنهار وأثروا في الأرض من عجيب البنيان وبيوت النيران والعلة في عبادتهم إياها، وما قالوه في مراتب الأنوار، والفرق بين النار والنور؛ وأضداد الأنوار ومراتبها؛ ومراتب ذوي الرئاسات الملوكية والديانية من المرازبة والإصبهبذين والهرابذة والموابذة ومن دونهم، ورايات الفرس وأعلامهم وتشعب أنسابهم، وما قال الناس في ذلك، والبيوت المشرفة فيهم من أبناء الملوك وغيرهم، والشهارجة والدهاقين، والفرق بينهم وبين من سكن منهم في السواد وغيره من البلاد قبل ظهور الإسلام وبعده إلى هذا الوقت المؤرخ وما تذكره الفرس في المستقبل من الزمان وينتظرونه في الآتي من الأيام من عود الملك إليهم ورجوعه فيهم وظهوره عليهم، وما يذكرون من دلائل ذلك ونذراته بتأثيرات النجوم وغيرها من الأمارات والعلامات. كظهور المنتظرين عندهم كبهرام هماوند وسشياوس وغيرهما، وما يكون من قصصهم وما يحدث في الأرض من الآيات، ووقوف الشمس نحواً من ثلاثة أيام وغير ذلك، وذلك إلى مدة حدوها وأوقات قرروها، رأينا الإضراب عن ذكرها في هذا الكتاب وقول من قال منهم بعد ظهور الإسلام أن الفرس من ولد إسحاق بن إبراهيم الخليل وما استشهدوا به على ذلك من

أشعار ولد معد بن عدنان في افتخارهم بالفرس على اليمانية، وأنهم من ولد أبيهم إبراهيم، كقول جرير بن عطية بن الخطفي التميمي مفتخراً لنزار على اليمن

ابونا خليل الله لا تنكرونه ... فأكرم بإبراهيم جداً ومفخرا

وأبناء إسحاق الليوث إذا ارتدوا ... حمائل موت لابسين السنورا

إذا افتخروا عدوا الصبهبذ منهم ... وكسرى وعدو الهرمذان وقيصرا

أبونا أبو إسحاق يجمع بيننا ... أب كان مهدياً نبياً مطهرا

ويجمعنا والغر أبناء فارس ... أب لا نبالي بعده من تأخرا

أبونا خليل الله والله ربنا ... رضينا بما أعطى الإله وقدرا

وكقول إسحاق بن سويد العدوي، عدي قريش

إذا افتخرت قحطان يوماً بسؤدد ... أتى فخرنا أعلى عليها وأسودا

ملكناهم بدء بإسحاق عمنا ... وكانوا لنا عوناً على الدهر أعبدا

ويجمعنا والغر أبناء فارس ... أب لا تبالي بعده من تفردا

وكقول بعض النزارية

وإسحاق وإسماعيل مدا ... معالي الفخر والحسب اللبابا

فوارس فارس وبنو نزار ... كلا الفرعين قد كبرا وطابا

وأن الفرس قد كانت في سالف الدهر تقصد البيت الحرام بالنذور العظام تعظيماً لإبراهيم الخليل عليه السلام بابنه وأنه عندهم أجل الهياكل السبعة المعظمة، والبيوت المشرفة في العالم. وأن رجلاً تولاه فأعطاه المدة والبقاء، واستشهدوا بقول بعض العرب في الجاهلية

زمزمت الفرس على زمزم ... وذاك في سالفها الإقدام

وقول من قال منهم إن منوشهر الذي ترجع إليه الفرس جميعاً في أنسابها هو منشخر بن منشخرباغ، وهو يعيش بن ويزك وويزك هو إسحاق بن إبراهيم الخليل واستشهادهم بقول بعض شعراء الفرس في الإسلام مفتخراً

أبونا ويزك وبه اسامي ... إذا افتخر المفاخر بالولاده

أبونا ويزك عبد رسول ... له شرف الرسالة والزهاده

فمن مثلي إذا افتخرت قروم ... وبيتي مثل واسطة القلاده

وقول من قال منهم جميعاً: إن الملك سينقل من ولد إسماعيل إلى ولد إسحاق، وهذا هو الأغلب على ما ظنه أهل عصرنا من أصحاب التأويل مع من ينازعهم، هل ذلك في ولد العيص، أم في المصطفين من ولد آل عمران.

ولذوي المعرفة منهم في ذلك ألغاز ورموز وأغراض وغير ذلك من أخباره والغرر من أيامهم، مما أخذناه عن علمائهم، كالموابذة والهرابذة وغيرهم من ذوي المعرفة بأخبارهم بأرض العراق وخوزستان وفارس وكرمان وسجستان والماهات وغير ذلك من أرض الأعاجم، ونقلناه من الكتب الصحيحة المشهورة عندهم وكتاب مروج الذهب يشتمل على الأخبار عن بدء العالم وأوليته وأقاويله الأمم في ذلك من أصحاب القدم والحدث، وما احتج به كل فريق منهم لقولهم على تباينهم والخلق وتفرقهم على الأرض والأنبياء وشرائعهم والملوك وسيرهم وسياساتهم، والأمم وآرائهم ونحلهم وشيعهم وأخلاقهم ومساكنهم من أخبار العرب والفرس والسريانيين واليونانيين والروم والهند والصين وغيرهم من الأمم ومن كان فيهم من الأطباء والحكماء والفلاسفة القدماء والنواحي والآفاق والأرض وشكلها وقسمتها وما على ظهرها من عجيب البنيان والعامر منها والنامر، والأفلاك وهيأتها والنجوم وكيفية تأثيراتها في هذا العالم الأرضي ووصف الأقاليم السبعة ومقاديرها وأطوالها وعروضها والبحار وخلجانها والمتصل منها والمنفصل، وما فيها وحولها من العجائب، وما كان من الأرض براً فصار بحراً، وبحراً فصار براً على مرور الأزمان وكرور الدهور وعلة ذلك وسببه الفلكي الطبيعي، والأنهار ومبادئها ونهاياتها وأخبار الأمم الدائرة والممالك البائدة، وجامع تاريخ العالم والأنبياء والملوك من آدم إلى نبينا صلّى الله عليه وسلّم ومولده ومبعثه وهجرته ومغازيه وسراياه وسواربه إلى وفاته والخلفاء والملوك من بعده وكتابهم ووزرائهم والغرر من أخبارهم، وما كان من الكوائن والأحداث والحروب في أيامهم إلى سنة 345 في خلافة المطيع، وهو مجزأ على

ثلاثمائة وخمسة وستين جزءاً، فإذا اجتمع كانت سمته كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر وإذا افترق كان كل جزء منه كتاباً قائماً بنفسه مضافاً إلى ما اشتمل عليه وأفرد له

ذكر ملوك اليونانيين ومدة ما ملكوا من السنين

عدة ملوك اليونانيين من فيلبس أبي الإسكندر إلى قلوبطرة آخرهم ستة عشر ملكاً وجملة ما ملكوا من السنين مائتا سنة وثلاث وتسعون سنة وثمانية عشر يوماً، وذلك موجود في قانون ثاون الاسكندراني وغيره وقد ذهب قوم ممن عني بأخبار سير الملوك وتواريخ الأمم إلى أن عدة ما ملكوا من السنين ثلاثمائة سنة وثلاث سنين وقيل في عدة ملوكهم ومدة سنيهم أكثر من ذلك وأقل، غير أن الأشهر ما ذكرناه وكان أول من يعد من ملوك اليونانيين في التاريخ المقدم للحنفاء والقوانين والزيجات في النجوم وغيرها فيلبس أبو الإسكندر ملك سبع سنين وكان لليونانيين قبله ملوك سلفوا يتنازع في أعدادهم وسماتهم ومدة ما ملكوا من السنين الثاني ابنه الإسكدنر الملك، ملك خمس عشرة سنة تسعاً منها قبل قتله دارا بن دارا وستاً بعد قتله إياه على ما في ذلك من التنازع في مدة ملكه بين المجوس والنصارى وغيرهم وأفضى الملك إليه وله ست وثلاثون سنة، والعوام تكثر من سنيه وهذا هو المعول عليه الثالث ابطليموس أورنداس، ملك سبع سنين الرابع ابطليموس الكصندرس ملك اثنتين وعشرين سنة، وهو الذي نقلت له التوراة نقلها اثنان وسبعون حبراً بالإسكندرية من بلاد مصر من اللغة العبرانية إلى اليونانية وقد ترجم هذه النسخة إلى العربي عدة ممن تقدم وتأخر منهم حنين بن إسحاق، وهي اصح نسخ التوراة عند كثير من الناس

فلما الإسرائيليون من الأشمعث وهم الحشر والجمهور الأعظم، والعنانية وهم ممن يذهب إلى العدل والتوحيد؛ فيعتمدون في تفسير الكتب العبرانية التوراة والأنبياء والزبور وهي أربعة وعشرون كتاباً وترجمتها إلى العربية على عدة من الإسرائيليين المحمودين عندهم قد شاهدنا أكثرهم منهم أبو كثير يحيى بن زكريا الكاتب الطبراني إشمعثي المذهب، وكانت وفاته في حدود العشرين والثلاثمائة، ومنهم سعيد بن يعقوب الفيومي إشمعثي المذهب أيضاً، وكان

قد قرأ على أبي كثير وقد يفضل تفسيره كثير منهم، وكانت له قصص بالعراق مع رأسا لجالوت داود بن زكي من ولد داود واعتراض عليه وذلك في خلافة المقتدر وتحزب من اليهود لأجلهما وحضر في مجلس الوزير علي بن عيسى وغيره من الوزراء والقضاة وأهل العلملفصل ما بينهم وترأس الفيومي على كثير منهم، وانقادوا إليه، وكانت وفاته بعد الثلاثين والثلاثمائة، ومنهم داود المعروف بالقومسي، وكانت وفاته سنة 334، وكان مقيماً بيت المقدس، وإبراهيم البغدادي ولم أشاهدهما وقد كانت جرت بيننا وبين أبي كثير ببلاد فلسطين والأردن مناظرات كثيرة في نسخ الشرائع والفرق بين ذلك، وبين اعبدا وغير ذلك، وبين يهودا ابن يوسف المعروف بابن أبي الثناء تلميذ ثابت بن قرة الصابئ في الفلسفة والطب في الرقة من ديار مضر وبين سعيد بن علي المعروف بابن اشلميا بالرقة أيضاً وكذلك بين من شاهدنا من متكلميهم بمدينة السلام مثل يعقوب بن مردويه ويوسف بن قيوما وآخر من شاهدنا منهم ممن تقدم إلينا من مدينة السلام بعد الثلاثمائة إبراهيم اليهودي التستري، وكان أحذق من تأخر منهم في النظر وأحسنهم تصرفاً فيه الخامس ابطلميوس الأريب، ملك سبعاً وعشرين سنة السادس ابطلميوس محب أخيه، ملك ستاً وعشرين سنة السابع ابطلميوس الصانع، ملك خمساً وعشرين سنة الثامن ابطلميوس محب أبيه، ملك سبع عشرة سنة التاسع ابطلميوس الظاهر، ملك أربعاً وعشرين سنة العاشر ابطلميوس محب أمه، ملك عشرين سنة الحادي عشر ابطلميوس الحوال، ملك ثلاثاً وعشرين سنة الثاني عشر ابطلميوس المخلص، ملك سبع عشرة سنة الثالث عشر ابطلميوس الكصندرس أيضاً، ملك عشرين سنة الرابع عشر ابطلميوس قساس، ملك ثمانية عشر يوماً الخامس عشر ابطلميوس ديونسيوس، ملك تسعاً وعشرين سنة السادس عشر قلوبطرة ابنة ابطلميوس، ملكت اثنتين وعشرين سنة، وكانت حكيمة ولها كتب في الرقية وغيرها، وليس ابطلميوس القلوذي صاحب كتاب المجسطي وغيره من الكتب من هؤلاء البطلميوسين ولم يكن ملكاً وقد بينا ذلك في كتاب أخبار ملوك الروم الأولى فيما يرد من هذا الكتاب في ملك أنطونيوس بيوس مجملاً وفيما تقدمه من الكتب مشروحاً

وأتينا في كتاب فنون المعارف، وما جرى في الدهور السوالف على أخبار اليونانيين وأنسابهم وآرائهم وديارهم والتنازع في بدء أنسابهم ومن قال أنهم من ولد يونان بن يافث بن نوح، ومن قال بل هو يونان بن ارعوا بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح، ومن قال بل هو يونان بن عابر أخو قحطان بن عابر ومن ذهب إلى أنهأنهم من ولد أليفز بن العيص بن إسحاق ابن إبراهيم وأنهم إخوة الروم وغير ذلك من الأقاويل وكيفية غلبة الروم عليهم ودخولهم في جملتهم حتى زال اسمهم وانقطع ذكرهم ونسب الجميع إلى الروم بغلبة أوغسطس الملك عليهم عند خروجه من رومية ومسيره إلى الشأم ومصر وتنازع الناس في الفلاسفة كفيثاغورس وثاليس وانبقليس والرواقيين وأصحاب الاصطوان وأميروس وأرسيلاوس وسقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس وثاوفرسطس وثامسطيوس وأبّقراط وجالينوس وغيرهم من الفلاسفة والأطباء أروم هم أم يونانيون وما ذكرنا من الشواهد من كتبهم أنهم يونانيون، وقول من قال إنهم روم وسير ملوكهم وحروبهم وأخبار الإسكندر وسيره ومسيره في مشارق الأرض ومغاربها، وما وطيء من الممالك، ولقي من الملوك، وبنى من المدن، ورأى من العجائب وأخبار الردم وهو سد يأجوج ومأجوج وما كان بينه وبين معلمه أرسطاطاليس بن نيقوماخس، صاحب كتب المنطق وغيرها، وتفسير أرسطاطاليس الغذاء التام وقيل تام الفضيلة لأن أرسطو هو الفضيلة، وطالس تام، وتفسير نيقوماخس قاهر الخصم من الرسائل والمكاتبات في ضروب السياسات الملوكية والديانية وغير ذلك، وتنازع الناس في الإسكندر أهو ذو القرنين أم غيره؟ وما قيل في ذلك وما كان من أخبار خلفائه بعده كانطيخس الباني مدينة أنطاكية وإلى اسمه أضيفت فعربتها العرب فسمتها أنطاكية، وكسليقس الباني مدينة سلوقية وغيرهما وما كان بينهم وبين من كان بالإسكندرية من بلاد مصر من الحروب، وأخبار الفلاسفة وآرائهم الإلهيين منهم والطبيعيين، ومن قتل منهم، وما كانوا عليه من الآراء إلى عهد سقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس من الفلسفة المدنية، وما أحدثوه من الآراء خلافاً على ما تقدم ومباينة للفلسفة الأولى الطبيعية التي إليها كانت يذهب فوثاغورس وثاليس الملطي، وعوام اليونانيين، وصابئو المصريين الذي

بقيتهم في هذا الوقت صابئو الحرانيين، وقد ذكر ذلك أرسطاطاليس في كتابه في الحيوان، وهو تسع عشرة مقالة فقال ولما كان منذ عشرين سنة من زمن سقراط مال الناس عن الفلسفة الطبيعية إلى الفلسفة المدنية وما ذهب إليه سقراط ومن رأى رأيه ممن سميناه في الموجود الأول الذي اقتبست الموجودات وجودها عنه وكيف يفيض عليها بجوده، وكيف حصلت الموجودات عنه، وعلى أي شيء هي سبب وجودها، وغاية لها، وعلى أي جهة ينبغي أن يعتقد، وكيف ترتيب مراتبها في الوجود، وكيف ارتبط بعضها ببعض، وبأي شيء ارتبطت وائتلفت، ومن أي شيء موادها، وما جواهر الأجسام الطبيعية التي تحتوي عليها الأجسام السمائية، وهي الأجسام الهيولانية، وما مراتب الروحانيين، وما فوض إلى كل واحد منهم من التدبير؟ ونفس الإنسان وكم قواها وما فعل كل واحد منها ومراتب بعضها في بعض، وإحصاء جمل أعضائها ومراتبها؟ وأي القوى هي الرئيسة، وما مراتبها، ومن انتهى في الرئاسة، وأيها المخدومة وأيها الخادمة؟ وكيف يحدث العقل في الإنسان، وكيف فعل العقل الفعال في الحر الناطق،وتنازع الناس في السعادة المطلوبة التي لها كون الإنسان، وما الشقاء الذي يصير إليه إذا حاد عن طريق السعادة؟ وذكر المنام وأصناف الرؤيا، ولأي جزء من أجزاء النفس ذلك، وما الرؤيا الصادقة، ومن أين تحصل للنفس وكيف صارت الصادقة تدل، وعلى أي جهة تدل؟ وكيف الطريق إلى علم عبارة الرؤيا، وما الحاجة إلى الاجتماعات الإنسانية، وأصناف الاجتماعات وهي التي بها يتعاونون على بلوغ أغراضهم التي إليها يأتمون، وأيها عظمي وأيها وسطي وأيها صغري؟ وما الاجتماع المدني الذي يكون في المدينة الفاضلة، وما المدينة الفاضلة، وما مراتب أجزائها، ومراتب رئاساتها، وكيف صارت منزلة أجزاء هذه المدينة منزلة أعضاء الحيوان من الحيوان، فإنهم يتعاونون على تكميل السعادة للإنسان كما يتعاون أعضاء الحيوان على تكميل حياة الحيوان؟ وكيف ينبغي أن يكون ملك هذه المدينة ورئيسها الأول؟ وأي علامات وشرائط ينبغي أن يكون فيه من مولده وفي صبائه وحداثته

يرشح بها لملك المدينة الفاضلة والفضائل التي يصير بها سائساً كاملاً ورئيساً فاضلاً، وبأي آداب وصناعات يؤدب فتمكن فيه حتى تحصل له مهنة الملكية الفاضلة؟ وفي أي الأمم يوجد ذلك في الأغلب؛ وفي أيها في النادر، وهل هو جزء من أجزاء المدينة أم غيرها، على ما في ذلك من التنازع بين أفلاطون وأرسطاطاليس؛ على حسب ما ذكره أفلاطون في كتاب الفحص عن ملك المدينة الفاضلة الذي هو الفيلسوف في الحقيقة وذكره أرسطاطاليس في كتابه في السياسة المدنية وعدد أجزاء هذه المدينة ومثلها الطبيعية وكيف ينبغي أن تكون الرئاسات التي تتبع الرئيس الأول في هذه المدينة، وبماذا تكمل وتلتئم تلك الرئاسات؟ وكم أصناف المدن المضادة للمدينة الفاضلة؛ كالمدن الجاهلية والمدن الضالة والمدن الفاسقة ومراتب ملوكهم ورئاساتهم، ونحو ماذا يؤمون وعلى بلوغ أي غرض يتعاونون، وما أصناف السعادات التي تصير إليها أنفس أهل المدينة الفاضلة في الحياة الآخرة وأصناف الشقاء التي تصير إليها أنفس أهل المدن المضادة للمدينة الفاضلة في الحياة الآخرة، وما الأشياء التي ينبغي أن يعلمها ويعمل بها أهل المدينة الفاضلة باشتراك وعلى العموم لينالوا بها السعادة الكاملة المطلوبة، وما العلامات التي يتميز بها أهل المدينة الفاضلة من باقي الأمم والمدن المضادة لهم وما ينبغي أن تكون عليه أحوال أهل المدينة الفاضلة متى لم تكن لهم مدينة تخصهم وكانوا غرباء في المدن المضادة لمدينتهم، وذكر الأصول الفاسدة التي منها تفرعت أصناف الآراء والاجتماعات والمدن والرئاسات الجاهلية والأصول الفاسدة التي منها تنشأ أصناف الآراء والاجتماعات والمدن والرئاسات الضالة، وقولهم في الأوائل بها وجود سائر الموجودات وهي الأول أكملها وجوداً إذ لم يكن وجوده لأجل غيره ووجود كل ما سوه لأجله، والأشياء منه لا هو منها، اقتبست وجودها من وجوده، فهو كل الأشياء. وليست الأشياء هو، ومعرفته الواجبة ألاّ طريق إليه إلا منه ولا سبيل إليه إلا به إذا كانت العلة لا يدركه معلول ولا محدث قديماً ولا مخلوق خالقاً، والثواني التي تليه في الوجود ومراتبها بحسب مراتب الأجسام السمائية وعددها على عددها،والعقل الفعال، والنفس، والصورة، والهيولي، وأن باقي الموجودات هي الأجسام، وأجناسها ستة، الجسم

السمائي، والحيوان الناطق، والحيوان غير الناطق، والنبات، والأجسام الحجرية، وهي المعدنية،والاستقصات الأربعة وهي النار، والهواء والماء، والأرضيرشح بها لملك المدينة الفاضلة والفضائل التي يصير بها سائساً كاملاً ورئيساً فاضلاً، وبأي آداب وصناعات يؤدب فتمكن فيه حتى تحصل له مهنة الملكية الفاضلة؟ وفي أي الأمم يوجد ذلك في الأغلب؛ وفي أيها في النادر، وهل هو جزء من أجزاء المدينة أم غيرها، على ما في ذلك من التنازع بين أفلاطون وأرسطاطاليس؛ على حسب ما ذكره أفلاطون في كتاب الفحص عن ملك المدينة الفاضلة الذي هو الفيلسوف في الحقيقة وذكره أرسطاطاليس في كتابه في السياسة المدنية وعدد أجزاء هذه المدينة ومثلها الطبيعية وكيف ينبغي أن تكون الرئاسات التي تتبع الرئيس الأول في هذه المدينة، وبماذا تكمل وتلتئم تلك الرئاسات؟ وكم أصناف المدن المضادة للمدينة الفاضلة؛ كالمدن الجاهلية والمدن الضالة والمدن الفاسقة ومراتب ملوكهم ورئاساتهم، ونحو ماذا يؤمون وعلى بلوغ أي غرض يتعاونون، وما أصناف السعادات التي تصير إليها أنفس أهل المدينة الفاضلة في الحياة الآخرة وأصناف الشقاء التي تصير إليها أنفس أهل المدن المضادة للمدينة الفاضلة في الحياة الآخرة، وما الأشياء التي ينبغي أن يعلمها ويعمل بها أهل المدينة الفاضلة باشتراك وعلى العموم لينالوا بها السعادة الكاملة المطلوبة، وما العلامات التي يتميز بها أهل المدينة الفاضلة من باقي الأمم والمدن المضادة لهم وما ينبغي أن تكون عليه أحوال أهل المدينة الفاضلة متى لم تكن لهم مدينة تخصهم وكانوا غرباء في المدن المضادة لمدينتهم، وذكر الأصول الفاسدة التي منها تفرعت أصناف الآراء والاجتماعات والمدن والرئاسات الجاهلية والأصول الفاسدة التي منها تنشأ أصناف الآراء والاجتماعات والمدن والرئاسات الضالة، وقولهم في الأوائل بها وجود سائر الموجودات وهي الأول أكملها وجوداً إذ لم يكن وجوده لأجل غيره ووجود كل ما سوه لأجله، والأشياء منه لا هو منها، اقتبست وجودها من وجوده، فهو كل الأشياء. وليست الأشياء هو، ومعرفته الواجبة ألاّ طريق إليه إلا منه ولا سبيل إليه إلا به إذا كانت العلة لا يدركه معلول ولا محدث قديماً ولا مخلوق خالقاً، والثواني التي تليه في الوجود ومراتبها بحسب

مراتب الأجسام السمائية وعددها على عددها،والعقل الفعال، والنفس، والصورة، والهيولي، وأن باقي الموجودات هي الأجسام، وأجناسها ستة، الجسم السمائي، والحيوان الناطق، والحيوان غير الناطق، والنبات، والأجسام الحجرية، وهي المعدنية،والاستقصات الأربعة وهي النار، والهواء والماء، والأرض

وما ذهبوا إليه في العقل الأول والثاني، والنفس وما تحت ذلك من الطبائع وأن العقل هو العلة المتوسطة بين الله عز وجل، وبين خلقه، والسبب الذي شرفت به النفس الناطقة في عالمها، والمرآة التي بها تنظر إلى محاسنها ومساويها وبها تتأمل صور مهالكها ومناجيها، وقولهم في النفس الناطقة وغيرها من النفوس كالنزاعية والتخيلية والحسية والبهيمية، وما يرتبط منها بالأجسام السمائية التي هي على أعدادها ومقسومة عليها، وأن النفس الناطقة جوهر بسيط من جوهر الحي الذي لا يموت، وأن موتها انتقالها من جسم إلى جسم، وأنها إذا فارقت البدن عاينت كل ما في العوالم، ولمي خف عليها خافية، وأن غرضها وغايتها القصوى السعادة واللحاق بعالم العقل، وهي الإنسان على الحقيقة والعلة في نزولها من عالم العقل إلى عالم الحس، حتى نسيت بعد الذكر، وجهلت بعد العلم، وقول من رأى ذلك منهم، ولأية علة صار الإنسان العالم الصغير، وما اجتمع فيه وشبه به من سائر الأشياء، وما الاتصال والنسبة بين العوالم، عند من ذكرنا قوله؟ وما ذهب إليه أرسطاطاليس في أزلية العلة والمعلول، وذكره ذلك في المقالة الأولى من كتابه في سمع الكيان وفي المقالة الثامنة منه أيضاً، وهو ثماني مقالات، وفي كتاب السماء والعالم وهو أربع مقالات، وفي كتاب ما بعد الطبيعة وهو ثلاث عشرة مقالة وقول سائر أهل الشرائع مع تنازعهم وغيرهم من أصحاب القدم في المعاد بعد مفارقة النفوس الأجساد؛ وقول أصحاب التأويل وغيرهم في الروح اللطيف الغير محسوس، والكثيف المحسوس، وغير ذلك من حدودهم المؤيد منها والمقصود وسائر الآراء والنحل قال المسعودي: وأرسطاطاليس هو تلميذ أفلاطون. وأفلاطون تلميذ سقراط وسقراط تلميذ أرسيلاوس، في الطبيعيات – دون غيرها من العلوم – وتفسير

أرسيلاوس رأس السباع، وأرسيلاوس تلميذ أنكساغورس وقد ذكرنا في كتاب فنون المعارف، وما جرى في الدهور السوالف الفلسفة وحدودها، والأخبار من كمية أجزائها وما ذكره فوثاغورس. وثاليس الملطي، والرواقيون، وأفلاطون، وأرسطاطاليس وغيرهم. وتنازعهم في ذلك وصفة الفيلسوف الذي يجب له في الحقيقة هذا الاسم، ويطلق عليه، وكيفية سيرته وأخلاقه وأوصافه وصورته. ومراتب الفلسفة، وعلى ماذا استقرت وكيف وقعت التعاليم بها إلى هذا الوقت، وإلى ماذا انتهت، والغرض من كتب المنطق ووصفها والحاجة التي دعت إلى تأليف كتب المنطق وما المنفعة التي تستفاد منها. ولم صارت ثمانية كتب. وما العلة في هذا الترتيب، وما الغرض المقصود في كل واحد منها، وما الأشياء التي ينبغي أن يبتدئ بالنظر فيها من أراد قراءة كتب المنطق. وفي أي صنف من الصناعات تدخل صناعة الفلسفة. وكم حدودها. وإلى من يضاف كل حد منها من الفلاسفة، ومن أي الجهات استخرجت حدودها. وما معنى كل حد منها. وكم أقسام الفلسفة الأوالي والثواني. ولم قسمت بهذه القسمة وجرت قسمتها هذا المجرى؟ ولأية علية ابتدئ بالفلسفة المدنية من سقراط ثم أفلاطون ثم أرسطاطاليس ثم ابن خالته ثاوفرسطس ثم أوذيمس، ومن تلاه منهم واحداً بعد آخر، وكيف انتقل مجلس التعليم من أثينة إلى الإسكندرية من بلاد مصر، وجعل أوغسطس الملك لما قتل قلوبطرة الملكة التعليم بمكانين الإسكندرية ورومية، ونقل تيدوسيوس الملك الذي ظهر في أيامه أصحاب الكهف التعليم من رومية، ورده إياه إلى الإسكندرية؟ ولأي سبب نقل التعليم في أيام عمر بن عبد العزيز من الإسكندرية إلى أنطاكية، ثم انتقاله إلى حران في أيام المتوكل؟ وانتهى ذلك في أيام المعتضد إلى قويري ويوحنا بن حيلان، وكانت وفاته بمدينة السلام في أيام المقتدر وإبراهيم المروزي، ثم إلى أبي محمد بن كرنيب وأبي بشر متى بن يونس تلميذي إبراهيم المروزي، وعلى شرح متى لكتب أرسطاطاليس المنطقية يعول الناس في وقتنا هذا، وكانت وفاته بغداد في خلافة الراضي، ثم إلى أبي نصر محمد ابن محمد الفارابي تلميذ يوحنا بن حيلان وكانت وفاته بدمشق في رجب سنة 339 ولا أعلم في هذا الوقت أحداً يرجع إليه في ذلك إلا رجلاً واحداً من

النصارى بمدينة السلام يعرف بأبي زكرياء بن عدي، وكان مبدأ أمره ورأيه وطريقته في درس طريقة محمد بن زكرياء الرازي، وهو رأي الفوثاغوريين في الفلسفة الأولى على ما قدمنا

فلنذكر الآن ملوك الروم على طبقاتهم، الصابئين منهم والمتنصرة. وجملة ما ملكوا من السنين، وما كان من الحوادث العظيمة في أيامهم وبلادهم وغير ذلك من أخبارهم

ذكر ملوك الروم على طبقاتهم من الحنفاء

وهم الصابئون والمتنصرة وعدتهم، وجملة ما ملكوا من السنين

عدة ملوك الروم جميعاً من عائيوس قيصر اول ملوكهم إلى قسطنطين بن لاون بن بسيل الملك عليهم في هذا الوقت وهو سنة 345 في خلافة المطيع ثمانية وسبعون ملكاً من ذلك الملوك الصابئون المسمون بالحنفاء قبل النصرانية أربعون ملكاً، والمتنصرة من قسطنطين بن هيلاني إلى قسطنطين بين لاون هذا ثمانية وثلاثون ملكاً وجملة ما ملكوا من السنين تسعمائة وست وستون سنة وشهر من ذلك الصابئون ثلاثمائة وأربع وسبعون سنة وثلاثة أشهر، والمتنصرة إلى ملك قسطنطين ابن لاون خمسمائة وإحدى وتسعون سنة وعشرة أشهر

ذكر الطبقة الأولى من ملوك الروم وهم

الصابئون

كان أول من يعد ممن ملك منهم برومية غائيوس قيصر، ملك ثماني عشرة سنة، وقد كان ملك بها قبله ملوك أولهم روملس وأرمانوس، البانيان لها المعروفان بابني الذئبة، وإلى اسمها أضيفت رومية وأضيف الروم إلى اسمهما وغيرهما من الملوك، غير أن غائيوس أول من يعد في التاريخ القديم وقيل إن أول من ملك الروم رهماساطوخاس وهو جائيوس الأصفر بن روم ابن سملاحين بن هريا بن علقا بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم الثاني من ملوك رومية يوليوس، ملك أربع سنين وأربعة أشهر والثالث أوغسطس وتفسير أوغسطس باللغة الإفرنجية الأولى الضياء وسمي قيصر تفسير ذلك بهذه اللغة شق عنه، وذلك أنهم ذكروا أن

أمه مات وهي مقرب به فشق عنه بطنها واستخرج، وصار ذلك كالسمة كثير من ملوكهم. واشتهر ذلك عنهم فسمتهم العرب بالقياصرة، ملك ستاً وخمسين سنة وخمسة أشهر وأكثر من عني بأخبار ملوك الروم وتواريخهم؛ بأوغسطس يبتدئ لأنه أول ملك من ملوك الروم خرج عن مدينة رومية دار مملكته وسير جنوده براً وبحراً، فاستولى على ملك اليونانيين ومصر والشام. وقتل قلوبطرة، آخر ملوك اليونانيين، فاجتمع له ملك الروم واليونانيين وزالت رسوم اليونانيين فسمي الجميع روماً، وذلك لاثنتي عشرة سنة خلت من ملكه، وولى هيرودس بن أنطيقوس على أورشلم وهي بيت المقدس وجبل يهودا وجبل الجليل ولاثنتين وأربعين سنة خلت من ملكه كان مولد المسيح عليه السلام ببيت لحم من بلاد فلسطين، يوم الأربعاء لست بقين من كانون الأول وكانت مريم يوم ولدته بنت ثلاث عشرة سنة عند النصارى، وكان جميع عمرها إحدى وخمسين سنة منها بعد رفع المسيح ست سنين فكان من آدم إلى مولده عندهم خمسة آلاف سنة وخمسمائة سنة وست سنين، ومن زوال ملك قلوبطرة آخر من ملك اليونانيين على ما قدمنا في هذا الكتاب إلى مولده ثلاثون سنة الرابع طيباريوس قيصر، ملك ثلاثاً وعشرين سنة، وهو الذي بنى مدينة طبرية من بلاد الأردن من أرض الشأم، وإلى اسمه أضيفت فعربتها العرب حين افتتحت البلاد فقالت طبرية ولخمس عشرة سنة خلت من ملكه عمد إيشوع الناصري عند النصارى في نهر الأردن، وكان المعمد له ابن خالته يحيي بن زكرياء، ولذلك سمي يحيى المعمداني واسم أمه صابات وكان أكبر من إيشوع بستة أشهر ولسبع عشرة سنة خلت من ملكه وهي سنة 342 للإسكندر بن فيلبس الملك كان عند النصارى صلب إيشوع الناصري، وذلك في يوم الجمعة الثالث والعشرين من آذار، وهو عندهم منه مثل اليوم الذي أهبط فيه آدم من الجنة، ومات عندهم ودفن وقام وانبعث من بين الموتى حياً، وصعد إلى السماء وله ثلاث وثلاثون سنة، ولا يصعد عندهم إلى السماء إلا من نزل منها وكان فصح اليهود في هذه السنة يوم السبت لسبع بقين من آذار، وفصح النصارى إلى قيامة المسيح يوم الأحد لست بقين من آذار، والصعود يوم الخميس لثلاث خلون من نيسان والنصارى تصوم يوم الأربعاء، لأن

إيشوع ولد فيه، والجمعة لأنه صلب فيه عندهم تطوعاً لا فريضة الخامس غائيوس بن طيباريوس ملك أربع سنين وقتل اصطفنوس رئيس الشمامسة والشهداء عند النصارى، ويعقوب أخا يوحنا بن زبدي في خلق كثير من النصارى

السادس قلوذيوس بن طيباريوس، ملك أربع عشرة سنة، وفي أول سنة من ملكه قتل أغريفوس عامله على الإسرائيليين يوحنا بن زبدي أحد التلاميذ وحبس شمعون الصفا، ثم خلص شمعون الصفا من الحبس، وصار إلى مدينة أنطاكية، والنصارى يدعونها مدينة الله، ومدينة الملك، وأم المدن، لأنها أول بلد أظهر فيه دين النصرانية، وبها كرسي بطرس ويسمى شمعون وسمعان، وهو خليفة إيشوع الناصري والمرأس على سائر التلاميذ الاثني عشر والسبعين وغيرهم، فشرع بطرس في بناء الكنيسة المعروفة في أنطاكية بالقسيان إلى هذا الوقت وفي السنة الثالثة من ملكه دخل شمعون الصفا مدينة رومية، وسقف بها ودبرها سنين، ودانت امرأة الملك، وكان اسمها فروطانيقي ويقال لها بطريقية النصرانية، وصارت إلى أروشلم وهي بيت المقدس فأخرجت الخشبة التي تظن النصارى أن المسيح صلب عليها، ويسمونها صليب المسيح، وكانت في أيدي اليهود، قد منعوا النصارى منها فأخذتها منهم وردتها على النصارى وقوت أمرهم ونحن ذاكرون لمعاً من أخبار هذه الخشبة وإلام آل أمرها في قصة هيلاني أم قسطنطين فيما يرد من هذا الكتاب، وإن كنا قد أتينا على شرح ذلك فيما سلف من كتبنا السابع نيرون بن قلوذيوس ملك ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر، ولثلاث عشرة سنة خلت من ملكه قتل بطرس، وبولس بمدينة رومية وصلبهما منكسين وذلك بعد إيشوع باثنتين وعشرين سنة وقد أتينا على خبر بطرس بمدينة ورمية مع سيمن المصري، الذي تسميه النصارى جميعاً إلا الأريوسية الساحر وكان صحب إيشوع ثم خالفهم فيما سلف من كتبنا وفي السنة الثامنة من ملكه وثبت اليهود بأروشلم، فيما ذكرت النصارى على يعقوب بن يوسف أخي إيشوع الناصري عندهم في الجسمية، وكان أول أساقفة بيت المقدس، وألقوه على رأسه من أعلى الهيكل فمات لامتناعه من الرجوع

إلى مذهبهم ومقامه على دين النصرانية ودفن إلى جانب الهيكل وهدموا البيعة وأخذوا خشبة الصليب وخشبتي اللصين فدفنوها في قبر واحد وفي أيام هذا الملك فيما قيل كان مارينوس الحكيم صاحب كتاب جغرافيا في صورة الأرض وشكلها وبحارها وأنهارها وعامرها وغامرها وقد ذكره أبطلميوس القلوذي في كتاب جغرافيا في صورة الأرض وشكلها أيضاً وأنكر عليه أشياء ذكرها الثامن غلباس، ملك سبعة أشهر التاسع أوثون، ملك ثلاثة أشهر العاشر بيطاليس ملك ثمانية أشهر الحادي عشر إسباسيانوي، ملك تسع سنين وسبعة أشهر، ووجه بابنه طيطوس في السنة الثانية من ملكه إلى أورشلم لخلاف كان منهم عليه فحصرها وافتتحها عنوة وقتل أكثر اهلها من اليهود النصارى وخرب الهيكل وكان عدة من قتل من الإسرائيليين فيما ذرك نحواً من ثلاثة آلاف ألف وعم الأذى اليهود والنصارى في أيامه الثاني عشر طيطوس بن إسباسيانوس ملك سنتين وثلاثة أشهر وفي أول سنة من ملكه أظهر مرقيون مقالته وهي القول بالاثنين الخير والشر وسعد ثالث بينهما وكان ابناً لبعض الأساقفة ببلاد حران وإليه تنسب المرقيونية من أصحاب الاثنين الثالث عشر دومطيانوس بن إسباسيانوس ملك خمس عشرة سنة وعشرة أشهر الرابع عشر نرواس قيصر، ملك سنة وخمسة أشهر الخامس عشر طريانوس قيصر، ملك تسع عشرة سنة، وفي السنة السادسة من ملكه كانت وفاة يوحنا التلميذبمدينة أفسيس بعد أن كتب الإنجيل في جزيرة من جزائر البحر السادس عشر إيليا أذريانوس، ملك عشرين سنة وقتل من اليهود بأورشلم وجبل يهودا وجبل الجليل وغيرها من أرض الشأم مقتلة عظيمة لخلاف كان منهم عليه وكذلك من النصارى وخرب أورشلم وهو آخر خرابها، فلما مضى من ملكه ثمان سنين عمرها وسماها إيليا، فصارت سمة لها إلى هذا الوقت وأسكنها جماعة من اليونانيين والروم وبنى على الأقرانيون المقبرة هيكلاً عظيماً للزهرة، وبنى نحو الهيكل الذي يدعى البهاء برجاً عظيماً، وجعل على أعلاه لوحاً من الرخام مكتوباً فيه الذهب اسم الملك إيليا، وهذا البرج إلى هذا الوقت وهي سنة 345 يسمى محراب داود وهو متصل بسور المدينة، وإنما بني بعد داود بمئتين من السنين، وكان بنياناً عظيماً سبع طبقات فهدم من أعاليه، وفي

أيامه كان ساقندس الفيلسوف الصامت وقد أتينا على خبره مع هذا الملك وغيره وإشارته ورموزه في كتاب الاستذكار، لما جرى في سالف الأعصار

السابع عشر أنطونينوس بيوس، ملك اثنتين وعشرين سنة قال المسعودي: وفي أيامه كان أبطلميوس القلوذي صاحب كتاب المجسطي وجغرافيا والمقالات الأربع والقانون الذي عمل عليه ثاون الإسكندراني وكتاب الأنواء وكتاب الموسيقي وإن لم يذكر العود فيه فذلك دليل على أنه حدث بعده وغير ذلك مما أضيف إليه من الكتب وهو بطلاماوس بلغتهم وقيل إنه من ولد قلوذيوس السادس من ملوك الروم على ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب، وكانت أرصاده التي أرخ بها المجسطي في ملك أنطونينوس هذا، وذلك موجود في المقالة التاسعة من هذا الكتاب وقد أدرك جالينوس عصره وشاهده في حال صباه، وجالينوس يعينه في كثير من أقاويله وأرصاده لمخالفته إبرخس صاحب الأرصاد القديمة، وقد غلط كثير من الناس ممن يدعي المعرفة بأخبار حكماء الأمم وفلاسفتهم والملوك ومن كان منهم في أعصارهم فجعلوه بعض ملوك اليونانيين بعد الإسكندر المسمين بهذا الاسم وأنه أبو قلوبطرة الملكة الحكيمة آخر من ملك من ملوك اليونانيين المقدم ذكرها فيما سلف من هذا الكتاب، وذكروا أموراً أيدوا بها قولهم هذا، قد أتينا عليها فيما سلف من كتبنا قال المسعودي: ومن أدل الدلائل على بطلان قولهم أن أبطليموس ذكر في النوع الثامن من القول الثالث من كتاب المجسطي أنه رصد الشمس بالإسكندرية فوجد الاعتدال الخريفي في اليوم السابع من الشهر الثالث من شهور القبط سنة 880 لبخت نصر فإذا نظرنا ما بين ملك بخت نصر إلى غلبة الإسكندر لدارا وهو أربعمائة سنة وتسع وعشرون سنة وثلاثمائة وستة عشر يوماً، ومن غلبته إياه إلى زوال ملك قلوبطرة آخر من ملك من اليونانيين الملقبين بالبطلميوسين الذين ملكوا بالإسكندرية بعد الإسكندر بغلبة أوغسطس ملك الروم على ملكها على ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب مائتا سنة وست وثمانون سنة وثمانية عشر يوماً ومنذ غلبة أوغسطس إلى وفاته أربع وأربعون سنة وملك بعده من

ملوك الروم إلى أنطونينوس الذي ذكرنا أن أبطلميوس كان في أيامه من السنين مائة سنة وثلاثاً وعشرين سنة وسبعة أشهر، فمنذ ملك بخت نصر إلى ملك أنطونينوس هذا على هذه المسافة ثمانمائة واثنتان وثمانون سنة وثمانية أشهر وأربعة عشر يوماً، وجدنا ذلك موافقاً لما حكيناه عن أبطلميوس من تاريخ رصده الثامن عشر مرقس، ويسمى أورلليوس قيصر ملك تسع عشرة سنة وفي ملكه أظهر أبرديصان مقالته، وكان أسقفاً للرهاء من بلاد الجزيرة وإليه تضاف الديصانية من أصحاب الاثنين وتفسير أيرديصان وهي كلمة سريانية ابن النهر والنهر هناك معروف بديصان إلى هذا الوقت على باب من أبواب الرهاء يعرف بشاعا مصبه إلى ناحية حلوان ثم ينتهي إلى نهر البليخ وإنما يجري شهوراً وينقطع في القيظ وله كنيسة على هذا النهر مما يلي الباب يعيد لها النصارى عيداً في السنة وقيل إنه كان منبوذاً أصيب على شاطئ هذا النهر فأضيف إليه التاسع عشر قوموذوس بن أنطونينوس ملك اثنتي عشرة سنة وفي أيامه كان جالينوس تاج الأطباء وإمامهم في عصره الذي به يقتدون وعلى كتبه يعولون، والمفسر لكتب أبقراط والملخص لها بمدينة أبرغامس من أرض اليونانيين وقد ذكر ذلك جالينوس في كتابه في أخلاق النفس في فهرست كتبه وبين الإسكندر وقوموذوس الملك هذا خمسمائة سنة ونيف قد بين ذلك جالينوس في كتابه في الأخلاق أيضاً فينبغي أن يكون لجالينوس إلى وقتنا هذا وهو سنة 1267 للإسكندر وسنة 345 للهجرة سبعمائة سنة ونيفاً على التقريب وكان جالينوس بعد المسيح بنحو مائتي سنة وقد كان دين النصرانية ظهر في الروم واليونانيين وغيرهم في أيامه وذكر جالينوس المتدينين من النصارى في كتابه في جوامع كتاب أفلاطون في السياسة، لأنه كان مديناً بذلك. وبين جالينوس وبين أبقراط نحو من ستمائة سنة لأن أبقراط كان قبل الإسكندر بقريب من مائة سنة في أيام أرطخشست من ملوك الفرس الأولى، وأرى أنه بهمن بن أسفنديار بن كيبشتاسب بن كيلهراسب

وقد ذكر ذلك جالينوس في تفسير كتاب إيمان أبقراط وشرحه له وترجمه حنين بن إسحاق فحكى أن أرطخشست هذا وجه إلى عامله على مدينة قوس من أرض اليونانيين – وهم يومئذ في طاعته ت بأمره بدفع قناطير من المال إليه وحمله إليه مكرماً، لأنه نال من الفرس في ذلك الوقت داء يقال له الموتان فامتنع أبقراط من ذلك لأنه لم ير من العدل إشفاء الفرس وهم أعداء اليونانيين قال المسعودي: والبقارطة ثلاثة أبقراط هذا صاحب الكتب المصنفة في الطب التي ترجمها وشرحها جالينوس وغيره ككتاب الفصول وكتاب تقدمة المعرفة وهو كتاب الأمراض الحادثة وكتاب ماء الشعير وهو كتاب تدبير الأمراض وكتاب أبتديما وهو كتاب الأهوية والبلدان وغير ذلك من الكتب المنسوبة إليه من السنن وغيرها، وهو من ولد سقلابيوس وكان معظماً في اليونانيين وله هيكل وسقلابيوس هذا من ولد أبلوان، وكان معظماً لحكمته له أيضاً هيكل في بعض الجزائر كان يحج إليه في أيام اليونانيين قبل ظهور النصرانية وقد ذكره أفلاطون في كتابه المسمى فادن في النفس والاثنان الباقيان من البقارطة من أولاده أيضاً لأنه كان لأبقراط الكبير ابنان أحدهما يقال له تاسلوس والآخر دراقن وكان لكل واحد منهما ابن سماه باسم جده أبقراط، ذكر ذلك غير واحد ممن تقدم وتأخر منهم حنين بن إسحاق في كتابه في الاسطقسات على رأي جالينوس على طريق المسألة والجواب إلى ابنية إسحاق وداود العشرون برطيقس قيصر، ملك ثلاثة أشهر الحادي والعشرون يوليانوس قيصر، ملك شهرين الثاني والعشرون سورس، ملك سبع عشرة سنة وشمل اليهود والنصارى في أيامه القتل والأذى والتشريد، وسار إلى بلاد مصر فبنى بالإسكندرية هيكلاً عظيماً سماه هيكل الآلهة الثالث والعشرون أنطونيوس، ملك ست سنين الرابع والعشرون مقرينوس ملك سنة وشهرين الخامس والعشرون أنطونيوس الثاني، ملك أربع سنين السادس والعشرون الأكصندرس ويلقب ماماس، ملك ثلاث عشرة سنة السابع والعشرون مقسميانوس، ملك ثلاث سنين الثامن والعشرون بوبينوس، ملك ثلاثة أشهر التاسع والعشرون غرديانوس، ملك ست سنين الثلاثون فيلبس قيصر، ملك ست سنين ودعي إلى دين النصرانية فأجاب وترك ما كان عليه من مذاهب

الصابئين وابتعه على ذلك كثير من أهل مملكته فآل ذلك إلى تحزبهم واختلاف كلمتهم في الديانة وكان فيمن خالفه عليه بطريق من بطارقته ويقال له داقيوس فقتل فيلبس واستولى على الملك الحادي والثلاثون داقيوس، ملك سنتين ونتبع النصارى فقتل منهم مقتلة عظيمة ومنه هرب الفتية أصحاب الكهف وهم في جبل من جبال الروم يعرف بخاوس شرقي مدينة أفسيس وهي على نحو ألف ذراع منها، وكانت هذه المدينة على بحر الروم فبعد البحر عنها في هذا الوقت وخربت وأحدثت مدينة على نحو ميل منها قال المسعودي: وقد ذكرنا في كتاب الاستذكار، لما جرى في سالف الأعصار الذي كتابنا هذا تال له في أخبار ملوك الروم تنازع الناس في أصحاب الكهف والرقيم ومواضعهم وهل هم أصحاب الرقيم أم هؤلاء غيرهم؟ ومن قال منهم أن الرقيم بالهوته وهي خارمي من بلاد الروم بين عمورية ونيقية وكيفية تزوار الشمس في حال طلوعها وغروبها عن الكهف والعلة في ذلك على الشرح والإيضاح، وما كان من توجيه الواثق لمحمد بن موسى بن شاكر المنجم إلى هناك وما شاهد

قال المسعودي: وللناس ممن عني بهيئة الفلك وعلم النواحي والآفاق وتأثيرات الأجسام السمائية في هذا العالم في كيفية ازورار الشمس عن كهفهم في حال طلوعها وغروبها لموضعهم من الشمال كلام كثير، من ذلك أن كل بيت يستقبل بابه الشمال في البلدان الخارجة عن مدار السرطان إلى ناحية الشمال وكل بلد عرضه أكثر من أربع وعشرين درجة، فإن الشمس إذا طلعت أخذت عن يمين الباب، وإذا توسطت السماء كانت على ظهر البيت، وإذا غربت أخذت عن ذات الشمال. وهذا الصقع الذي فيه الكهف واغل في الشمال وباب الكهف مستقبل الشمال، وذكر هؤلاء أن مدينة أفسيس التي هذه مدينة أصحاب الكهف في الإقليم الخامس طولها من المغرب سبع وخمسون درجة تامة وعرضها ثمان وثلاثون درجة، ويمكن أن يكون الله عز وجل خلق لهم هذا الكهف مستقبل الشمال على ما ذكرنا تكرمة لهم وليجعلهم آية للعالمين وقد أخبر الله عز وجل عن ذلك بقوله "

وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه، ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً " الثاني والثلاثون غليوس قيصر ملك سنتين وكان شريكه في الملك أخوه يوليانوس الثالث والثلاثون غالينوس قيصر ويلقب والاريانوس ملك خمس عشرة سنة الرابع والثلاثون قلوذيوس الثاني ملك سنة وفي أيامه كان ظهور ماني وإليه أضيفت المانوية من أصحاب الاثنين، وقد تقدم ذكره فيما سلف من هذا الكتاب في أخبار ملوك الفرس الثانية وهم الساسانية في ملك سابور بن أردشير وما كان من مقتله في ملك بهرام بن هرمز بن سابور مجملاً وفيما سلف من كتبنا مفصلاً مشروحاً، وقول أصحاب المانوية إنه الفارقليط الذي وعد به المسيح وما ذكر ماني من ذلك في الجبلة وفي كتابه المترجم بالشابرقان وفي كتاب سفر الأسفار وغيرها من كتبه، والحجاج بين سائر أصحاب الاثنين من المانوية والديصانية والمرقيونية وغيرهم من الفلاسفة في المبادئ الول وغير ذلك وقد ذكر ماني ف كثير من كتبه المرقيونية والديصانه وأفراد للمرقيونية باباً في كتابه المترجم بالكنز وللديصانية باباً في كتابه سفر الأسفار وغير ذلك من كتبه وإنما ذكرنا ذلك دلالة على أنهما كانا قبله، إذ كثير من لا علم له بأرباب الآراء والنحل والمذاهب والملل يعتقد أنهما كانا بعده الخامس والثلاثون أورلليوس بن قلوذيوس ملك ست سنين السادس والثلاثون طاقطوس وعاضده على الملك أخوه فوروس ملكا تسعة أشهر السابع والثلاثون بروبس، ملك تسع سنين الثامن والثلاثون قاروس، ملك سنتين وخمسة أشهر التاسع والثلاثون دقلطيانوس، ملك سبع عشرة سنة الأربعون مقسيميانوس وشاركه في الملك مقسنطيوس بن مقسيميانوس فاقتسما المملكة بعد خطوب كثيرة وحروب عظيمة قد ذكرناها في كتاب أخبار الزمان، ومن أباحه الحدثان من الأمم الماضية والأجيال الخالية والممالك الداثرة، فتملك مقسيميانوس على الشأم ومما يلي بلاد الجزيرة ومواضع من أرض الروم، وتملك مقسنطيوس على مدينة رومية وما اتصل بذلك من أرض الإفرنجة وتملك معهما على بلاد بوزنطيا وما يليها قسطنس أبو قسطنطين ثم هلك قسطنس فأفضى أمر المملكة إلى ولده قسطنطين المعروف بأمه هيلاني، وكانت له

مع مقسيميانوس ومقسنطيوس برومية وغيرها حروب طويلة إلى أن هلك مقسنطيوس وخلع مقسيميانوس نفسه، وكانت مدة ملكهما نحواً من تسع سنين قال أبو الحسن علي بن الحسين علي المسعودي: فهذه الطبقة الأولى من ملوك الروم الذين كانوا على دين الصابئة وهي الحنيفية الأولى وهم أربعون ملكاً وفي زيج ثاون الإسكندراني أن عدة الملوك من أوغسطس إلى قسطنطين بن هيلاني تسعة وعشرون ملكاً، وسبيل هؤلاء الملوك من أوغسطس إلى قسطنس أبي قسطنطين سبيل ملوك الفرس الأولى والطوائف من جيومرت إلى أردشير مضطرب تاريخهم متنازع في أعدادهم غير محصلة أوقاتهم، وإنما يعول على تاريخ ملوك الروم من قسطنطين المظهر لدين النصرانية والمحارب عليها كما تعول الفرس في تاريخ سنيها وتحصيل أيام ملوكها مذ ملك أردشير بن بابك على أنا لم نأل جهداً في تحصيل أعداد ملوكهم ومدة أيامهم، ونحن ذاكرون الطبقة الثانية من ملوك الروم المتنصرة قبل ظهور الإسلام وبعده إلى هذا الوقت المؤرخ به كتابها وهو سنة 345

ذكر الطبقة الثانية من ملوك الروم وهم
المتنصر وتأريخهم وأعدادهم
وما كان من الكوائن والأحداث العظام الديانية والملوكية في أيامهم

أول ملوك هذه الطبقة قسطنطين بن قسطنس يعرف، بأمه هيلاني، وإليها ينسب على ما قدمنا، ملك اثنتين وثلاثين سنة وثلاثة أشهر وهو الذي أظهر دين النصرانية وحارب عليها حتى قبلت وانتشرت في البلاد إلى هذه الغاية، وقد ذكرنا في كتاب الاستذكار، لما جرى في سالف الأعصار التنازع في سبب تنصره وتركه ما كان عليه من مذاهب الحنفاء، وما قالت الحنفاء في ذلك من ظهور الوضح في جسه وإجماعهم على خلعه، إذ كان في أصل دياناتهم وواجب عباداتهم أن من كان به ذلك لا يصلح للملك، وأنه ما يل من فشى فيه دين النصرانية واستظهر بهم وبخاصته وصنائعه على ما خالفه وأظهر النصرانية، إذ كان غر محظور فيها تمليك من به ذلك وقول من قال منهم أنه كتم ما ظهر به وأفشاه إلى بعض

وزرائه ممن كان يخفي النصرانية، وأعلمه أنه يخشى خلعه عن الملك، فضمن له القيام بكفايته ذلك وأنفذ عدة عساكر إلى من حوله من الأعداء مرة بعد أخرى، بأسماء الأصنام السبعة التي كانت على أسماء الكواكب السبعة، ومثالات لها من النيرين والخمسة وكان الصابئون يقربون لها القرابين ويعتكفون على عبادتها، بعد أن جعلها في غاية الضعف فعادت منكوبة مهزومة، فأظهر الإزراء بها والتنقص لمن يرى عبادتها، وأشار عليه حينئذ بالانتقال إلى النصرانية ففعل وما ذهب إليه النصارى من أن السبب في ذلك ظهور صليب له نوري في السماء في نومه في حال حربه مع ملك برجان، وأنه قيل له استنصر به على عدوك تنصر عليه، وأنه ركب مثال ذلك على رءوس الأعلام كالأسنة فظهر على عدوه بعد أن كانوا الظاهرين عليه، فدان بها حينئذ وقول من قال منهم إنه رأى ذلك في يقظته، وغير ذلك من أقاويل الفريقين على الشرح والإيضاح ولثلاث سنين خلت من ملكه بنى مدينة القسطنطينية على الخليج الآخذ من بحر مايطس، ويعرف في هذا الوقت ببحر الخزر إلى بحر الروم والشأم ومصر، وذلك في الموضع المعروف بطابلا من صقع بوزنطيا وبالغ في تحصينها وإحكام بنائها، وجعلها دار مملكة له أضيفت إلى اسمه ونزلها ملوك الروم بعده إلى هذا الوقت غير أن الروم يسمونها إلى وقتنا هذا المؤرخ به كتابنا بولن وإذا أرادوا العبارة عنها أنها دار الملك لعظمها قالوا إستن بولن ولا يدعونها القسطنطينية وإنما العرب تعبر عنها بذلك والقسطنطينية من الأرض الكبيرة المتصلة برومية وبلاد الإفرنجة والصقالبة والأندلس وغيرهم من الأمم الواغلين في الشمال، واتصل ذلك بالمشرق كأرض الترك وغيرها من خراسان إلى الهند والصين، والخليج الآخذ من بحر مايطس الذي يعرف بالخزري، يحيط بها من ثلاث جهاتها ويصب في البحر الرومي، وقيل إنه يحيط بها من جهتين المشرق والشمال وجانباها الغربي والجنوبي في البر وطول الخليج ثلاثمائة وستون ميلاً، وقيل وثلاثون، عليه ست عدوات لمن يريد من دار الإسلام إليها مما يلي الثغور الشأمية والجزرية وغيرها فالعدوة الأولى تعرف بأقروبلي عرض الخليج هناك ميل، وعلى هذا الوضع نزل سابور الجنود بن أردشير وحاصر القسطنطينية، وبنى هناك بيت نار، واشترط على الروم عند انصرافه بقاءه

فلم يزل على ذلك البيت قائماً إلى أيام المهدي فخرب ثم نزل عليه بعده أنوشروان بن قباذ ملك الفرس في بعض غزواته فأجرى إلى ما هناك نهراً ونصب عليه أرحاء، وأراد سكر هذا الموضع من الخليج بالحجارة، وجرب الرمل ليعبر عليه، فغلبه الماء لشدة انصبابه من البحر الخزري إلى الرومي، الذي هو بحر الشأم ومصر والعدوة الثانية يقال لها الأفقاطي، تكون من هذه العدوة على نحو من ثلاثين ميلاً وعرضها من الجانب الشأمي إلى ذلك الجانب تسعة أميال، ومن هذه العدوة تعبر عساكر الروم إذا أرادوا الخروج إلى دار الإسلام والعدوة الثالثة تعرف بسنكرة، وبينها وبين عدوة الأفقاطي نحو من ثلاثين ميلاً، يكون عرض هذه العدوة اثني عشر ميلاً وهذه العدوة تقرب من مدينة نيقية

والعدوة الرابعة تعرف بفيلاس بينها وبين عدوة سنكرة نحو من ثمانية أميال يكون عرض هذه العدوة من الجانب الشأمي إلى ذلك الجانب وهو بند تراقية نحواً من أربعين ميلاً، ومن هذه العدوة يعدى بأسارى الروم إذا أرادوا بهم الفداء إلى اللامس، لأنها عدوة عريضة يرهبون بها الأسرى والعدوة الخامسة تعرف بلبادو، وبينها وبين عدوة فيلاس نحو من عشرين ميلاً، يكون عرض هذه العدوة من الجانب الشأمي إلى ذلك الجانب، وهو بند تراقية نحو من عشرين ميلاً، وقد حاصر القسطنطينية في الإسلام من هذه العدوة ثلاث أمراء آباؤهم ملوك وخلفاء، أولهم يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، والثاني مسلمة بن عبد الملك بن مروان، والثالث هارون الرشيد بن المهدي والعدوة السادسة تعرف بأبدو، وهي فم الخليج الصاب في بحر مصر والشأم ومبدؤه من بحر مايطس المسمى بحر الخزر وعرضه في المبدأ نحو من عشرة أميال، وهناك مدينة الروم تعرف بمسناة تمنع من يرد في ذلك البحر من مراكب الكوذ كأنه وغيرهم من أجناس الروس، والروم تسميهم روسيا معنى ذلك الحمر وقد دخل كثير منهم في وقتنا هذا في جملة الروم، كدخول الأرمن والبرغر وهم نوع من الصقالبة والبجناك من الأتراك، فشحنوا بهم كثيراً من حصونهم التي تلي الثغور الشأمية وجعلوهم بإزاء برجان وغيرهم من الأمم المتأبدة لهم والمحيطة بملكهم، وأبدو مدينة على هذا الخليج

مما يلي الشأم والجزيرة لا من جانب القسطنطينية ومن هذه العدوة إلى القسطنطينية مائتا ميل رومية، تكون أميالاً بأميالنا نحو مائة وعشرين ميلاً، وأبدو جبلان جبل من هذا الجانب من عمل الأبسيق وجبل من ذلك الجانب من عمل تراقية، وكان على هذين الجبلين حرس على كل جبل عشرون رجلاً يحرسون المراكب إذا دخلت وخرجت ويفتشونها وكانت فيه سلسلة تفتح وتغلق في عمودي حديد من هذا الجانب إلى ذلك الجانب هو باب الخليج الذي يحاصر به القسطنطينية حين كان للمسلمين أسطول يغزونهم من الثغر الشأمي والشأم ومصر والأسطول كلمة رومية سمة للمراكب الحربية المجتمعة وقد ذكرنا فيما سلف من كتبنا السبب في كيفية بناء القسطنطينية والتنازع في ذلك، وقول من قال إن ما وراء الخليج كان من أرض برجان فاحتال قسطنطين على ملك برجان لعلمه بالموضع وحصانته حتى أذن له في بنائها وما يذم من خصالها وهوائها ومائها وتربتها، وأن الخيل لا تنزو بها ولا تصهل لما يلحقها من الربو لنداوة البلد وعفونته، وقيل إن ذلك لطلسم فيها وغير ذلك من أخبارها ولعشرين سنة خلت من ملك قسطنطين كان السنهودس الأول بمدينة نيقية من بلاد الروم تفسير ذلك المجمع وهو القداس حضر هذا المجمع ألفان وثمانية وأربعون أسقفاً مختلفو الآراء فاختير منهم ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً متفقين غير مختلفين فحرموا أريوس الإسكندراني وإلى اسمه أضيفت الأريوسية من النصارى ووضعوا في هذا المجمع الأمانة التي يتفق عليها سائر النصارى من الملكية، واليعقوبية والعباد وهم النسطورية، ويذكرونها كل يوم في القداس ولهم أربعون كتاباً فيها السنن والشرائع واتفقوا على أن يكون فصح النصارى يوم الأحد الذي يكون بعد فصح اليهود، وألا يكون فصح اليهود مع فصح النصارى وكان المقدم والرئيس في هذا المجمع الإسكندر، بطريرك الإسكندرية من بلاد مصر وهو بالرومية بطريركس تفسيره رئيس الآباء فخفف، وحضر أسطاث بطريرك أنطاكية، ومارقس أسقف بيت المقدس، ويوليوس بطريرك رومية، وكان هذا الاجتماع في اليوم التاسع عشر من حزيران سنة 636 للإسكندر الملك وقيل أنها السنة التاسعة عشرة من ملك قسطنطين وكثير من النصارى يعد ذلك من شمعون بن قلوفا فأضافها إليه، وبيت

هيلاني بإيليا الكنيسة المعروفة بالقيامة في هذا الوقت الذي يظهر منها النار في يوم السبت الكبير الذي صبحه الفصح، وكنيسة قسطنطين وديارات كثيرة للنساء والرجال على الجبل المطل على مدينة بيت المقدس المعروف بطور زيتا وهو بإزاء القبلة اليهود وعمرت مدينة إيليا عمارة لم يكن قبلها مثلها، ولم يزل ذلك عامراً إلى أن أخربته جنود الفرس حين غلبت على الشأم ومصر وسبت من كان في تلك الديارات وغيرها قبل ظهور الإسلام وذلك في ملك كسرى أرويز ملك فارس والملك على الروم يومئذ فوقاس على ما نحن ذاكروه فيما يرد من هذا الكتاب مجملاً وقد سلف في كتبنا مشروحاً

والأطوار المقدسة للنصارى أربعة، فأولها طور سينا الذي كلم الله موسى عليه وأنزلت عليه التوراة وهو على أيام من مدينة القلزم، وعلى يوم وبعض آخر من راية من ساحل بحر القلزم الثاني هو طور هارون وهو على أيام من جبل طور سينا والثالث طور زيتا على ما ذكرناه والرابع طور الأردن بين فلسطين وطبرية جميعها للملكية من النصارى والأطوار الجبال وبنت هيلاني كنيسة حمص وهي إحدى عجائب العالم على أربعة أركان، وكنيسة الرهاء من بلاد ديار مضر وهي إحدى عجائب العالم الأربع المذكورة، وكانت هيلاني من بلاد الرهاء من قرية تعرف بتل فخار إلى هذا الوقت المؤرخ به كتابنا هذا، على طريق آمد وقد أتينا على خبر قسطنس أبي قسطنطين، والسبب في تزوجه بها عند مشاهدته إياها والعجائب الأربع جامع دمشق، ومنارة الإسكندرية، وقنطرة سنجة وهي الكنيسة، وقد أغفل قوم من مصنفي الكتب في التواريخ والسير من النصارى فزعموا أن خروج هيلاني أم قسطنطين إلى الشأم كان لسبع سنين من ملك ابنها قسطنطين وهذا غلط متفاحش لأن قسطنطين دان بالنصرانية بعد مضي عشرين سنة من ملكه قال المسعودي: ولقسطنطين أخبار وسير وسياسات في الملك والدين وسير في الأرض وحروب قبل تنصره وبعده، وقد أتينا على جميع ذلك في كتابنا في أخبار الزمان، ومن أباده الحدثان من الأمم الماضية، والأجيال الخالية، والممالك الداثرة، وما تلاه من الكتاب الأوسط وفي النسخة الأخيرة من كتاب

مروج الذهب، ومعادن الجوهر وفي كتاب فنون المعارف، وما جرى في الدهور السوالف وفي كتاب الاستذكار، لما جرى في سالف الأعصار وإنما نذكر في هذا الكتاب لمعاً من ذلك، ليكون منبهاً عليها ومدخلاً إليها الثاني من المتنصرة قسطنطين بن قسطنطين بن هيلاني، ملك أربعاً وعشرين سنة، وكان أبوه قسطنطين عهد إليه بالملك في حياته وولاه
القسطنطينية وولي أخاه قسطنس أنطاكية والشأم ومصر الجزيرة وجعل مقامه بأنطاكية وولي أخاه قسطوس رومية وما يليها من بلاد الإفرنجة والصقالبة وغيرهم من الأمم وأنزله رومية وأخذ على أخويه هذين العهود والمواثيق بالانقياد لأخيهما قسطنطين فاستقام ملكه إلى أن هلك الثالث يوليانوس ابن أخي قسطنطين بن هيلاني ملك سنتين، وكاني خفي الصابئية في أيام عمه وابن عمه، فلما ملك أظهرها وارتد عن دين النصرانية وخرب الكنائس، ورد التماثيل التي جعل الصابئون مثلاً للجواهر العلوية والأجسام السمائية التي هي وسائط بين العلة الأولى عندهم وبين الخليقة في العبادات، وقتل من النصارى خلقاً كثيراً، وجعل عقوبة من لم يرتد إلى الحنيفية القتل، وكان يأخذ من عاد إلى الحنيفية بإلقاء اللبان على النار والأكل من ذبيحة الحنفاء وغير ذلك، وكان عظيم السطوة كثير الجنود.
قال المسعودي: وسار إلى أرض العراق في ملك سابور بن أردشير فهلك بسهم غرب أصابه. وقد أتينا على خبره وخبر سابور الجنود ملك بابل وما كان بينهما من الحروب في الجزء السابع من كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر في أخبار الفرس في ملك سابور والروم تسميه باربديس تفسير ذلك المرتد والصابئة أوسيبوس تفسير ذلك المؤمن التقي، والنصارى جميعاً يتبرأون منه ومنهم من يدعوه البزتاط الرابع يوبيانوس، ملك سنة وكان خليفة يوليانوس المقتول ومعه في عسكره ففزعوا إلى تمليكه عليهم فأبى إلا أن يرجعوا إلى النصرانية فأجابوا إلى ذلك فرد دين النصرانية وانصرف بجيوش الروم عن العراق بعد قصص كانت له مع سابور ومهادنة قد ذكرناها فيما سلف من كتبنا.
الخامس والنطيوس، ملك اثنتي عشرة سنة وخمسة أشهر.
السادس والنس، ملم ثلاث سنين وثلاثة أشهر.

السابع والنطيانوس، ملك ثلاث سنين وأربعة أشهر، وعاضده على ملكه غراطيانوس فهلك قبله.

الثامن تدوس الكبير وتفسير تدوس عطية الله ملك تسع عشرة سنة وفي ملكه كان السنهودس الثاني وهو المجمع بمدينة قسطنطينية من بلاد بوزنطيا اجتمع فيه مائة وخمسون أسقفاً، فأمنوا مقذونس وأشياعه مع البطارقة الذين بعده قالوا بمقالته وكان المقدم في هذا المجمع طيموثاوس بطريك الإسكندرية، ومليطيوس بطريك أنطاكية، وقورللس بطريك بيت المقدس وفي هذا المجمع بطرك وهو أول بطريك لبيت المقدس وإنما كانوا أساقفة وكانت البطارقة أصحاب الكراسي الأربعة.

أولها مدينة رومية وهي لبطرس رئيس الحواريين وخليفة إيشوع.

الثاني الإسكندرية من بلاد مصر، وهي لمرقس أحد أصحاب الأناجيل الأربعة.

والثالث قسطنطينية من بلاد بوزنطيا وكان أول بطريك لها مطروفانس رتبه الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفاً الذين أقاموا دين النصرانية بمدينة نيقية المقدم ذكرهم.

والرابع أنطاكية وهي لبطرس أيضاً، واستخلف بطرس على الكرسي بها حين سار إلى مدينة رومية وأذيوس، فصارت البطاركة خمسة إلى هذا الوقت المؤرخ به كتابنا وهي سنة 345 للهجرة جميعاً للملكية فكان من السنهودس الأول بنيقية الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفاً إلى هذا الاجتماع ست وخمسون سنة، وأطلق طيماثاوس بطريك الإسكندرية في هذا المجمع للبطاركة والأساقفة والرهبان ببلاد مصر والإسكندرية أكل اللحم لأحل الثنوية ليعرف من كان منهم مثنوي المذهب إذ كانت الثنوية تمتنع من ذلك، فأما البطاركة والأساقفة والرهبان بغير مصر والإسكندرية كرومية وأنطاكية وغيرهما من البلاد فإنهم امتنعوا من أكل اللحم وأكلوا بدلاً عنه السمك محنة لهم إذ كانت الثنوية لا تأكل اللحم ولا السمك إلا السماعين منهم فإن منهم من يأكل اللحم والسمك، ومنهم من يأكل السمك دون اللحم.

قال المسعودي: ولثماني سنين خلت من ملكه ظهر الفتية أصحاب الكهف الذي كانوا قد هربوا من داقيوس الملك على ما قدمنا في أخبار الطبقة الأولى من ملوك الروم في هذا الكتاب وقد ذكرنا في كتاب فنون المعارف، وما جرى في الدهور السوالف أخبارهم وما قيل فيهم والتنازع في موضعهم أهو الموضع الذي بمدينة أفسيس وراء مدينة زمرني على البحر الرومي، أم الهوته التي تسمي خارمي مما يلي قرة بأرض الروم؛ أم غيرهما من المواضع التي يشار إليها بذلك؟ وخبر تدوس الملك والسبب في إفضاء الملك إليه وما كان من خبره قبل ذلك وبعده.

التاسع أرقاذيوس بن تدوس ملك ثلاث عشرة سنة.

العاشر تدوس الصغير بن تدوس الكبير ملك اثنتين وأربعين سنة ولإحدى وعشرين سنة خلت من ملكه كان السنهودس الثالث بمدينة أفسيس على بطريك القسطنطينية نسطورس وكان على كرسيها أربع سنين حضر هذا المجمع مائتا أسقف، وكان المقدم فيه قورللس بطريك الإسكندرية، وكلسطوس بطريك رومية، وبولانيوس بطريك إيليا فلعنوا نسطورس وتبرءوا منه ونفوه فسار إلى صعيد مصر فأقام ببلاد أخميم والبلينا ومات بقرية يقال لها سيفلح وموضعه معروف في هذا الوقت المؤرخ به كتابنا،وأضافت الملكية العباد من النصارى وهم المشارقة إليه تقريعاً لهم بذلك فسموا النسطورية وكانت رئاسة البطركة للمشارقة في ذلك الوقت بالمدائن من أرض العراق لداديشوع بعد بلادها في ملك فارس.

قال المسعودي: فذكرت العباد أن تيادوس الملك كان كتب إلى يوحنا بطريك أنطاكية وأساقفته أن يسيروا إلى المدينة أفسيس، لينظروا فيما بين نسطورس وقورللس بطريك الإسكندرية من الخلاف فاجتمع نسطورس وأصحابه وقورللس وأصحابه بها فانتدب قورللس فحرم نسطورس قبل موافاة يوحنا صاحب أنطاكية الذي جعله الملك حكماً بينهما فلما رأى نسطورس أن قورللس يجري إلى الحيلة والمغالبة والعدول عن الحق اعتزل وقال الديانة لا تكون بالمجاذبات والحيل وطب الرئاسات وإن يوحنا بطريك أنطاكية لما وافى

فوقف على فعل قورللس أنكره عليه وحرمه وأنكر ذلك عليه عند قراءته مقالة نسطورس ومقالة قورللس وصحح مقالة نسطورس وأمانته ورد مقالة قورللس وذكر أنها مخالفة للحق لا يجوز لأحد أن يقول بها و لا يتقلدها وأن يوحنا عاد إلى أنطاكية وكتب إلى بطريرك المشرق بما جرى وتوجه الحيلة على نسطورس من صاحب الإسكندرية ببذل الأموال لبطانة الملك حتى حل الحرم عنه وبقي حرم نسطورس، فكان هذا أحد أسباب الخلاف بين أهل المشرق من النصارى وأهل المغرب وداعية إلى ما كان بينهم من العداوة والقتال وسفك الدماء، والعباد تذكر أن أول البطاركة السريانيين الذي نزلوا كرسي المشرق على قديم الأيام بعد صعود المسيح إلى السماء بنحو ثلاثين سنة بعد توما أحد الاثني عشر أدى السليح قبل حدوث الخلاف بين النصارى وهو أدى برماري السليح من السبعين وهو نصر أهل المدائن ودير قنى وكسكر وغيرهما من السواد وبنى بيعتين إحداهما بالمدائن دار مملكة فارس يومئذ وجعلها كرسياً لمن يأتي بعده من البطاركة ورسم ألا تتم البطركة لمن نصب لها إلا في هذه البيعة، وأخرى بدير قنى وقبره بها، وقد ذكرنا فيما سلف من كتبنا خبر المشارقة من النصارى مع سابور ملك فارس حين أخذهم بالتمجس وامتناعهم من ذلك وقتله منهم نحواً من مائتي ألف وغير ذلك من أخبارهم، وذكر الملكية أن مقالة نسطورس كانت درست فأحياها برسوما مطران نصيبين ودعا إليها المشارقة من النصارى فدانوا بها.

قال المسعودي: وفي هذا المجمع خالفت النسطورية الملكية وافترقوا عنهم، فمن المجمع الثاني المائة والخمسين الأسقف الذين اجتمعوا بمدينة القسطنطينية ولعنوا مقذونس إلى هذا المجمع المائتي أسقف الذين اجتمعوا بمدينة أفسيس إحدى وخمسون سنة، وكان في أيام تدوس هذا عند النصارى حوادث في الدين والملك منها نفيه يوحنا المعروف بفم الذهب بطريرك القسطنطينية بحكومة حكمها في كرم فكرهت ذلك زوجة الملك يدوقية، وغير ذلك

الحدي عشر مرقيان، ملك ست سنين وفي أول سنة من ملكه كان السنهودس الرابع بمدينة خلقيذون على ديسقرس بطريرك القسطنطينية وأوطيسوس اجتمع فيها ستمائة وثلاثون

أسقفاً فمن المجمع الثالث المائتي أسقف الذين اجتمعوا بمدينة أفسيس إلى هذا المجمع إحدى وعشرون سنة في هذا المجمع خالفت اليعقوبية سائر النصارى وفارقوهم، وقد ذكرنا في كتاب أخبار الزمان، ومن أباده الحدثان من الأمم الماضية والأجيال الخالية والأمم الداثرة في أخبار ملوك الروم وطبقاتهم وسيرهم خبر يعقوب البرذعاني الأنطاكي، وقيل الحراني تلميذ سورس، وكيف أضيط أهل مقالة ديسقرس إلى اليعاقبة، ونسبوا إلى يعقوب، وما كان من سواري. وقد ذكرنا في أخبار ملوك الروم المتنصرة من كتاب فنون المعارف، وما جرى في الدهور السوالف عند ذكرنا مرقيان هذا والسنهودس الذي كان في أيامه ما اتفقت عليه الملكية والنسطورية واليعقوبية وما اختلفت فيه من الكلام في الأقانيم والجوهر وغير ذلك، وما احتج به كل فريق منهم لذلك على الشرح، وقول من خالف هؤلاء من فرق النصارى الأريوسية والمارونية والبيالقة وهو المذهب الذي أحدثنه بولس الشمشاطي، وهو أول بطاركة أنطاكية وأصحاب الكراسي بها متوسطاً بين مذاهب النصارى والمجوس وأصحاب الاثنين من تعظيم سائر الأنوار وعبادتها على مراتبها وغير ذلك، وإنما نذكر في هذا الكتاب لمعاً وجوامع منبهين بذلك على ما تقدم من كتبنا وسبق من تصنيفنا، ولليعاقبة كرسيان لا ثالث لهما؛ أحدهما بأنطاكية، والآخر بمصر، والغالب على نصارى مصر من الأقباط وغيرها بفسطاطها وسائر كورها وما يليها من أرض النوبة والأحابش رأى اليعقوبية وبها منهم ما لا يحيط به الإحصاء كثرة ومقام بطركتهم بدير يعرف بأبي مقار بناحية الإسكندرية والملكية والنسطورية بمصر قليلون جداً، وما عدا هذين البلدين فإنما لليعقوبية مطارنة وأساقفة الثاني عشر لاوون الكبير، ملك ست عشرة سنة.

الثالث عشر لاوون الصغير، ملك سنة وكان يعقوبي المذهب وأراد حمل أهل مملكته على ذلك فهلك ولم يبلغ ما أراده وقيل إنه اغتيل بالسم.

الرابع عشر زينون، ملك سبع عشرة سنة وكان يعقوبي المذهب وزهد في الملك وجعله إلى ولده فهلك ولده فعاد إلى الملك.

الخامس عشر أنسطس، ملك سبعاً وعشرين سنة وكان يعقوبي المذهب.

السادس عشر يوسطين، ملك تسع سنين وتتبع اليعقوبية بالقتل والنفي.

السابع عشر يوسطانوس، ملك تسعاً وعشرين سنة، وفي ملكه كان السنهودس الخامس بمدينة القسطنطينية فحرموا أريجانس أسقف منبج لقوله بتناسخ الأرواح في أجسام الحيوان وتبديل الأسماء وتغير الأجسام، وأن الله عز وجل لا يفعل ذلك بخلقه إلا باستحقاق لما ارتكبوه من الأجرام وأنه لا يجلب بعذابهم منفعة ولا يدفع عن ذاته مضرة إذ كان غنياً عن جميع ذلك وغير ذلك من الكلام في إيلام الحيوان والتعديل والتحرير، وأيبا أسقف الرهاء وتدوس أسقف المصيصة وتوزروطس أسقف أنقرة لأقاويل أظهروها، حضر هذا المجمع أصحاب الكراسي الأربعة وأساقفتهم وهم مائة وأربعة وستون أسقفاً ولم يحضر بطريرك إيليا وحضر أصحابه فكان من المجمع الرابع الستمائة والثلاثين الذين اجتمعوا بخلقيذون إلى هذا المجمع مائة وست وثلاثون سنة وقد ذكرنا في كتاب فنون المعارف، وما جرى في الدهور السوالف ما كان في أيام هذا الملك من أمر اليعاقبة والملكية ببلاد مصر والإسكندرية وأمر اليهود بإيليا وجبل يهودا وجبل الجليل وقتلهم النصارى، وما بنى هذا الملك من الكنائس والديارات وبطور سينا على الناطس والعليقة وهو الموضع الذي أنزلت فيه التوراة على موسى بن عمران عليه السلام وغير ذلك من أحواله.

الثامن عشر يوسطينوس، ملك ثلاث عشرة سنة، وكان في أيامه أوشروان الملك.

التاسع عشر طيباريوس، ملك ثلاث سنين وثمانية أشهر، وكان بينه وبين أنوشروان مراسلات ومهاداة.

العشرون موريق، ملك عشرين سنة واربعة أشهر وظهر في أيامه رجل من أهل مدينة حماة من أعمال حمص يعرف بمارون إليه تنسب المارونية من النصارى إلى هذا الوقت المؤرخ به كتابنا، وأمرهم مشهور بالشأم وغيرها، أكثرهم بجبل لبنان وسنير وحمص وأعمالها كحماة وشيزر ومعرة النعمان.

وكان له دير عظيم يعرف به شرقي حمة وشيزر ذو بنيان عظيم حوله أكثر من ثلاثمائة صومعة فيها الرهبان، وكان فيه من آلات الذهب والفضة والجوهر شيء عظيم فخرب هذا الدير وما حوله من الصوامع بتواتر الفتن من الأعراب وحيف السلطان وهو يقرب من نهر الأرنط؛ نهر حمص وأنطاكية.

وكان مارون قد أحدث آراء بان بها عمن تقدمه من النصارى في المشيئة وغيرها وكثر متبعوه، وقد أتينا على شرح مذهبه وموافقته الملكية والنسطورية واليعاقبة في الثالوث ومخالفته إياهم فيما يذهب إليه من أن المسيح جوهر أن أقنوم واحد مشيئة واحدة وهذا القول متوسط بين قول النسطورية والملكية وغير ذلك في كتابنا في المقالات في أصول الديانات، ولبعض متبعيه من المارونية ويعرف بقيس الماروني كتاب حسن في التاريخ وابتداء الخليقة والأنبياء والكتب والمدن والأمم وملوك الروم وغيرهم وأخبارهم، انتهى بتصنيفه إلى خلافة المكتفي ولم أر للمارونية في هذا المعنى كتاباً مؤلفاً غيره.

وقد ألف جماعة من الملكية والنسطورية واليعقوبية كتباً كثيرة ممن سلف وخلف منهم. وأحسن كتاب رأيته للملكية في تاريخ الملوك والأنبياء والأمم والبلدان وغير ذلك كتاب محبوب بن قسطنطين المبجي، وكتاب سعيد بن البطريق المعروف بابن الفراش المصري بطريك كرسي مارقس بالإسكندرية، وقد شاهدناه بفسطاط مصر، انتهى بتصنيفه إلى خلافة الراضي. وكتاب أثنايوس الراهب المصري رتب فيه ملوك الروم وغيرهم من الأمم وسيرهم وأخبارهم من آدم إلى قسطنطين بن هيلاني، ورأيت لأهل المشرق من العباد كتاباً ليعقوب بن زكرياء الكسكري الكاتب وقد شاهدناه بأرض العراق والشأم يشتمل على أنواع من العلوم في هذه المعاني، يزيد على غيره من كتب النصارى، وكتاباً لليعاقبة في ذكر ملوك الروم واليونانيين وفلاسفتهم وسيرهم وأخبارهم ألفه أبو زكرياء دنخا النصراني وكان متفلسفاً جدلاً نظاراً جرت بيني وبينه مناظرات كثيرة ببغداد في الجانب الغربي بقطيعة أم جعفر وبمدينة تكريت في الكنيسة المعروفة بالخضراء في الثالوث وغيره وقد أتينا على ذكرها في كتاب المسائل والعلل، في المذاهب والملل وفي كتاب سر الحياة وذلك في سنة 313.

الحادي والعشرون فوقاس، ملك ثماني سنين وأربعة أشهر، ولما ملك تتبع ولد موريقيس حمو أبرويز وحاشيته بالقتل، فلما بلغ ذلك أبرويز أحفظه وسير الجنود إلى بلاد الشأم ومصر فاحتوى عليها وقتلوا من النصارى خلقاً كثيراً وخربوا الكنائس بإيليا وغيرها وتوجه شهربراز في جيوش كثيرة كثيفة نحو القسطنطينية فخيموا على الخليج بإزائهم واشتد حصارهم إياها، وكان هرقل ابن فوق بن مرقس يختلف من مدينة صلونيقي وهو من أهلها إلى القسطنطينية بالزاد في البحر وهم محاصرون فبانت شهامته، وظهرت شجاعته، وأحبه أهل القسطنطينية فخلا بالبطارقة وذوي المراتب فأغراهم بفوقاس، وذكر لهم ما نزل بهم في أيامه وذكرهم بسوء آثاره فيهم وغلبة الفرس على ملكهم بسوء تدبيره وقبح سياسته وإقدامه على الدماء، ودعاهم إلى الفتك به فأجابوه إلى ذلك فقتلوه

ذكر ملوك الروم من الهجرة إلى سنة 345

واجتمعت البطارقة وغيرهم من ذوي المراتب؛ من الروم وغيرهم بعد قتل فوقاس لاختيار من يصلح للملك، فوقع اختيارهم بعد خطب طويل وتنازع كثير على هرقل، فملكوه ورجوا صلاح أحوالهم بتمليكه وهو الثاني والعشرون من ملوك الروم المتنصرة، وكان ملكه لثلاث وثلاثين سنة خلت من ملك كسرى أبرويز بن هرمز ملك بابل، فملك خمساً وعشرين سنة وقيل أكثر من ذلك وفي أول سنة من ملكه كانت هجرة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأقام في الملك أيام النبي صلّى الله عليه وسلّم، وأيام أبي بكر وعمر وسنتين من خلافة عثمان وفي أيامه غلب المسلمون على بلاد سورية وهي الشأم والجزيرة، وكان أخوه قسطنطين معاضداً له على الملك فهلك قبله

ولما ملك هرقل جد في حرب الفرس، فكانت له معهم حروب كثيرة وفسد الأمر بين كسرى أبرويز وصاحب جيشه المحاصر للقسطنطينية شهربراز وأتاه هرقل ومالأه على أبرويز، فخرج هرقل في مراكب كثيرة في الخليج إلى بحر الخزر وسار إلى طرانزندة وأبواب لازقة واستنجد هناك ملوك الأعاجم من اللان والخزر والسرير والأبخاز وجرزان والأرمن

وغيرهم حتى صار إلى بلاد أران والبيلقان وآذربيجان والماهات من أرض الجبل واتصلت جيوشه بأرض العراق فشن الغارات وقتل وسبى وانصرف راجعاً إلى القسطنطينية بحيلة أوقعها أبرويز عليه قال المسعودي: وقد أتينا على خبر شهربراز والسبب في فساد الحال بينه وبين أبرويز وإلى ما آل أمرهما وشرح أخبار هرقل، وما كان بينه وبين فارس من الحروب وحيله ومكايده، وما كان بينه وبين النبي صلّى الله عليه وسلّم من المكاتبات والمراسلات، وما كان بين جنوده وبين المسلمين من الحروب بالشأم ومصر وغيرهما في خلافة أبي بكر وعمر، وخروجه عن الشأم وقطعه الدرب إلى بلاد الروم، وقوله عند صعوده جبل الأكام وإشرافه على الشأم: عليك السلام يا سورية سلام مودع لا يعود إليك أبداً حتى يولد الغلام المشئوم، وليته لا يولد فما أحلى رضاعه، وأمر فطامه وما كان بينه وبين معاوية بن أبي سفيان في حال إمرته على الشأم من قبل عمر وعثمان من المراسلات والملاطفات.

وإخباره يناق غلام معاوية بأن عثمان بن عفان يقتل وما يئول إليه أمر المسلمين بعد ذلك وغير ذلك من أخباره في كتاب أخبار الزمان، ومن أباده الحدثان من الأمم الماضية، والممالك الداثرة وفي كتاب فنون المعارف، وما جرى في الدهور السوالف وإنما نذكر في هذا الكتاب لمعاً وجوامع منبهين بذلك على ما تقدم تأليفه من كتبنا، ومدخلاً إلى علم ما سبق إيضاحه من تصنيفنا الثالث والعشرون قسطنطين بن قسطنطين أخي هرقل وقيل إنه ابن هرقل ملك تسع سنين وستة أشهر في خلافة عثمان بن عفان، وهو الذي غزا في البحر في نحو ألف مركب حربية وغيرها فيها الخيل والخزائن والعدد يريد الإسكندرية من بلاد مصر وكان عامل مصر والإسكندرية لعثمان عبد الله بن سعد بن أبي سرح فالتقوا في البحر فكانت على قسطنطين فعطبت مراكبه وهلك أكثر رجاله ونجا في مركب فوقع في جزيرة سقلية من بلاد إفريقية فقتله جرجيق ملكها تشاؤماً به لإهلاكه النصرانية وسميت هذه الغزات ذات الصواري لكثرة المراكب وصواريها، وهي الأدقال وكان ذلك في سنة 34 للهجرة

وقال المسعودي: وفي ملكه كان السنهودس السادس وهو المجمع بالقسطنطينية من بلاد بوزنطيا وقيل بل كان قبل هذا الوقت، وكان اجتماعهم على لعن رجل يقال له قورس الإسكندراني خالف الملكية وأحدث قولاً نحو قول المارونية في المشيئة والفعل وكان عدة من اجتمع فيه من الأساقفة مائتين وتسعة وثمانين أسقفاً وقيل دون ذلك فمن السنهودس الخامس إلى هذه السنهودس ثمان وستون سنة وأربعة أشهر وقيل دون ذلك وهذا آخر السنهودسات؛ لم يكن لهم إلى هذا الوقت المؤرخ به كتابنا وهو سنة 345 والملك على الروم قسطنطين بن لاون ابن بسيل – اجتماع فيما بلغني مع قربنا من ديارهم وبحثنا عن أخبارهم وتنقلنا بالثغر الشأمي وأنطاكية والشأم ومصر، والملكية تذكر هذه الاجتماعات الستة في قداسها وهي الصلاة على القربان في كل يوم، وقد اختلف أهل دين النصرانية في العبارة عن أسماء هذه المجامع عند مقابلتهم الأمانات بالتراجم المعروفة فمنه ما يسميه أهل مصر السنهودسات أحدها سنهودس وبها عبرنا في كتابنا هذا لأنها أفصحها ولمقامنا بمصر في هذا الوقت، ويسميه أهل المشرق السنادسات وقوم يقولون سناطس وقد أتينا على شرحها والسبب في وقوعها وما كان في ذلك من الخلاف والمناظرات بينهم، وأخبار أصحاب الكراسي الذين هم البطاركة أحدهم بطريرك ومراتبهم وتسميتهم وأعدادهم إلى هذا الوقت المؤرخ به كتابنا ممن كان منهم بمدينة رومية والإسكندرية من بلاد مصر وأنطاكية والقسطنطينية وإيليا، في كتاب مروج الذهب في كتاب ومعادن الجوهر وفي كتاب فنون المعارف، وما جرى في الدهور السوالف وإن كانت أسماؤهم مثبتة في الدبطخة التي تقرؤها النصارى في القداس وذكرنا أسماء الاثني عشر والسبعين تلاميذ المسيح وتفرقهم في البلاد وأخبارهم وما كان منهم ومواضع قبورهم ومن أصحاب الأناجيل الأربعة منهم يوحنا ومتى من الاثني عشر ولوقا ومرقس من السبعين وأن مرقس صاحب الإسكندرية ومن كان بعده من البطاركة على هذا الكرسي الحكام على سائر أصحاب الكراسي في كل ما يختلفون فيه، والقضاة عليهم إذا تنازعوا ومتى اجتمعوا في محفل جلسوا حسراً وصاحب هذا الكرسي بعمامة إذ كان خليفة بطرس، وأن السبب في ذلك أن بطرس لما عاد التلاميذ إلى

أن يسير بعضهم إلى الإسكندرية بالإنجيل الذي كتبه ويدعو الناس جزعوا من ذلك لأجل من كان بها من الصابئين والقاطرين أحدهم قاطر ويسمى بالقبطية هيراتقس وهم الكهنة وأن مرقس انتدب لذلك وكان أصغر القوم سناً فناوله بطرس الإنجيل ومحا اسمه منه وأثبت فيه اسم مرقس وقال له قد جعلناك الحاكم عليهم فيما تنازعوا فيه وغير ذلك من أسرار دين النصرانية وأخبارهم من السليحين وغيرهم مما هو موجود في الكتاب المعروف بيركسيس وفي كتاب ديونوسيوس الفلوباخيطوا في أسرارهم أيضاً وفي كتاب قليمنس وكان تلميذاً لبطرس ورأيت كثيراً من النصارى يقف في هذا الكتاب ويدفع أن يكون صحيحاً، وفي الأربع عشرة رسالة لبولس التي كتب بها في أوقات متفرقة إلى أهل رومية وغيرهم، وتدعى هذه الرسائل كتاب السليخ؛ وذكرنا في كتاب المقالات، في أصول الديانات وكتاب خزائن الدين وسر العالمين أقاويل الأمم العوالم الأربعة في عالم الربوبية وعالم العقل وعالم النفس وعالم الطبيعة ومراتب الروحانية والجواهر العلوية والأجسام السمائية وسائر الوسائط والفرق بين النار والنور ومراتب الأنوار وما قاله كل فريق منهم في ذلك من الهند وقدماء الفلكيين وأصحاب الاثنين ومن واقفهم من أصحاب التأويل في هذا الوقت والحنفاء والكلدانيين وهم البابليون الذين بقيتهم في هذا الوقت بالبطائح بين واسط والبصرة في قرايا هناك وتوجههم في صلاتهم إلى القطب الشمالي والجدي

والسمنية وهم صابئة الصين وغيرهم وهم على مذاهب بوداسب وعوام اليونانيين وتوجههم في صلاتهم إلى المشرق وصابئة المصريين الذين بقيتهم في هذا الوقت صابئو الحرانيين وتوجههم في صلاتهم إلى التيمن وهو القبلة واستدبارهم الشمال، وامتناعهم من كثير من المآكل التي كان صابئة اليونانيين يأكلونها كلحم الخنزير والفراخ والثوم والباقلي وغير ذلك وقولهم بنبوة أغاثديمون وهرمس وأميروس وأراطس صاحب كتاب صورة الفلك والكواكب وغير ذلك وأريباسيس وأراني الأول والثاني وغيرهم وأسرارهم في الذبائح والصلوات للكواكب السبعة وغيرها والقوفات وهي الدخن للكواكب وتمثيلهم مراتب الكهنوت في

هياكلهم بما علا من الروحانية وتسميتهم أعلى الكهنة رأس كمرين وما يذهبون إليه من قول أفلاطون إن من عرف نفسه حقيقة المعرفة تأله ومن قول صاحب المنطق من عرف نفسه فقد عرف بها كل شيء وما جرى بين فرفريوس الصوري صاحب كتاب أيساغوجي في المدخل إلى كتاب أرسطاطاليس في المنطق؛ وكان نصرانياً ينصر مذاهب صابئة اليونانيين مخفياص لذلك وبين أنابوا الكاهن المصري، وكان ينصر الفلسفة الأولى التي كان عليها فوثاغورس وثاليس الملطي وغيرهما وهي مذهب صابئة المصريين من المسائل والجوابات في العلوم الإلهية، وذلك في رسائل بينهم معروفة عند من عني بعلوم الأوائل وما كانوا عليه من الآراء والنحل وقد صنف على مذاهب الفوثاغوريين والانتصار لهم كتب كثيرة، وآخر من صنف في ذلك أبو بكر محمد بن زكرياء الرازي صاحب كتاب المنصور في الطب وغيره كتاباً في ثلاث مقالات وذلك بعد سنة 310 وقد ذكر أفلاطون ترتيب العوالم في كتابه المعروف بطيماوس فيما بعد الطبيعة وهو ثلاث مقالات إلى تلميذه طيماوس مما ترجمه يحيى بن البطريق وهو غير كتاب طيماوس الطبي الذي ذكر فيه كون العالم الطبيعي وما فيه والهيئات والألوان وتراكيبها واختلافها وغير ذلك شرحه جالينوس وفسره حنين بن إسحاق، وذكر بأنه سقط عنه منه كراستان الأولى والثانية، والذي حصل من ترجمته أربع مقالات ذكر أرسطاطاليس ترتيب العوالم في كتابه فيما بعد الطبيعة في الحرف المعروف باللام وغيره من الأحرف فيما فسره طامستيوس وترجمة إلى العربي إسحاق بن حنين وذكرنا فيما سلف من كتبنا ما ذهب إليه النصارى من أن البارئ عز وجل خلق في الابتداء جنس الملائكة المقربين روحانيين ذوي جواهر بسائط أحياء ناطقة، ليمجدوه من غير حاجة منه عز وجل إلى ذلك، وأنه تعالى جعلهم منقسمين لطبقات تسع، وعلى طبقات بعضها أعلى من بعض واسم جملة الروحانيين بالسريانية وهو اللسان الأول طغم وبالرومية طغماتس وبالعربية تغم والكنيسة عندهم كنيسة السماء ومراتب الكهنوت على مقدار طغمات الملائكة وهي تسع فالطغمة الأولى عندهم طغمة البطارقة ثم ما يلي ذلك من مراتب الكهنة وذكرنا مذاهب الصابئين في ذلك وأنهم يرون أن هذه المراتب على ترتيب الأفلاك التسعة، وكذلك

مذاهب أصحاب الاثنين في ذلك قبل ظهور ماني، وأسماء كل فرقة منهم، وما رتب لها من ذوي الرئاسات الديانية تشبيهاً بما علا من الجواهر العلوية والأجسام السمائية قال المسعودي: فلنرجع الآن إلى سياقة الملوك على الترتيب الرابع والعشرون قسطا بن قسطنطين، ملك خمس عشرة سنة وذلك في خلافة علي بن أبي طالب عليه السلام وصدراً من أيام معاوية بن أبي سفيان الخامس والعشرون هرقليانس بن قسطنطين، وهو هرقل الأصغر وقل أن جده هرقل الأكبر ملك أربع سنين وثلاثة أشهر في أيام معاوية السادس والعشرون قسطنطين بن قسطا، ملك ثلاث عشرة سنة، بقية أيام معاوية، وأيام يزيد، ومروان بن الحكم، وصدراً من أيام عبد الملك بن مروان السابع والعشرون أسطنيانس المعروف بالأخرم، ملك تسع سنين في أيام عبد الملك ثم خلع وخرم أنفه وقطع عرق تحت لسانه ليخرس، فسلم من ذلك وحمل إلى بعض الجزائر فهرب ولحق بملك الخزر مستنجداً به وتزوج هناك فلم ير عندهم ما يحب، فصارا إلى طرفلا ملك برجان الثامن والعشرون أولنطس وقيل لونطس، ملك ثلاث سنين في أيام عبد الملك ثم زهد في الملك وأظهر العجز عنه فلحق بالدير فترهب

التاسع والعشرون أبسيمر المعروف بالطرسوسي، ملك سبع سنين في أيام عبد الملك فسار أسطنيانس الأخرم ومعه طرفلا ملك برجان منجداً له في جيوش كثيفة فكانت له مع أبسيمر حروب يطول شرحها قد ذكرناها في كتاب أخبار الزمان، ومن أباده الحدثان من الأمم الماضية والأجيال الخالية والممالك الداثرة فغلب أسطنيانس على الملك وخلع أبسيمر، وكان ذلك في السنة الأولى من ملك الوليد بن عبد الملك واستوى الأمر له الملك الثاني وهو الثلاثون من ملوكهم وقد كان شرط لطرفلا ملك برجان إذا رجع الملك إليه أن يحمل إليه في كل سنة خراجاً، وكان يفعل ذلك واشتد عسفه للروم وبسط يده في القتل فيهم وأباد كثيراً من رؤسائهم وبطارقتهم فأجمعوا على قتله فقتلوه، فكان ملكه الثاني سنتين ونصفاً الحادي والثلاثون فيلبقوس ملك سنتين وستة أشهر بقية أيام الوليد وهلك في أول

سنة من ملك سليمان بن عبد الملك الثني والثلاثون نسطاس بن فيلبقوس ملك ثلاثة أشهر على تحزب كثير واختلاف كلمة ثم خلع ونفي الثالث والثلاثون تيدوس المعروف بالأرمني كان ملكه في السنة التي بويع فيها سليمان بن عبد الملك فبعث إليه سليمان أخاه مسلمة لغزو القسطنطينية براً وبحراً وذلك في سنة 97 وكان في مائة ألف وعشرين ألف مقاتل وكان على أسطول المسلمين في البحر عمر بن هبيرة الفزاري فانضم إلى مسلمة بطريق يعرف بأليون بن قسطنطين المرعشي وضمن له أن يناصحه على أهل القسطنطينية فركن مسلمة إلى ذلك وعبر الخليج وحصر القسطنطينية فوجه أهلها إلى مسلمة يبذلون الفدية فأبى فمكر به أليون واستأذنه في مكاتبة رؤساء الروم والتوسط بينه وبينهم فكاتبهم وسار إليهم، فخلا بالبطريرك صاحب كرسي القسطنطينية ورئيس الديانة وسائر البطارقة أصحاب السيوف وولاة الأعمال فدعاهم إلى أن يملكوه عليهم ليقوم بأمرهم ويصرف مسلمة عنهم وذكر لهم ضعف تيدوس ملكهم عن مقاومته فأجابوه إلى ذلك وعاد إلى مسلمة فأخبره أنهم قد دخلوا في طاعته وسأله التبعد عنهم قليلاً وترك حصارهم ليطمئنوا إليه ففعل ذلك فدخل أليون القسطنطينية فملك ونصب التاج على رأسه، فأمر بنقل ما كان مسلمة أعده من الأقوات لعسكره فأدخل القسطنطينية وبلغ مسلمة ذلك فعلم أنه ممكور به فرجع إلى حصارهم وعاودهم الحرب وعظم البلاء على من مع مسلمة لذهاب أقواتهم وولى عمر بن عبد العزيز على تلك الحال فكتب إلى مسلمة يأمره بالقفول واستحثه على ذلك فقفل بعد كره شديد وخطب طويل وذلك في سنة 100وقد أتينا على شرح هذه الحروب وما كان فيها من الحيل والمكايد في كتاب فنون المعارف، وما جرى في الدهور السوالف الرابع والثلاثون أليون بن قسطنطين ملك ستاً وعشرين سنة بقية أيام سليمان ابن عبد الملك، وأيام عمر بن عبد العزيز، ويزيد بن عبد الملك، وهشام، وهلك في السنة التي بويع فيها الوليد بن يزيد الخامس والثلاثون قسطنطين بن أليون ملك إحدى وعشرين سنة أيام الوليد ابن يزيد، ويزيد بن الوليد، ومروان بن محمد، وأبي العباس السفاح، وعشر سنين من خلافة المنصور السادس والثلاثون أليون بن قسطنطين ملك سبع عشرة سنة وأربعة

أشهر؛ بقية أيام المنصور، وخمس سنين من خلافة المهدي.

السابع والثلاثون ريني امرأة أليون بن قسطنطين وتفسير ريني صلاح ثم لقبت بعد ذلك أغسطة وملك معها ابنها قسطنطين بن أليون فلم يزالا ملكين بقية أيام المهدي، وأيام الهادي، وصدراً من خلافةالرشيد.

وكانت هي تمضي الأمور والاسم لابنها، وكانت كالمهادنة للمهدي والهادي والرشيد، فلما نشأ ابنها أفسد وتعدى وطغى ونابذ الرشيد ونقض ما كان بينهم من الصلح، فغزاه الرشيد وأوقع به فهرب فكاد أن يؤخذ فلما صار إلى قراره خافت أمه أن يكر عليهم الرشيد وكان طغيان ابنها وقبح سياسته قد ظهر في رعيته حتى سبوه وأنكروه، فاحتالت عليه أمه ليبقى ملكها عليها فأمرت بمرآة فأحميت في حال نومه ثم أنبهته وقابلته بالمرآة ففتح عينيه على غرة فذهب بصره.

وكان مدة ملكه مع أمه سبع عشرة سنة وتفردت بالأمر خمس سنين وذلك في أيام الرشيد وهادنت الرشيد وحملت إليه الأتاوة فتطرق بذلك عليها نقفور فأعين وعوضد حتى خلعت وانتزع الملك منها وذلك في سنة 187 وهي في بلاد بنته بالقسطنطينية يعرف بالأبتارو إلى هذا الوقت ولغثيطها الياطس؛ وكان ذا رأي وحزم وسياسة، والبلاط القصر، وفي هذا البلاط مينا عليه سلسة فيه ينزل رسل العرب إذا قدموا للفداء الثامن والثلاثون نقفور بن استبراق ملك سبع سنين وثلاثة أشهر في أيام الرشيد وهلك في أول خلافة الأمين وقيل إنه كان من ولد جفنة من غسان ممن تنصر آباؤه وقيل بل من ولد متنصرة إياد الذين دخلوا في أرض الروم من بلاد الجزيرة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وبايع لابنه استبراق بالملك بعده ولمي عهد هذا فيمن سلف من ملوك الروم، وكانت كتبه تصدر من نقفور واستبراق ملكي الروم، وكانت ملوك الروم قبله تحلق لحالها، وكذلك ملوك الفرس لأمور قد ذكرناها في غير هذا الكتاب فأبى ذلك نقفور وقال هذا تغيير لخلق البارئ سبحانه، وكانت مرتبته قبل أن يلي الملك لغيثط وهي ولاية ديوان الخراج.

وكانت ملوك الروم تكتب على كتبها من فلان ملك النصرانية فغير ذلك نقفور وكتب ملك الروم، وقال هذا كذب ليس أنا ملك النصرانية أنا ملك الروم والملوك لا تكذب، وأنكر على الروم تسميتهم العرب ساراقينوس تفسير ذلك عبيد سارة طعناً منهم على هاجر وابنها إسماعيل، وإنها كانت أمة لسارة وقال تسميتهم عبيد سارة كذب، والروم إلى هذا الوقت تسمي العرب ساراقينوس وكان مقتل نقفور في حرب كانت بينه وبين برجان في سنة 193، وقد أتينا على أخباره مع الرشيد وحروبه لبرجان وقتلهم إياه وغير ذلك من أخباره في كتاب مروج الذهب، ومعادن الجوهر التاسع والثلاثون استبراق بن نقفور بن استبراق ملك شهرين.

الأربعون ميخائيل بن جورجس وكان ابن عم نقفور وصهره ملك سنتين في أيام الأمين وقيل أكثر من ذلك فوثب به أليون المعروف بالبطريق وغلب على الأمر وأقام ميخائيل قبله مخفياً أمره، وأشاع هلكه بعد أن ناله بأنواع المكاره.

الحادي والأربعون أليون المعروف بالبطريق، ملك سبع سنين وثلاثة أشهر، وذلك بقية أيام الأمين؛ وصدراً من خلافة المأمون، فاحتال صنائع ميخائيل فاستخلصوه فوثب بأليون وهو مغثر فقتله وعاد الملك إليه وقيل إنه في حال غلبة أليون على الأمر ترهب.

الثاني والأربعون ميخائيل بن جورجس الملك الثاني ملك تسع سنين في أيام المأمون وقيل أكثر من ذلك وقد أتينا على خبره وما كان من أمره وعوده إلى الملك ثانية في كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر الثالث والربعون توفيل بن ميخائيل ملك أربع عشرة سنة بقية أيام المأمون وأيام المعتصم وصدراً من أيام الواثق، وهو الذي فتح مدينة زبطرة من الثغور الجزرية فخرج المعتصم نافراً غازياً حتى نزل على عمورية فافتتحها وذلك في سنة 223 وكان دخوله من الثغور الشأمية ودخل الأفشين خيذر بن كاوس الأشروسني فيمن كان معه من الأولياء وعمر بن عبيد الله بن مروان الأقطع السلمي صاحب ملطية من الثغور الجزرية فلقيهم الملك توفيل بن ميخائيل فكانت بينهم حروب عظيمة فانكشف الملك وحماه من كان معه من المحمرة والخزمية، ممن كان استأمن إليه من ناحية آذربيجان والجبال لما واقعهم

إسحاق بن إبراهيم بن مصعب الطاهري وكانوا ألوفاً، ولحق الأفشين بالمعتصم فنزل معه على عمورية وفي ذلك يقول الحسين بن الضحاك الخليع الباهلي في قصيدة له طويلة يمدح أبا الحسن الأفشين.

أثبت المعصوم عزاً لأبي ... حسن أثبت من ركن إضم

كل مجد دون ما أثله ... لبني كاوس أملاك العجم

لم يدع بالبذ من ساكنة ... غير أمثال كأمثال إرم

وقرى توفيل طعناً صادقاً ... فض جميعه جميعاً وهزم

وقد ذكره أبو تمام في قصيدته التي مدح بها المعتصم وذكر فتح عمورية التي أولها:

السيف أصدق إنباء من الكتب ... في حده الحد بين الجد واللعب

وقال:

لما رأى الحرب رأي العين توفلس ... والحرب مشتقة المعنى من الحرب

وقال الحسين بن الضحاك أيضاً: في كلمة له طويلة يخاطب المعتصم.

لم تبق من أنقرة نقرة ... واجتحت عمورية الكبرى

إن يشك توفيل بتاريخه ... فحق أن يعذر بالشكوى

وقال:

تفنى بنوا العيص وأيامهم ... وذكر أيامك لا ينفى

يا رب قد أملكت من بابك ... فاجعل لتوفيلهم العقبى

وإنما ذكرنا هذه الشواهد لأن فريقاً ممن لا علم له بسير الملوك وأيامهم ذهبوا إلى أن المواقع للأفشين والذي فتحت عمورية الكبرى في أيامه هو نقفور الذي كان في أيام الرشيد، وما ذكرنا أشهر وأوضح إذ كان من الكوائن التي يشترك الناس في علمها بسبب شهرتها، واستفاضة أنبائها، ولكن الحاجة دعت إلى الاستشهاد.

الرابع والأربعون ميخائيل بن توفيل ملك ثمانياص وعشرين سنة بقية أيام الواثق والمتوكل

والمنتصر والمستعين وكانت أمه تدورة تدبر الملك معه ثم أراد قتلها لأمر كان منها، فهربت ولحقت بالدير فترهبت. ونازعه في الملك رجل من أهل عمورية من أبناء الملوك السالفة يعرب بابن بقراط فلقيه ميخائيل وقد أخرج من في سجونه من المسلمين للقتال معه، وقواهم بالخيل والسلاح فظفر باب بقراط فشوه بخلقه ولم يقتله لأنه لم يلبس ثياب الفرفير والخف الأحمر، وقتل ميخائيل بسيل الصقلبي جد قسطنطين بن لاون بن بسيل الملك على الروم في هذا الوقت المؤرخ به كتابنا وهو سنة 345 في خلافة المطيع وكان قتله إياه في سنة 253 في خلافة المعتز وقيل في سنة 252.

الخامس والأربعون بسيل الصقلبي ملك عشرين سنة أيام المعتز والمهتدي وصدراً من خلافة المعتمد وكانت أمه صقلبية فنسب إليها فقيل الصقلبي.

قال المسعودي: وقد أتينا على خبره وبدء أمره وخروجه من بلده وهو بند تراقية إلى القسطنطينية ملتمساً للرزق طالباً للمعاش وما كان عليه من الشدة والشجاعة والهمة والمعرفة بأمور الخيل، وكيف اتصاله بميخائيل بن توفيل إلى أن صار المدبر لخيله وانتقاله في المراتب إلى أن سمي براكنميس تفسير ذلك المدبر للملك وقيل أن توفيل استحضره لما نمي إليه خبره وخبر الامرأتين اللتين تزوج الملك بأحدهما وزوجه الأخرى إذ كانت شريعتهم تمنع من الجمع بينهما وكان الملك يختلف إليهما، وما توجه لبسيل عليه من الحيلة حتى قتله وصفا له الملك وغير ذلك من أحواله في تاب فنون المعارف، وما جرى في الدهور السوالف

السادس والأربعون أليون بن بسيل ملك ستاً وعشرين سنة بقية أيام المعتمد والمعتضد والمكتفي وصدراً من أيام المقتدر، وقيل أن وفاته كانت في سنة 297.

السابع والأربعون أخوه الإكصندرس بن بسيل ملك سنة وقيل أكثر من ذلك وقيل إنه اغتيل لسوء سيرته وقبح سياسته.

الثامن والأربعون قسطنطين بن لاون بن بسيل ملك وله نحو من ست وسنين وقيل أكثر من ذلك في سنة 301 وغلب على أمره بطريق البحر وصاحب مغازيه رومانوس فقام بأمر الملك وشرط على نفسه شروطاً منها أنه لا يطلب الملك ولا يريده ولا يتسمى به ولا أحد

من ولده.

وأقام على ذلك نحواً من سنتين. ومن رسوم ملوك الروم ألا يجلس معهم في مجلسهم أحد ولا يلبس خفين أحمرين غيرهم فجعل لأرمانوس أن يجلس معه ويلبس خفاً أحمر والآخر أسود، ثم نقض الشروط وسمى نفسه ملكاً ولبس التاج والثياب الفرفير التي لا يلبسها إلا الملوك وخفين أحمرين وحجر على قسطنطين.

ونشأ لأرمانوس أربعة أولاد فخصى الأوسط واسمه توفيلقطس، وجعله خادماً للكنيسة فلما كبر وبلغ مبلغ الرجال جعله بطريكاً وهو ملك الدين والقيم به كما أن الملك صاحب السيف، فهو صاحب كرسي القسطنطينية إلى هذا الوقت المؤرخ به كتابنا وصاحب الكرسي هو شريك الملك ليس يساوي الملك في الخلق أحداً لا هو، ولا يكفر الملك إلا له، وإذا جلس الملك جلس على كرسي من ذهب وجلس البطريرك على كرسي من حديد فما كان من نفقات الحرب وجباية الخراج وإعطاء الجند فهو إلى الملك، وما كان من أموال الأحباس والوقوف لنفقات الكنائس والديرة والأساقفة والرهبان وما أشبه ذلك من أمر دينهم فهو إلى البطريرك، وله في كل بند عامل مثل عامل الملك، والبطريرك لا يأكل اللحم ولا يطأ النساء ولا يتقلد السيف ولا يركب الخيل وإذا أراد أن يركب ركب حماراً وحول رجليه على جانب مثل ركوب النساء.

وكان أولاد أرمانوس الباقون أخرصطفورس، أصطفن، وقسطنطين وكانوا جميعاً يخاطبون بالملك وزوج أرمانوس ابنته النا بقسطنطين فكانت تخاطب بالملكة أيضاً.

وولد لقسطنطين الملك منها ولد سماه أرمانوس فهو ولي عهده والمرشح للملك بعده في هذا الوقت وهلك أخرصطفورس وبقي أخواه قسطنطين وأصطفن فلم يزل الأمر على ذلك إلى نحو من سنة 330 للهجرة فواطأ ابنا أرمانوس قسطنطين بن لاون على إزالة أبيهم أرمانوس عن الملك ليصفو لهم الأمر فدخلوا عليه في بعض الأيام في عدة من الناس فقبضوا عليه وأنفذوه إلى دير كان بناه في الجزائر بالقرب من القسطنطينية وأقام ولداه مع قسطنطين

نحواً من أربعين يوماً وعملا على الفتك به والاستيلاء على الملك ونذر بما دبراه فسبقهما إلى ذلك فأحضرهما طعامه وقد أعد لهما عدة من خواصه فقبض عليهما ونفاهما إلى جزيرتين في البحر منفردتين ففتك أحدهما وهو قسطنطين بالموكل به ورام من أصحابه وأهل الجزيرة طاعته فقتلوه وحملوا رأسه إلى الملك قسطنطين فأظهر الجزع عليه، وتوفي أرمانوس بعد أربع سنين من ترهبه وبقي أصطفن في هذه الجزيرة إلى هذا الوقت على ما ينمى إلينا من أخبارهم ونحن بفسطاط مصر ممن يرد في المراكب من القسطنطينية من التجار والرسل إلى السلطان بها، وصفا الملك لقسطنطين فبقي في الملك بقية أيام المقتدر والقاهر والراضي والمتقي والمستكفي وإلى هذا الوقت من خلافة المطيع قال المسعودي: وقد ذكرنا في كتاب فنون المعارف، وما جرى في الدهور السوالف خبر من خرج عليه من الخوارج ونازعه الملك قبل استيلاء أرمانوس عليه وقيامه به كقسطنطين بن أندرونقس الملقب بدوقاس وكان أبوه أندرونقس استأمن إلى المكتفي من ناحية طرسوس وكان صاحب جيش أليون ملك الروم وصار إلى مدينة السلام في سنة 294 وأسلم على يد المكتفي ثم هلك فهرب ابنه هذا على طريق الجبل وأرمينية وآذربيجان فكثر أتباعه والمعاضدون له وصار إلى القسطنطينية ونازع قسطنطين بن أليون على الملك وكاد أن يتم له ثم وثب به صنائع قسطنطين فقتلوه وذلك في سنة 301 وكقرقاس أخي الدمستق بارزوس بن الفقاس المساجل في هذا الوقت لأبي الحسن علي بن عبد الله بن حمدان بن حمدون بن الحارث العدوي عدي بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن عمر بن غنم بن تغلب صاحب جند حمص وجند قنسرين والثغور الشأمية والجزيرة وديار مضر وديار بكر والمواقع له مرة بعد أخرى، وكان قرقاس طلب الملك وطمع فيه فقبض عليه وسمل وقد أتينا على سير هؤلاء وأخبارهم وحروبهم مع سائر الأمم وما بنوا من المدن وكوراً من الكور وشيدوا من الهياكل حين كانوا على الحنيفية والكنائس حين دانوا بالنصرانية وما كان من الكوائن والأحداث في أيامهم ودياناتهم ووجوه سياساتهم إلى هذا الوقت والتنازع في أعدادهم وما ملكوا من السنين وما كان بينهم وبين ملوك الفرس وغيرهم من الأمم من الحروب والوقائع والزحوف والحيل والمكايد وما كان

بينهم وبين خلفاء المسلمين وملوكهم من المغازي والوقائع المشهورة في البر والبحر وأخبار الرسل والوفود بينهم والمهادنات والأفدية وغير ذلك، والتنازع في أنساب الروم وما قيل في وما يذهب إليه بعض ذوي المعرفة منهم والدراية في هذا الوقت من أنهم ولد رومي ابن لنطي بن يونان بن نويه بن سرجون بن بزنط بن توفيل بن رومي بن الأصفر بن أليفز بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم فسموا باسم جدهم وأضيفوا إليه ومن قال منهم أنهم من ولد روم بن سملاحين بن هريا بن علقا بن العيص ابن إسحاق بن إبراهيم وغير ذلك من الأقاويل في كتاب أخبار الزمان، ومن أباده الحدثان، من الأمم الماضية والأجيال الخالية والممالك الداثرة في الكتاب الأوسط وفي النسخة الأخيرة من كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر التي قررنا أمرها في هذا الوقت المؤرخ به كتابنا وهي أضعاف ما تقدم من النسخ وفي كتاب فنون المعارف، وما جرى في الدهور السوالف وفي كتاب ذخائر العلوم وفي كتاب الاستذكار، لما جرى في سالف الأعصار الذي كتابنا هذا تال له ومبني عليه وقد خصصنا كل كتاب منها من أخبارهم بما لم نخصص به الآخر إلا ما لا يسع تركه، وإنما ذكرنا في هذا الكتاب جملاً وجوامع استذكاراً لما تقدم وقد قدمنا في أول أخبار الروم من هذا الكتاب أن عدة ملوك الروم ثمانية وسبعون ملكاً من الصابئين والمتنصرة قبل الإسلام وبعده وأن مدة سنيهم إلى ملك قسطنطين هذا تسعمائة سنة وست وستون سنة وشهر وفصلنا ما ملكه الصابئون والمتنصرة

فإذ قد ذكرنا الروم وأنسابهم وتأريخ سنيهم وطبقات ملوكهم إلى وقتنا هذا فلنذكر الآن حدود بلادهم وبنودهم وما يتصل منها بالبحار وما لا يتصل

ذكر بنود الروم وحدودها ومقاديرها

وما يتصل منها بالخليج وبحر الروم والخزر وما اتصل بذلك من اللمع المنبهة على ما تقدم من تأليفنا فيما سلف من كتبنا

أرض الروم أرض واسعة في الطول والعرض آخذة في الشمال بين المشرق والمغرب، مقسومة

في قديم الزمان على أربعة عشر قسماً: أعمال مفردة، تسمي البنود كما يقال: أجناد الشام؛ كجند فلسطين، وجند الأردن، وجند دمشق، وجند حمص، وجند قنسرين. غير أن بنود الروم أوسع من هذه الأجناد وأطول والروم يسمون بلادهم أرمانيا، ويسمون البلاد التي سكانها المسلمون في هذا الوقت من الشأم والعراق وسوريا.

والفرس إلى هذا الوقت تقارب الروم في هذه التسمية، فيسمون العراق والجزيرة والشأم سوستان إضافة إلى السريانيين الذين هم الكلدانيون ويسمون سريان ولغتهم سورية وتسميهم العرب النبط.

فالبند الأول الأفتي ماتي تفسير ذلك الأذن والعين وهو بند الناطليق أعظم بنود الروم فيه عمورية، أوله مما يلي بلاد الإسلام من الثغور الشامية حصن هرقلة وأول عمل الناطليق رستاق يعرف بغصطوبلي وفيه يقوم سوق البخور وهو سوق يقوم في السنة مرة.

البند الثاني بند الأبسيق فيه مدينة نيقية، أول عمل هذا البند غصطوبلي وآخره خليج القسطنطينية فهذان البندان من دار الإسلام إلى خليج القسطنطينية في الطول يكون أميالاً أربعمائة ميل وأربعة وثلاثين ميلاً.

البند الثالث يسرة الناطليق ويعرف بترقسين وهو بند أفسيس مدينة أصحاب الكهف ومدينة زمرني، أخرج هذا البند عدة من الحكماء في سالف الزمان فلاسفة وأطباء، فمن الأطباء روفس الأفسيسي له مصنفات كثيرة في الطب وجالينوس يمدحه في كثير من كتبه ويذم روفس الينيطي، وهذا البند متصل ببحر الروم والشأم.

البند الرابع بند بنطيليا وهي دقابلي يتصل بالبحر الرومي أيضاً وفي آخر هذا البند عمل سلوقية وحصن بوقيةواللامس، الذي يكون فيه الفداء بين المسلمين والروم ومنه إلى طرسوس خمسة وثلاثون ميلاً وهو بند ضيق وحروب المسلمين عليه براً وبحراً فهذان البندان متصلان من دار الإسلام على البحر الرومي إلى خليج القسطنطينية أيضاً يكون طولهما ثلاثمائة ميل وخمسة وستين ميلاً.

البند الخامس بند القباذق وهو يمنة عمورية فيه قرة وحصن يدقسي وحصن سلندو وذو

الكلاع – واسمه بالرومية كوبسطرة – وقونية ووادي سالمون ووادي طامسة، وأول عمل هذا البند مما يلي الثغور الشأمية مطمورة تعرف بماجدة من قلعة لؤلؤة على نحو عشرين ميلاً وآخره نهر آلس وتفسير آلس بالعربية نهر الملح وهو نهر مقلوب يجري مما يلي الجنوب مستقبلاً للشمال كنيل مصر ومهران السند ونهر أنطاكية المعروف بالأرنط وما عدا ذلك من الأنهار الكبار فمصبها كلها من الشمال إلى ناحية الجنوب لارتفاع الشمال على الجنوب وكثرة مياهه وقد أتينا على علة ذلك فيما سمينا من كتبنا.

البند السادس بند البقلاّر وهو بند عمل أنقرة وأول عمل أنقرة نهر آلس وهو آخر عمل القباذق وآخر عمل البقلار بحر الخزر الذي هو بحر مايطس فهذان البندان متصلان من دار الإسلام إلى بحر الخزر في الطول يكون أميالاً أربعمائة ميل وخمسة وأربعين ميلاً، وليس للروم أطول من بند البقلار هذا، ولا أكثر رجالة منه.

البند السابع بند الأفطماط وهو عمل نقمودية، وهو بند مربع بين البقلار والأبسيق وآخر عمل هذا البند خليج القسطنطينية، وعرض الخليج هناك ميل ويسمى ذلك الموضع إلى هذا الوقت أقروبلي. وقد قدمنا صفة ذلك فيما سلف من هذا الكتاب في ملك قسطنطين بن هيلاني عند ذكر بنائه القسطنطينية ووصف خليجها والعدوات الست التي عليه البند الثامن بند الأرمنياق يمنة البقلار؛ وهو عمل ماسية وفي طرف هذا البند عمل خرشنة، وآخره بحر مايطس الذي يسميه كثير من الناس بحر الخزر وإنما هو متصل به لأن بحر الخزر هو الذي عليه دور الأعاجم كالباب والأبواب وموقان والجبل والديلم، وآبسكون ساحل جرجان؛ وإليهم ساحل آمل قصبة طبرستان على ما قدمناه فيما سلف من هذا الكتاب عند إخبارنا عن البحار وترتيبها وما يصب إليها من كبار الأنهار

البند التاسع بند فلاغونية وهو يمنة الأرمنياق وفي طرفه عمل قلونية، فهذه تسعة بنود دون الخليج ما يلي الثغور الشأمية والجزرية وغيرها من بلاد الإسلام، والخمسة الباقية من البنود وراء الخليج متصلة بالقسطنطينية وهي بند طابلا ومنه القسطنطينية حده من جهة المشرق

الخليج الآخذ من بحر الخزر إلى بحر الشأم ومن القبلة بحر الشأم، ومن المغرب سور ممدود من بحر الشأم إلى بحر الخزر يسمى مقورن تيخس تفسيره السور الطويل، طوله مسيرة أربعة أيام وبينه وبين القسطنطينية يومان وأكثر هذا البلد ضياع الملك والبطارقة، ومروج المواشي بند تراقية بند مقدونية بند بلبونيسة تفسير ذلك الجزائر الكثيرة، وقيل البلدان الكثيرة وهو غربي القسطنطينية فيه خرقيذية ومثونية وقرنتو وأثينس وهي مدينة أرسطاطاليس بن نيقوماخس وثاوفرسطس، ودار أرسطاطاليس فيها بينة إلى هذا الوقت معروفة معظمة بند سالونيكة التي افتتحها لاون غلام زرافة في البحر سنة 29 في خلافة المكتفي وهي مدينة عظيمة بنيت قبل القسطنطينية بناها الإسكندر بن فيلبس الملك وقد غلبت البرغر وأجناس من الترك بدو يسمون الولندرية إضافة إلى مدينة في أقاصي ثغور الروم مما يلي المشرق تعرف بولندر وهم بجناك ويجني وبجغرد ونوكبردة على أكثر هذه البنود الخمسة وذلك بعد العشرين والثلاثمائة وخيموا هناك ومنعوا الطريق من القسطنطينية إلى رومية وهي مسافة نحو أربعين يوماً وأخربوا أكثر ما هناك من العمائر، واتصلت غاراتهم بالقسطنطينية فلا وصول لمن في القسطنطينية إلى رومية في هذا الوقت إلا في البحر، وإنما العمارة بينهما مما يلي القسطنطينية مسيرة أيام كثيرة وقد ذكرنا في كتاب فنون المعارف، وما جرى في الدهور السوالف السبب في انتقال هذه الأجناس الأربعة منالترك عن المشرق وما كان بينهم وبين الغزية والخزلخية، والكيماكية من الحروب والغارات على البحيرة الجرجانية، وإليها يصب نهر جيحون ونهر الشاش وفرغانة وبلاد الفاراب تجري فيها السفن البار من بلاد خوارزم إلى بلاد الشاش وغيرها بأنواع التجارات على ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب، وليس في المعمور أكبر منها لأنها مسيرة شهر في مثل ذلك، وقيل أكثر على ما قدمنا وماؤها عذب ويليها في العظم بحيرة المارزبون بأرض الروم، وسبب مسيرهم إلى هذه الديار. وكان صاحب رومية منقاداً إلى صاحب القسطنطينية مطيعاً له ممتثلاً لأمره لا يلبس تاجاً ولا يتسمى بالملك على ذلك جرت رسومهم قديماً قبل ظهور الإسلام إلى نحو سنة 340 للهجرة فإن صاحب رومية قوي أمره وكثرت جموعه، فلبس التاج والثياب الفرفير والخفاف

الحمر وغير ذلك مما يختص به ملك الروم وتسمى ملكاً فلما بلغ قسطنطين بن أليون الملك على الروم في هذا الوقت ذلك أنفذ إليه الجيوش فعادت إليه منكوبة مهزومة فكاتبه حينئذ ورضي منه بالمسألة وقد كان جرى بينهما مصاهرة قبل هذه المنابذة؛ زوج ملك رومية ابنته بأرمانوس بن قسطنطين وحملها إليه وجهزها بأفخر ما تجهز به بنات الملوك وأعظمه قدراً فهلكت عنده وسائر أجناس الإفرنجية من الجلالقة والجاسقس والوشكنس وأرمانجس وأكثر الصقالبة والبرغر وغيرهم من الأمم فدائنون بالنصرانية منقادون إلى صاحب رومية، ورومية دار مملكة الإفرنجة العظمى قديماً وحديثاً وقد ذكر ذلك أرسطاطاليس في رسالته إلىالإسكندر التي يحرضه فيها على المسير لحرب دارا بن دارا ملك فارس فقال إنك أيها الملك قد رأيت أمارات الظفر عند مسيرك أولاً إلى الإفرنجة، فإن مشايخهم الذين كانوا على تخوم بلادهم؛ لما دنوت منهم أسلموا أطراف بلادهم والتجئوا إلى مدينتهم العظمى رومية

قال المسعودي: وكانت مساكن الروم واليونانيين متجاورة كمجاورة سكان العراق وهم النبط للفرس سكان فارس والأهواز وأرض الجبال من الماهات وغيرها على ما ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب في باب الأمم السبع قبل تجيل الأجيال وتحزب الأمم، إلى أن غلبت الروم على دار اليونانيين، وصار الجميع روما كغلبة الفرس على مملكة النبط غير أن كل فريق منهم يحفظون أنسابهم يرجعون إلى شعوبهم، وقد ذكرنا في أخبار اليونانيين من كتاب فنون المعارف، وما جرى في الدهور السوالف، أنه هذه البنود التسعة التي تلي أرض الإسلام في هذا الوقت كانت ديار اليونانيين فإلى وراء الخليج بأيام وكانت ديار الروم ما وراء ذلك إلى ما وراء بلاد رومية وأرض الإفرنجة براً وبحراً، وذلك نحو من خمسمائة فرسخ إلى أن تتصل بحر أوقيانس المحيط وبلاد الأندلس، وأتينا على أخبار هذه البنود ومقاديرها وما يتصل منها بالبحر وما لا يتصل، وما فيها من الحصون العظام والمواني والبحيرات والأنهار والهوتات والحمات. وما وطئ منها المسلمون في أيام مغازيهم إلى هذا الوقت المؤرخ به كتابنا وحدودها، وبماذا التنازع في أسمائها، وإلى ماذا أضيفت وولاتها ومراتبها ومواضعها

وسماتهم ومقادير جيوشهم، ومن يحاربهم من الأمم في البر والبحر، وما استرجعوه مما كان المسلمون غلبوا عليه من بلادهم؛ كملطية وشمشاط وحصن منصور وقلعة إبريق التي كانت مدينة البيالقة وكان بها عدة من بطارقتهم منهم قريياس مولى آل طاهر بن الحسين وخرسخارس وغيرهما ومدينة سيحان التي يخرج منها العيون التي هي أصل نهر سيحان وهو نهر أذنة من الثغر الشأمي وغير ذلك من الثغور الجزرية فإلى بلاد قاليقلا، وما يتصل بذلك من المشرق والشمال كأرمينية وغيرها والحصون التي عمرت مما كان المسلمون أخربوه في أول الإسلام مما يلي الثغور الشأمية وما غلبت عليه البرغر وبجناك من الترك وغيرهم من الولندرية من ثغور الروم في هذا الوقت، وخبر السور المسمى بالرومية مقرون تيخس تفسير ذلك السور الطويل كما ذكرنا آنفاً الحاجز بين بلاد برجان وبين البنود الخمسة التي وراء القسطنطينية المبني في سالف الدهر بين جبلين عظيمين وهو دون النهر العظيم المسى بالصقلبية دنابي وعرضه نحو من ثلاثة أميال على ما قدمنا ذكره وعليه كثير من البرغر والصقالبة وغيرهم من الأمم الواغلين في الشمال وقول من قال إنه جيحون نهر بلخ على ما ذكرناه فيما سلف من هذا الكتاب في أخبار أنهار العالم الكبار ومصباتها في البحار وغير ذلك من أخبار الروم وبلادهم وإنما ذكرنا في هذا الكتاب لمعاً استذكاراً لما تقدم تصنيفه وتنبيهاً على ما سلف تأليفه وذكرنا فيما تقدم من كتبنا سائر الممالك والأمم ومساكنهم وملوكهم وسيرهم وسياساتهم وحروبهم ووجوه عباداتهم ممن سكن المشرق والمغرب والشمال والجنوب كالهند والصين والترك والخزر واللان، ومن سكن جبل القبق من اللكز ومن جاور الباب والأبواب وقرب من هذا الجبل من الأمم كاللان والسرير والخزر وجرزان والأبخاز والصنارية وكشك والكاسكية وغيرهم والأبر وبرجان والروس والبرغر والإفرنجة والصقالبة وأجناس السودان مع اختلاف ديارهم وبنائهم وتباينهم في مساكنهم ولغاتهم وأخبار مصر والإسكندرية وملوكها ونيلها وما عليه من ممالك الكوشانيين وهم ولد حام بن نوح وأخبار الكلدانيين وهم السريانيون المسمون النبط وأخبار بني إسرائيل وأنبيائهم وملوكهم ورؤسائهم وقوامهم والأربعة والعشرين كتاباً التي تجتمع اليهود والنصارى

عليها تسميها اليهود الكتب الجامعة والنصارى كتب الصورة - والصورة القديمة اثنا عشر منها صغار واثنا عشر كبار، وتسمى أيضاً كتب الأنبياء منها التوراة خمسة أسفار وليس تقرأ النصارى في الكنائس من التوراة إلا السفر الأول وهو الخليقة، وغير ذلك مما تقدم عنها وتأخر

وأخبار العرب البائدة كعاد وعبيل ابني عوص بن أرم بن سام بن نوح، وثمود وجديس ابني عابر ابن أرم بن سام، وعمليق وطسم ابني لاود بن أرم ابن سام ابن نوح، ووبار بن أميم بن لاود بن أرم بن سام بن نوح، وجرهم بن قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام، وعبس بن ضخم بن عبد بن هرم بن عابر بن أرم بن سام وغيرهم وتفرقهم عن أرض العراق بعد تبلبل الألسن، وما كان من قضية المجدل وما ارتجز به كل فريق منهم، وأخبار العرب الباقية من معد وقحطان وأنسابهم وأخبار ملوكهم، وأخبار ملوك حمير من التبابعة وغيرهم والتنازع في كمية أعدادهم، ومن قال إنهم سبعون تبعاً واستشهد بقول عبد الرحمن بن حسان بن ثابت أو النعمان بن بشير الأنصاريين

لنا من بني قحطان سبعون تبعاً ... أقرت لها بالخرج منها الأعاجم

وقول من قال أقل من ذلك وأكثر والسبب الذي به سموا التبابعة ومن قال أن هذه السمة لم يكن يستحقها منهم إلا من ملك اليمن وحضرموت واجتمعت له طاعتهم، ومن رأى أنه إنما قيل للملك منهم تبع تشبيهاً بالظل الذي يتفيأ به وأن التبع في أصل اللغة الظل إذ كان الملوك السعداء ظلاً لرعيتهم وكهفاً لها وملجأ، واستشهادهم بقول ليلى الجهنية، وقيل قول سعدي الجهنية

يرد المياه حضيرة ونفيضة ... ورد القطاة إذا اسمأل التبع

يعني ارتفع الظل وقيل لمعان غير ذلك، ومن سار منهم في البلاد ووطئ الممالك ووصاياهم وعهودهم وحكمهم ومغازيهم من لدن حمير وهو الغرنجج ويسمى أيضاً زيد بن سبأ وهو عبد شمس، إلى زوال نظامهم، وانقضاء ملكهم بغلبة الحبشة عليهم والتنازع في مدة ما

ملكوا من السنين من مكثر ومقلل وأقل ما قيل في مدة ملكهم ما حكاه محمد بن موسى الخوارزمي في زيجه في النجوم وغيرهم أن ذلك ألف وتسعمائة سنة وثمان وثلاثون سنة ومن تلاهم من ذوي المراتب الملوكية كالأقيال والأذواء والمثامنة والعباهلة وغيرهم، وقيل أن الأذواء لم تكن مرتبة، وإنما هي سماة لملوكهم، كذي الأذعار، وذي المنار، وذي يزن، وذي رعين، وذي نواس، وذي كلاع، وذي أصبح، وغيرهم ومن ملكته الروم من اليمن بالشأم من تنوخ والضجاعم من سليخ بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وغسان استكفاء بهم من يليهم من بادية العرب أولهم جفنة بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد، وآخرهم جبلة بن الأيهم بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة الذي لحق بالروم بعد فتوح الشأم ومن ملكته الفرس بالحيرة من أرض العراق من بني نصر بن لخم من النعامنة والمناذرة وهم ولد عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن سعود بن مالك بن غنم بن نمارة بن لخم واسمه مالك بن عدي ابن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن كهلان ليكفوا بهم من يليهم من بوادي العرب أيضاً وآخرهم النعمان بن المنذر الذي قتله كسرى أبرويز وملك الحيرة بعده أياس بن قبيصة الطائي وغيره إلى أن جاء الله بالإسلام وكان عدة من ملك الحيرة من بني نصر والعباد وغسان وتميم وكندة والفرس وغيرهم نيفاً وعشرين ملكاً ملكوا خمسمائة سنة واثنتين وعشرين سنة وشهوراً، وعمروا بن عدي هو صاحب المثل السائر كبر عمرو عن الطوق وهو ابن أخت جذيمة الأبرش الذي قتلته الزباء ابنة عامر بن ظرب وجذيمة صاحب النديمين الذين يضرب بهما المثل، وفيهما قال متمم بن نويرة اليربوعي في مرثيته أخاه مالك بن نويرة

وكنا كندماني جذيمة حقبة ... من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأني ومالكاً ... لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

ومن ملك من كندة على معد وغيرها أولهم معاوية بن ثور بن مرتع وهو من كندة وآخرهم حجر بن الحارث بن عمرو أبو امرئ القيس بن حجر، وهو الذي قتله بنو أسد بن خزيمة،

وأخبار ولد نزار بن معد بن عدنان بن أد بن أدد ابن الهميسع بن تيمن بن نبت بن إسماعيل بن إبراهيم - ربيعة ومضر وهما الصريحان من ولد إسماعيل بن إبراهيم - وإياد وأنمار مع تنازع النساب فيهما من اليمن هم أم من نزار واستشهاد من ألحق إياداً بنزار بقول أبي داود جويرية بن الحجاج الإيادي

وفتو حسن أوجههم ... من إياد بن نزار بن معد

وبقول الكميت بن زيد الأسدي

إياد حين تنسب من معد ... وإن رغمت أنوف الراغمينا

وكانوا في الذؤابة من نزار ... وأهل لوائها مترزنينا

وقول نساب اليمانية إنه إياد بن أحاظة بن سعد من حمير، واستشهاد من ألحق أنماراً بنزار بقول الكميت أيضاً

وأنمار وإن رغمت أنوف ... معديو العمومة والخؤول

لهم لغة تبين من أبيهم ... مع الغر الشوادخ ذي الحجول

وقل اليمن إنه أنمار بن أراش بن الغوث وهو الأزد بن نبت بن مالك ابن زيد كهلان وأنه ولد له سبعة من الذكور فخمسة منهم يدعون بجيلة وواحد يدعى خثعماً، وواحد ينسب والده إلى الأزد.

وسبب تفرق هذه القبائل وغيرها من معد عن الحجاز، وما قالته نساب القحطانية فيمن تخلج وتنقل عن قبائلهم إلى معد وانتسبوا فيهم، وما قالته نساب المعدية فيمن تخلج أيضاً وتنقل عن قبائلهم إلى قحطان والسبب الذي لأجله انقادت القحطانية إلى تمليك الملوك عليها وأبت المعدية ذلك، إلى أن جاء الله بالإسلام، ولم سمت القحطانية أنفسها ومن تقدمها من العرب البائدة العرب العاربة وسموا معداً العرب المتعربة، وغير ذلك من فنون الأخبار وضروب السير والآثار، على الشرح والإيضاح قال المسعودي: فإذ ذكرنا اليونانيين وملوكهم وغلبة الروم عليهم ودخولهم في جملتهم، وملوك الروم على طبقاتهم من الحنفاء

والمتنصرة قبل ظهور الإسلام وبعده إلى وقتنا هذا وهو سنة 345 فلنذكر الآن ما كان من الأفدية والهدن بين الروم والعرب في أيام ولد العباس إذ لم يكن في أيام بني أمية فداء معروف مشهور فنذكره بل كان يفادى بالنفر بعد النفر في سواحل الشأم ومصر والإسكندرية وبلاد ملطية وغيرها من الثغور الجزرية، إذ كانت أموية والثغور الشأمية عباسية

ذكر الأفدية بين المسلمين والروم

الفداء الأول: فداء أبي سليم كان أول فداء جرى في أيام ولد العباس في خلافة الرشيد باللامس من ساحل البحر الرومي على نحو من خمسة وثلاثين ميلاً من طرسوس سنة 189 والملك على الروم نقفور بن استبراق يقال أنه فودي بكل أسير كان بأرض الروم من ذكر وأنثى فيما ظهر، وذلك على يد القاسم ابن الرشيد باسمه، وهو معسكر بمرج دابق من بلاد قنسرين من أعمال حلب وفيه قيل

يا أيها النفر الغزا ... ة النازلون بمرج دابق

أنى لغاز لو ترك ... ت إلى حبيب لي موافق

حضر هذا الفداء وقام به أبو سليم فرج خادم الرشيد المتولي له بناء طرسوس ف سنة 171 للهجرة وسالم البرلسي البربري مولى بني العباس في ثلاثين ألفاً من المرتزقة، وحضره من أهل الثغور وغيرهم من أهل الأمصار وغيرهم نحو من خمسمائة ألف، وقيل أكثر من ذلك بأحسن ما يكون من العدد والخيل والسلاح والقوة، قد أخذوا السهل والجبل وضاق بهم الفضاء. وحضرت مراكب الروم الحربية بأحسن ما يكون من الزي ومعهم أسارى المسلمين، وكان عدة من فودي به م المسلمين في اثني عشر يوماً ثلاثة آلاف وسبعمائة، وقيل أكثر من ذلك وأقل. والمقام باللامس نحو من أربعين يوماً قبل الأيام التي وقع الفداء فيها وبعدها. وإنما نذكر في كل فداء يرد فيما بعد هذا الفداء الأيام التي وقع فيها الفداء لا مدة مقام الناس باللامس، إذ كان يطول ويقصر وفي هذا الفداء يقول مروان بن أبي حفصة في كلمة له طويلة يمدح بها الرشيد

وفكت بك الأسرى التي شيدت لها ... محابس ما فيها حميم يزورها

على حين أعيا المسلمين فكاكها ... وقالوا سجون المشركين قبورها

الفداء الثاني: فداء ثابت في خلافة الرشيد أيضاً باللامس في سنة 192 والملك على الروم نقفور بن استبراق أيضاً، وكان القيم به ثابت بن نصر بن مالك الخزاعي أمير الثغور الشأمية، حضره مئو ألوف من الناس، وكان عدة من فودي به من المسلمين في سبعة أيام ألفين وخمسمائة ونيفاً من ذكر وأنثى الفداء الثالث: فداء خاقان في خلافة الواثق باللامس في المحرم سنة 231 والملك على الروم ميخائيل بن توفيل وكان القيم بن خاقان الخادم التركي وعدة من فودي به من المسلمين في عشرة أيام أربعة آلاف وثلاثمائة واثنين وستين من ذكر وأنثى، وقيل أربعة آلاف وسبعة وأربعين على ما في كتب الصوائف، وقيل أقل من ذلك

وفي هذا الفداء أخرج أهل زبطرة، وفيه خرج مسلم بن أبي مسلم الجرمي، وكان ذا محل في الثغور ومعرفة بأهل الروم، وأرضها، وله مصنفات في أخبار الروم وملوكهم وذوي المراتب منهم، وبلادهم وطرقها ومسالكها، وأوقات الغزو إليها والغارات عليها، ومن جاورهم من الممالك من برجان والأبر والبرغر والصقالبة والخزر وغيرهم وحضر هذا الفداء مع خاقان رجل يكنى أبا رملة، من قبل أحمد بن أبي داود قاضي القضاة يمتحن الأسارى وقت المفاداة، فمن قال منهم بخلق التلاوة، ونفى الرؤية فودي به وأحسن إليه، ومن أبى ترك بأرض الروم، فاختار جماعة من الأسارى الرجوع إلى أرض النصرانية على القول بذلك، وأبى أن يسلم الانقياد إلى ذلك، فنالته محن ومهانة إلى أن تخلص الفداء الرابع: فداء شنيف في خلافة المتوكل باللامس في شوال سنة 241 والملك على الروم ميخائيل بن توفيل، وكان القيم به شنيف الخادم مولاه، وحضر جعفر بن عبد الواحد الهاشمي القرشي القاضي، وعلي بن يحيى الأرمني صاحب الثغور الشأمية فكان عدة من فودي به من المسلمين في سبعة أيام ألفين ومائتي رجل، وقيل ألفي رجل ومائتي امرأة، وكان مع الروم من النصارى المأسورين من أرض الإسلام مائة رجل ونيف فعوضوا مكانهم عدة أعلاج، إذ

كان الفداء لا يقع على نصراني ولا ينعقد الفداء الخامس: فداء نصر بن الأزهر وعلي بن يحيى في خلافة المتوكل أيضاً باللامس مستهل صفر سنة 246 والملك على الروم ميخائيل بن توفيل أيضاً وكان القيم به علي بن حيى الأرمني أمير الثغور الشأمية ونصر بن الأزهر الطائي الشيعي من شيعة ولد العباس المراسل إلى الملك في أمر هذا الفداء من قبل المتوكل وعدة من فودي به من المسلمين في سبعة أيام ألفان وثلثمائة وسبعة وستون من ذكر وأنثى وقد ذكر بعض من لحقنا أيامه من مصنفي الكتب في الكوائن والأحداث والسير والتواريخ أن فداء كان في أيام المعتز، والملك على الروم بسيل على يد شفيع الخادم في سنة 253 الفداء السادس: فداء ابن طغان في خلافة المعتضد باللامس في شعبان سنة 283 والملك على الروم أليون بن بسيل أبو قسطنطين بن أليون الملك على الروم في وقتنا هذا وكان القيم به أحمد بن طغان أمير الثغور الشأمية وأنطاكية من قبل أبي الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون صاحب مصر وأجناد الشأم وديار مضر وغيرها وكانت الهدنة لهذا الفداء وقعت في أيام أبي الجيش في سنة 282 فقتل أبو الجيش بدمشق في ذي القعدة من هذه السنة، وتم الفداء في أيام ولده جيش ابن خماروية فكان عدة من وفدي به من المسلمين في عشرة أيام ألفين وأأربعمائة وخمسة وتسعين من ذكر وأنثى، وقيل ثلاثة آلاف رجل الفداء السابع: فداء رستم ويعرف بفداء الغدر في خلافة المتفي باللامس في ذي القعدة سنة 292 والملك على الروم أليون بن بسيل أيضاً، القيم به رستم ابن بردو الفرغاني أمير الثغور الشأمية، وكان عدة من فودي به من المسلمين في أربعة أيام ألفاً ومائة وخمسة وخمسين من ذكر وأنثى، ثم غدر الروم وانصرفوا ببقية الأسارى الفداء الثامن: فداء رستم أيضاً ويعرف بفداء التمام في خلافة المكتفي أيضاً باللامس في شوال سنة 295 والملك على الروم أليون أيضاً – القيم به رستم بن بردو، وكان عدة من فودي به من المسلمين ألفين وثمانمائة واثنين وأربعون من ذكر وأنثى الفداء التاسع: فداء مؤنس في خلافة المقتدر باللامس في شهر ربيع الآخر سنة 305 والملكان على الروم قسطنطين بن أليون ملكهم في وقتنا هذا وأرمانوس. وقسطنطين يومئذ صغير في حجره، وكان القيم به مؤنس الخادم وبشرى الخادم الأفشيني

أمير الثغور الشأمية وأنطاكية، والمتوسط له والمعاون عليه أبو عمير عدي بن أحمد بن عبد الباقي التميمي الأذني، وعدة من فودي به من المسلمين في ثمانية أيام ثلاثة آلاف وثلاثمائة وستة وثلاثون من ذكر وأنثى الفداء العاش: فداء مفلح في خلافة المقتدر أيضاً باللامس في رجب سنة 313 والملكان على الروم قسطنطين وأرمانوس وكان القيم به مفلح الخادم الأسود المقتدري وبشرى خليفة ثمل الخادم الدّلفى على الثغور الشأمية، وعدة من فودي به من المسلمين في تسعة عشر يوماً ثلاثة آلاف وتسعمائة وثلاثة وثمانون من ذكر وأنثى

الفداء الحادي عشر: فداء ابن ورقاء في خلافة الراضي باللامس في سلخ ذي القعدة وأيام من ذي الحجة سنة 326 والملكان على الروم قسطنطين وأرمانوس وكان القيم به ابن ورقاء الشيباني من قبل الوزير الفضل بن جعفر بن الفرات وبشرى الثملي أمير الثغور الشأمية وكان عدة من فودي به من المسلمين في ستة عشر يوماً ستة آلاف وثلاثمائة ونيفاً من ذكر وأنثى، وفضل في أيدي الروم من المسلمين ثمانمائة رجل ردوا وفودي بهم على نهر البدندون في مرارشتى، وزيد في الهدنة بعد انقضاء الفداء مدة ستة أشهر، لأجل من تخلف في أيدي الروم من المسلمين، حتى جمع الأسارى لهم الفداء الثاني عشر: فداء ابن حمدان في خلافة المطيع باللامس في شهر ربيع الأول سنة 335 والملك على الروم قسطنطين وكان القيم به نصر الثملي أمير الثغور الشأمية من قبل أبي الحسن علي بن عبد الله بن حمدان صاحب جند حمص وجند قنسرين وديار مضر وديار بكر والثغور الشأمية والجزرية وكان عدة من فودي به من المسلمين ألفين وأربعمائة واثنين وثمانين من ذكر وأنثى وفضل للروم على المسلمين قرضاً مائتان وثلاثون، لكثرة من كان في أيديهم، فوفاهم أبو الحسن ذلك وحمله إليهم وكان الذي شرع في هذا الفداء وابتدأ به الإخشيذ محمد بن طغج أمير مصر والشأم والثغور الشأمية، وكان أبو عمير عدي بن أحمد بن عبد الباقي الأذني شيخ الثغر والمنظور إليه منهم قدم إليه إلى دمشق في ذي الحجة سنة 334 ونحن يومئذ بها ومعه يوانس الأنسيبطوس البطريقوس المسدقوس المترهب، رسول ملك الروم في إتمام هذا الفداء، وكان

ذا رأي وفهم بأخبار ملوك اليونانيين والروم، ومن كان في أعصارهم من الفلاسفة، وقد أشرف على شيء من آرائهم والإخشيذ حينئذ شديد العلة فتوفي يوم الجمعة لثمان خلون من ذي الحجة من هذه السنة وسار أبو المسك كافور الإخشيذي بالجيش راجعاً إلى مصر، وحمل معه أبا عمير والمسدقوس إلى بلاد فلسطين، فدفع إليهما ثلاثين ألف دينار من مال هذا الفداء، وصارا إلى مدينة صور فركبا في البحر إلى طرسوس فإلى ما وصلا إليها كاتب بشرى الثملي أمير الثغور الشأمية أبا الحسن بن حمدان ودعا له على منابر الثغور الشأمية، فجد في إتمام هذا الفداء فعرف به ونسب إليه قال المسعودي وهذا آخر فداء كان بين المسلمين والروم إلى وقتنا المؤرخ به كتابنا، وقد ذكرت أفدية غير هذه لم نجد لها حقيقة؛ لا اشتهر أمرها، ولا استفاض خبرها منها فداء كان في أيام المهدي على يد المعروف بالنقاش الأنطاكي، ومنها فداء كان في أيام الرشيد في شوال سنة 181 على يد عياض بن سنان أمير الثغور الشأمية، وفداء كان على يد ثابت بن نصر في أيام الأمين في ذي القعدة سنة 194، وفداء كان في أيام المأمون في ذي القعدة سنة 201 على يد ثابت أيضاً، وفداء كان في أيام المتوكل سنة 247 على يد محمد بن علي، وفداء كان في أيام المعتمد في شهر رمضان سنة 258 على يد شفيع ومحمد بن علي والصحيح منها والمعول عليه هو ما رسمناه دون ما عداه، وقد ذكرنا في كتاب فنون المعارف، وما جرى في الدهور السوالف وفي كتاب الاستذكار، لما جرى في سالف الأعصار شرح هذه الأفدية ومن حضرها وكيفية وقوعها ومن ترسل فيها وتوسطها بين المسلمين والروم وشروطها ومقادير النفقات فيها وهدنها وما كان بين المسلمين والروم من المغازي في البر والبحر من الصوائف والشواتي والربيعيات وما جرى بين الروم وبرجان والبرغر والترك وغيرهم من الوقائع المشهورة والحروب المذكورة، وغير ذلك فلنذكر الآن جامع تاريخ العالم والأنبياء والملوك وما اتصل بذلك

ذكر تأريخ الأمم والأنبياء والملوك

وجامع تأريخ العالم من آدم إلى نبينا صلّى الله عليه وعلى آله، وما اتصل بذلك

ليس أمة من الأمم من الشريعيين وغيرهم ممن سلف وخلف إلا ولها تأريخ ترجع إليه وتعول عليه في أكثر أمورها ينقل ذلك خلف عن سلف وباق عن ماض إذ كان به تعرف الحوادث العظام، والكوائن الجسام، وما كان في الأزمان الماضية، والدهور الخالية، ولولا ضبط ذلك وتقييده لانقطعت الأخبار ودرست الآثار وجهلت الأنساب، ولذلك أخذ الإسكندر أهل مملكته بتقييد أيامه وحفظ تأريخه وسيره، لكيلا يضيع ما بان من أمره وحمد من سعيه، ولا يجهل كثرة من ناصب من الأعداء وقتل من الملوك، ووطئ من البلاد، وحوى من المملكة لعلمه بما يلحق كثيراً من الناس من التواني عن نقل الأخبار وتقييد السير والآثار، وإعراضهم عن ذلك إيثاراً للدعة وميلاً إلى التخفيف. واحتذى فعله أردشير بن بابك لما قتل ملوك الطوائف واستوسقت له الأمور، وانقاد الناس إلى طاعته؛ قام بضبط سيرته وعهوده وأيامه وحروبه، إلا أنه طرح ما كان قبل ذلك وتناساه، لكي يكون الذكر لأيامه وسيرته، فضبط ذلك ضبطاً شديداً إلى يزدجرد بن شهريار آخر ملوكهم فكانت الأمم السالفة والأجيال الخالية والقرون الماضية تؤرخ الكوائن العظام والأحداث الكبار عندها، وتملك الملوك فمن أقر بالطوفان من الأمم كانوا يؤرخون به ثم أرخوا العام بتبلبل الألسن بإقليم بابل فأما المجوس فلإنكارهم كون الطوفان المستولي على جميع الأرض أرخوا بكيومرت كلشاه معنى ذلك ملك الطين، وهو عندهم آدم أبو البشر واصل النسل وإليه ترجع الفرس في أنسابها على ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب في آخر ملوك الفرس وطبقاتهم مجملاً، وفي غيره من كتبنا مفسراً مشروحاً ثم أرخوا بقتل داريوس الملك وظهور الإسكندر الملك، ثم أرخوا بظهور أردشير بن بابك وجمعه الملك واستيلاءه على ملوك الطوائف، ثم أرخوا بملك يزدجرد بن شهريار بن كسرى أبرويز بن هرمز بن خسرو أنوشروان بن قباذ الملك وهو آخر ملوكهم إلى هذا الوقت وأول سنته يوم الثلاثاء وكان سوالف اليونانيين والروم والنبط وهم السيانيون يؤرخون بملوك لهم متقدمين وكوائن وأحداث، ثم أرخوا بسني الإسكندر بن فيلبس، فاستقر تاريخهم على ذلك إلى هذا الوقت وقد تنوزع في مبدأ تاريخ الإسكندر فمنهم من رأى أن ذلك من ابتداء ملكه منهم من رأى ذلك من

أول السنة السابعة من ملكه حين خرج عن بلاد مقدونية إلى ناحية المغرب وغيرها من بلاد الإفرنجية، ومنهم من رأى ذلك من غلبته على إقليم بابل وقتله دارا بن دارا ومنهم من رأى أن ذلك من وفاته ومن آدم إلى ملك الإسكندر خمسة آلاف سنة ومائة وإحدى وثمانون سنة، وقيل خمسة آلاف سنة ومائتان وتسع وخمسون سنة، وبين الطوفان إلى ملكه ألفان وتسعمائة وخمس وعشرون سنة، ومن فالغ بن عابر إلى ملكه ألفان وثلاثمائة وأربع وتسعون سنة، ومن إبراهيم إلى ملكه ألف وثمانمائة وثلاث وخمسون سنة، ومن خروج بني إسرائيل من مصر إلى ملكه ألف وثلاثمائة وست وأربعون سنة، ومن ملك داود إلى ملكه سبعمائة سنة وأربعون سنة، ومن سبي بخت نصر لبني إسرائيل إلى ملكه مائتان وثلاث وستون سنة وقد ذهب قوم إلى أن من ابتداء ملك بخت نصر إلى غلبة الإسكندر لدارا أربعمائة سنة وتسع وعشرون سنة وثلاثمائة سنة وخمسون يوماً، ومنهم من رأى أن ذلك مائتا سنة وتسع وثمانون سنة، ومن الإسكندر إلى صلب إيشوع عند النصارى ثلاثمائة واثنتان وأربعون سنة، ومن الإسكندر إلى هذا الوقت الذي ألف أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي فيه الكتاب وهو سنة 345 للهجرة ألف سنة ومائتا سنة وثمان وستون سنة وكانت القبط بأرض مصر تؤرخ بأول السنة التي ملك فيها بخت نصر وأولها يوم الأربعاء، وقد ذكر ذلك أبطلميوس في كتاب المجسطي فأما تاريخهم في زيجه فمن أول سني فيلبس أبي الإسكندر وأول سنته يوم الأحد وبين تاريخ فيلبس وتاريخ الإسكندر اثنتا عشرة سنة وعشرة أشهر وعشرون يوماً، ثم أرخوا بملك دقلطيانوس الملك، الملك القبطي لعظم ملكه، واستقر تاريخهم على ذلك إلى هذه الغاية

وبين تاريخ بخت نصر وتاريخ يزدجرد ألف وثلاثمائة وتسع وسبعون سنة فارسية وثلاثة أشهر، وبين تأريخ فيلبس وتاريخ يزدجرد تسعمائة وخمس وخمسون سنة وثلاثة أشهر، وبين تأريخ الإسكندر وتأريخ يزدجرد تسعمائة سنة واثنتان وأربعون سنة من سني الروم ومائتان وخمسون يوماً، وبين تأريخ الهجرة وتاريخ يزدجرد من الأيام ثلاثة آلاف يوم وستمائة

وأربعون وعشرون يوماً، فأول هذه التواريخ تاريخ بخت نصر، ثم تأريخ فيلبس، ثم تاريخ الهجرة، ثم تاريخ يزدجرد. كذلك ذكر محمد بن كثير الفرغاني في كتاب الثلاثين فصلاً الذي فيه ناكر جوامع المجسطي لأبطلميوس وغيره من أصحاب الزيجة من النجوم والقوانين؛ كالفزاري، ويحيى بن أبي منصور، والخوارزمي، وحبش، وما شاء الله، ومحمد بن خالد المروروذي، وأبي معشر جعفر بن محمد البلخي، وابن الفرخان الطبري، والحسن بن الخطيب، ومحمد بن جابر البتاني، والنيريزي، وغيرهم ممن تقدم وتأخر وكان الإسرائليون يؤرخون بوفاة إسرائل وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، ثم بخروجهم من أرض مصر مع موسى، وكان دخول إسرائل إلى مصر وولده الأسباط وأولادهم وهم سبعون نفساً حين قصدوا يوسف، فكان مقامهم بمصر إلى أن خرجوا عنها مع موسى إلى التيه مائتي سنة وسبع عشرة سنة يتداولهم ملوك مصر، وأحصاهم موسى وهارون في التيه، فكان من يصلح لحمل السلاح والقتال منهم من ابن عشرين سنة فصاعداً سوى سبط لاوي ستمائة ألف وثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسة وخمسين نفساً، وأحصى سبط لاوي بن يعقوب وهو ابن سبطها من ابن شهر إلى فوق فكانوا اثنين وعشرين ألفاً ومائتين وثلاثة وسبعين، فجميع بني إسرائيل على ما أحصينا ستمائة وخمسة وعشرون ألفاً وثمانمائة وثلاثة وعشرون ألفاً وكانت وفاة موسى وهارون وأختهما مريم بالتيه في سنة واحدة لتمام أربعين سنة لهم في التيه، وهم لأم واحدة اسمها أماحية ماتت أولاً مريم أختهما في ستة أيام من نيسان ولها مائة وسبع وعشرون سنة ومات هارون في أول يوم من آب ودفن في جبل هور وهو واحد الأطوار الأربعة المقدم ذكرها وله مائة وثلاث وعشرون سنة، ومات موسى في سبعة أيام من آذار في أرض موآب ودفن في الوادي من أرض موآب وله مائة وعشرون سنة وتولى الأمر بعد موسى يوشع بن نون، وحارب ملوك الشأم وغيرها واستولى على أكثر البلاد، فأقام ست سنين ومات وله مائة وعشرون سنة، ودبر الأمر بعده فينخاس بن إلعازر بن هارون وما كان كاهناً، الإسرائيليون يذكرون أنه النبي الذي تسميه المسلمون الخضر، والفرس تزعم أن الخضر هو أحد السبعة بني منوشهر على ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب،

ولأهل الشرائع وغيرهم من أصحاب التأويل في وقتنا هذا فيه كلام طويل يطول ذكره، فكان من إبراهيم إلى خروج بني إسرائل من مصر خمسمائة وسبع وستون سنة، ومن الطوفان إلى خروجهم ثلاثة آلاف وثمانمائة وخمس وثلاثون سنة، ثم أرخوا بإخراب بخت نصر أورشلم وهي بيت المقدس وسبيهم إلى بابل، وكان من ابتداء ملك بخت نصر إلى ظهور الإسرائيليين وسبيهم إحدى وثلاثون سنة وأربعة وثلاثون يوماً، ومن ملك داود إلى سبي بابل أربعمائة سنة وسبع وسبعون سنة، ومن خروج بني إسرائيل من مصر إلى سبيهم ألف وثلاث وثمانون سنة، ومن إبراهيم إلى سبيهم ألف وخمسمائة وتسعون سنة، ومن فالغ بن عابر إلى سبيهم ألفان ومائة وإحدى وثلاثون سنة، ومن الطوفان إلى سبيهم ألفان وستمائة اثنتان وستون ومن آدم إلى سبيهم أربعة آلاف وتسعمائة وثماني عشرة سنة، وكان مقامهم ببابل سبعين سنة إلى أن ردهم بهمن بن أسفنديار بن كيبشتاسب بن كيلهراسب إلى أورشلم، وأمر بعمارتها، والإسرائيليون وكثير من الناس يسمونه كورش، وغير ذلك من الكوائن التي كانت فيهم وكذلك أرخت النصارى من مولد المسيح وغير ذلك من أحواله وأما الهند والصين ومن وافقهم من الأمم قال بقدم العالم وأزليته فيأبون كون الطوفان عم جميع الأرض وما ذكر من تبلبل الألسن، وتواريخهم موضوعة على سوالف ملوكهم وأحداث عظيمة كانت في أيامهم يبعد علينا في هذا الكتاب وصفها، وقد قدمنا فيما سلف من كتبنا شرحها

وبأعالي الهند ومشارقها البيت المعروف ببيت الذهب بدء تاريخهم بعد ظهور البدّ الأول فيهم وهو اثنا عشر ألف عام مضروبة في ثلاثة وثلاثين ألف عام وهو البيت الذي دخله الإسكندر بن فيلبس الملك حين قتل فور ملكهم، وكتب بخبره إلى أرسطاطاليس وما شاهد منه من العجائب، فأجابه أرسطاطاليس بالرسالة المعروفة برسائل بيت الذهب التي أولها: إلى الإسكندر ملك ملوك الأمم من عبده أرسطاطاليس، أما بعد؛ كتبت إلى تذكر الذي أعجبك من بنيان بيت الذهب بالهند، وما ذكرت أنك رأيت فيه من العجائب والبنيان

الشامخ المزخرف بأنواع الجوهر، وما يونق العين من الذهب الأحمر، حتى قد بهر العيون منظرهوسار في الأمم ذكره، وقد كتبت إليه أيها الملك أصونك لمعرفتك بالأمور السابقة العليا والأرضية السفلى؛ أن يعجبك شيء صنعته الأيدي المنينة بالحكمة في الأيام القصيرة، ومدة الزمان اليسيرة، ولكني أرضى لك أيها الملك أن ترفع نظرك إلى ما فوقك وتحتك وعن يمينك وشمالك من السماء والصخور والجبال والبحور، وما في ذلك من العجائب الغامضة الظاهر والبنيان الشامخ الذي لا ينحته الحديد ولا يثلمه المجانيق، ولا يعمله الأجساد المخلخلة الضعيفة في المدة المنقطعة – ثم مر في إتمام الرسالة في وصف الأرضين والبحار والأفلاك والنجوم والآثار العلوية وغير ذلك مما يحدث في الجو مما قد ذكرناه مع رسائل أرسطاطاليس إلى الإسكندر في السياسات الديانية والملوكية وغير ذلك في كتاب فنون المعارف، وما جرى في الدهور السوالف وهذه الرسالة مستفيضة في أيدي الناس وكانت العرب قبل ظهور الإسلام تؤرخ بتواريخ كثيرة؛ فأما حمير وكهلان ابنا سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بأرض اليمن، فإنهم كانوا يؤرخون بمولكهم السالفة من التبابعة وغيرهم، كملك تبع الأكبر وتبع الأصغر وتبع ذي الأذعار وتبع ذي المنار، وأرخوا بنار صوران وهي نار كانت تظهر ببعض الحرار من أقاصي بلاد اليمن أحدها حر والتي يقال إن الحبرين الذين قدم بهما تبع أبو كرب من المدينة إلى ايمن حاكماً أهل اليمن إليها، وكان ذلك سبب تهود كثير من أهل اليمن وذلك مشهور في أخبارهم، وأرخوا بعث شعيب بن مهذم وملك ذي نواس وملك جذيمة بن مالك بن فهم بن غنم الدوسي وملك آل أبي شمر من غسان بالشام، وأرخوا بعام السيل وهو سيل العرم الذي ذكره الله عز وجل في القرآن وخروج عمرو بن مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس ابن ثعلبة ابن مازن بن الأزد من مأرب جماع غسان في قومه من الأزد وغيرهم من كهلان وحمير وتفرقهم في البلاد، ثم أرخوا بظهور الحبشة على اليمن ثم غلبت الفرس على اليمن، وإزالة الحبشة إلى أن جاء الله بالإسلام فأما تاريخ ولد معد بن عدنان فإنهم كانوا يؤرخهم بغلبة جرهم العماليق وإخراجهم إياهم عن الحرم، ثم أرخوا بهلاك جرهم في الحرم. ثم أرخوا بعد

ذلك بعام التفرق، وهو العام الذي افترق فيه ولد نزار بن معد بن عدنان من ربيعة ومضر وإياد وأنمار على ما في ذلك من التنازع في نسبة إياد وأنمار إلى نزار على ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب، ثم أرخوا بعد ذلك بعام الفساد وهو عام وقع فيها بين أحياء العرب وقبائلها التنازع والحروب فاستبدلوا الديار وتنقلوا في المساكن وأرخوا بحجة الغدر وكانت قبل الإسلام بنحو من مائة وخمسين سنة وكان سببها أن أوساً وحصبة بني أزنم بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار خرجا في عدة من قومهما حجاجاً فلقوا بأنصاب الحرم أناساً من اليمن معهم كسوة للكعبة ومال للسدنة حمل ذلك بعض ملوكم فقتلوهم وأخذوا ما كان معهم ودخلوا مكة فلما كان في أيام منى فشا الخبر بالناس فوثب بهم وتحزب معهم قوم فانتبهت الناس بعضهم بعضاً فسميت حجة الغدر وأرخوا بالحرب بين ابني وائل بكر وثغلب المعروفة بحرب البسوس وكان الذي هاجها قتل جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب ابن علي بن بكر بن وائل كليباً، وهو وائل بن ربيعة بن الحارث لقتل كليب ناقة يقال لها سراب لجار لخالة جساس وهي البسوس ابنة المنقذ التميمية ثم السعدية من قضاعة من بني حرم وأرخوا بحرب بني بغيض بن ريث بن غطفان المعروفة بحرب داحس والغبراء، وذلك قبل البعث بنحو من ستين سنة

وبحرب الأوس والخزرج ابني حارث بن ثعلبة وهو العنقاء، وإنما سمي العنقاء لطول عنقه، ابن عمر وهومزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف ابن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة البهلوان بن مازن بن الأزد وهو درّ ابن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وهما أخوان لأب ولأم نسبا إلى أمهما قيلة بنت جفنة بن عتبة بن عمرو، ونساب قضاعة يذكرون أنها قيلة بنت كاهل بن عذرة بن سعد بن زيد بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة وأرخوا بعام الخنان وهو عام شمل أكثر الناس فيه الخنان قال النابغة الجعدي

فمن يك سائلاً عني فإني ... من الفتيان في عام الخنان

وذهب أبو جعفر محمد بن حبيب في آخرين إلى أنه سمي عام الخنان، أن بني عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر هوازن كانت لهم وقعة مع بعض العرب فلم يصل بعضهم إلى بعض من كثرة الحديد، فقال قائل يا بني عامر خنوهم بالسيوف فلقب ذلك عام الخنان

قال المسعودي: وكانت كل قبيلة من قبائل العرب تؤرخ بيوم من أيامها المشهورة في حروبها فكانت بكر وتغلب ابنا وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار تؤرخ بعام التحالق من إلى حرب البسوس أيام حروبهم المنسوبات وفزارة وعبس ابنا بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان ابن مضر بن نزار يؤرخون بيوم الجبلة، وهو اليوم الذي ظهرت فيه عبس على فزارة وقتل حذيفة وحمل ابنا يدر وغيرهما وبنو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن يؤرخون بيوم شعب جبلة، وكان قبل الإسلام بنيف وأربعين سنة بين بني عامر وأحلافها من عبس وبين من سار إليهم من تميم وعليهم حاجب ولقيط ابنا زرارة بن عدس بن زيد ابن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد بن مناة بن تميم بن مر ابن أد بن طابخة بن إلياس، وهو خندف بن مضر بن نزار ومن عاضدهما من اليمن مع ابني الجون الكنديين المالكيين وفي ذلك يقول جرير

كأنك لم تشهد لقيطاً وحاجباً ... وعمرو بن عمرو إذ دعا بآل دارم

ولم تشهد الجونين والشعب ذا الصفا ... وشدات قيس يوم دير الجماجم

وإياد تؤرخ بخروجها عن تهامة وحروبها مع فارس الحرب المعروفة بوقعة دير الجماجم، وبتلك الوقعة سمي الدير لكثرة الجماجم على السواد، وذلك في ملك سابور بن سابور ذي الأكتاف ملك فارس، وفي ذلك يقول الشاعر، شاعر إياد

على رغم سابور بن سابور أصبحت ... قباب إياد حولها الخيل والنعم

وقد ذكر ذلك أبو داود الإيادي فقال

ألا أبلغ خزاعة أهل مر ... وإخوتهم كنانة عن إياد

تركنا دارهم لما ثرونا ... وكنا أهلها من عهد عاد

وأسهلنا وسهل الأرض يخشى ... بجرد الخيل تعشقه القياد

فنازعنا بني الأحرار حتى ... علفنا الخيل من خضر السواد

ثم أرخوا بخروجهم عن العراق إلى الجزيرة حين أوقع بهم سابور، وكان لقيط الإيادي كتب إليهم وهو في حبس الملك ينذرهم ويحذرهم بقصيدته التي أولها:

يا دار عمرة من تذكارها الجزعا ... هيجت لي الهم والأحزان والوجعا

ألا تخافون قوماً لا أبا لكم ... أمسوا إليكم كأمثال الدبا سرعا

أحرار فارس أبناء الملوك لهم ... من الجموع جموع تلقط السلعا

ولذلك قال مرة بن محكان السعدي حين وجه معاوية عامر بن الحضرمي إلى البصرة فنزل في تميم يدعوهم إلى أخذ البصرة والوثوب بزياد خليفة عبد الله بن عباس على البصرة وقد سار ابن عباس إلى علي عليه السلام بالكوفة فقال مرة مخوفاً لقومه زاجراً لهم:

قلت والليل مطبق بغراه ... أرقب النجم لا أحس رقادا

إن حياً يرى الصلاح فساداً ... ويرى الغي في الأمور رشادا

لقريب من الهلاك كما أه ... لك سابور بالعراق إيادا

في كلمة طويلة ثم أرخوا بعام الانتقال من ديارهم إلى بلد الروم وآخر من دخل منهم إلى هناك من أرض الجزيرة والموصل في خلافة عمر بن الخطاب نحو من أربعين ألفاً كانوا عل النصرانية وأنفوا من الجزية حين أخذوا بها وتميم تؤرخ بعام الكلال وهي الحرب التي كانت بين ربيعة وتميم

وأسد وخزيمة تؤرخ بعام مأقط الذي قتلوا فيه الملك حجر بن الحارث بن عمرو آكل المرار الكندي أبا امرئ القيس وفي ذلك يقول امرؤ القيس حين بلغه قتله

أرقت لبرق بليل أهل ... يلوح سناه بأعلى الجبل

بنو أسد قتلوا ربهم ... ألا كل شيء سواه جلل

والأوس والخزرج ابنا حارثة تؤرخ بعام الآطام لما تحاربوا على الآطام وهي الحصون والقصور وذهب الأصمعي في آخرين من أهل اللغة إلى أنها الدور المسطحة السقوف، وكانت الأوس والخزرج تتمنع بها فأخربت في أيام عثمان بن عفان ورسومها باقية إلى وقتنا هذا.

قال قيس بن الخصيم بن عدي بن عمرو بن سواد ابن ظفر الأوسي يذكر الآطام في قصيدته التي يذكر فيها يوم بعاث وهو أحد الأيام المشهورة بين الأوس والخزرج أولها:

أتعرف رسماً كاطراد المذاهب ... لعمرة وحشا غير موقف راكب

وقال:

فلولا ذرى الآطام قد تعلمونه ... وترك الفضاشور كتم في الكواعب

وطئ وحليمة واسمه مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد ابن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان تؤرخ بعام الفساد وهي الحرب التي كانت بين الغوث بن طيء وجديلة بن سعد بن فطرة بن طيء بجبلي طيء أجأ وسلمى وما يلي ذلك من السهل، دامت هذه الحرب بينهم ثلاثين ومائة سنة وفيها ولد - فيما ذكرك الهيثم بن عدي الطائي - حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس بن عدي ابن أبي أخزم بن ربيعة بن جرول بن ثعل ابن عمرو بن الغوث بن طيء، وأوس بن حارثة بن لأم بن طريف من بني مازن ابن جندب بن خارجة بن سعد بن فطرة بن طيء، وزيد الخيل بن مهلهل بن زيد ابن منهب بن عبد رضا بن المختلس بن ثوب بن كنانة بن عدي بن مالك بن نابل بن نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيء، وقد ذكرنا حاتماً وكان اعتزل حربهم حين تطاولت ولحق ببني بدر بن عمرو بن جوية بن لوذان بن ثعلبة بن عدي بن فزارة فنزل عليهم وقال يمدحهم

إن كنت كارهة لعيشتنا ... هاتي فحلي في بني بدر

جاورتهم زمن الفساد فنع ... م الحي في السراء والضر

وفي تلك الحروب تفرق السلميون من طيء فلحقوا بحاضر قنسرين من أعمال حلب إلى هذا الوقت وخالطوا الأسباط وغيرهم وتزوجوا فيهم، ومن لزم جبلي طيء أجأ وسلمى

يقال لهم الأجئيون ولم يزل من وصفنا من قبائل العرب يؤرخون بالأمور المشهورة من موت رؤسائهم ووقائع وحروب كانت بينهم إلى أن جاء الله بالإسلام فأجمع المسلمون على التأريخ من الهجرة على ما نحن ذاكروه فيما يرد من هذا الكتاب في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد ذهب قوم من أصحاب السير والآثار إلى أن آدم لما هبط من الجنة وانتشر ولده أرخ بنوه من هبوطه، فكان ذلك هو التاريخ حتى بعث الله نوحاً فأرخوا من مبعثه حتى كان الطوفان فكان التاريخ منه إلى نار إبراهيم، فلما كثر ولد إبراهيم افترقوا فأرخ بنو إسحاق من نار إبراهيم إلى يوسف، ومن يوسف إلى مبعث موسى ومن مبعث موسى إلى ملك داود وسليمان، وما كان بعد ذلك من الكوائن والأحداث وأرخ بنو إسماعيل من بناء البيت حين بناه إبراهيم وإسماعيل فلم يزالوا يؤرخون بذلك حتى تفرقت معد، وكان كلما خرج قوم من تهامة أرخوا بمخرجهم، ومن بقي بتهامة من بني إسماعيل يؤرخون بخروج آخر من خرج منها من قضاعة وهم سعد ونهد وجهينة بنو زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة حتى مات كعب بن لؤي فأرخوا من موته إلى الفيل، ومنهم من كان يؤرخ بيوم الفجار بين قريش وسائر كنانة بن لؤي، وبين قيس ابن عيلان لما قتل البراض بن قيس بن رافع الضمري ضمرة بكر بن عبد مناة بن كنانة عروة الرحال بن جعفر بن كلاب واحتوى على اللطيمة التي كانت معه للنعمان بن المنذر، فاقتتلت قيس وكنانة قتالاً شديداً فكان الظفر لكنانة على قيس وحضر هذا الفجار رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وله عشرون سنة، وإنما سمي الفجار لأنهم تفاجروا فيها واقتتلوا في الأشهر الحرم وهو من أيام العرب المذكورة، وفي ذلك يقول خداش بن زهير العامري

فلا تدعوني بالفجار فإنه ... أحل ببطحاء الحجون المحارما

وقال في ذلك أبو أسماء الضريبة النصري نصر بن سعد بن بكر بن هوازن

نحن كنا الملوك من أهل نجد ... وحماة الذمار عند الدمار

ومنعنا الحجاز في كل حي ... فمنعنا الفجار يوم الفجار

والفجار أربعة الأول يعرف بفجار الرجل وهو بدر بن معشر الضمري والثاني الفجار المعروف بالرباح وهو القرد، والثالث فجار المرأة القيسية، والرابع فجار البراض وهو أعظمها ومنهم من كان يؤرخ بحلف الفضول، وكان بعد منصرفهم من الفجار لأجل رجل من بني زبيد وجماع بني زبيد منبه بن صعب بن سعد العشيرة بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان باع سلعة له من العاص بن وائل السهمي فدافعه الثمن فلما آيس علا على أبي قبيس فنادى

يا للرجال لمظلوم بضاعته ... ببطن ملة نائي الحي والنفر

إن الحرام لمن تمت حرامته ... ولا حرام لثوبي لابس الغدر

فاجتمعت بنو هاشم ونبو المطلب ابني عبد مناف وزهرة بن كلاب وتيم بن مرة وبنو الحارث بن فهر فتحالفوا في دار عبد الله بن جدعان التيمي ليكونن مع المظلوم حتى ينصف، فسمته قريش حلف الفضول، وفي ذلك يقول الزبير بن عبد المطلب بن هاشم

حلفت لنعقدن حلفاً علينا ... وإن كنا جميعاً أهل دار

نسميه الفضول إذا عقدنا ... يعز به الغريب لدى الجوار

ويعلم من حوالي البيت أنا ... أباة الضيم نهجر كل عار

قال النبي صلّى الله عليه وسلّم بعد مهاجرته إلى المدينة " لقد شهدت حلفاً في دار عبد الله بن جدعان لو دعيت إلى مثله لأجبت وما زاده الإسلام إلا تشديداً " فأما حلف المطيبين فهو قبل حلف الفضول وكان سببه فيما ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتاب مناقب قريش وفضائلها أن قصي بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤي كان جعل إلى ابنه عبد الدار الحجابة ودار الندوة واللواء وجعل إلى ابنه عبد مناف السقاية والرفادة فلما كثرت بنو عبد مناف في الجاهلية قالوا نحن أحق باللواء والحجابة والندوة من بني عبد الدار، فتفرقت عند ذلك قريش وعبد الله بن جدعان التيمي حي، وقال بعضهم والله لا يرد أمر قصي فنصرت بنو مخزوم وجمح وسهم وعدي بني عبد الدار وتحالفوا عند الكعبة

فسموا الأحلاف فلما رأت ذلك بنو عبد مناف حالفوا بني أسد بن عبد العزى وبني زهرة بن كلاب وبني تيم بن مرة وبني الحارث بن فهر فتحالفوا في دار عبد الله بن جدعان وجاءهم عبد الله بآنية فيها طيب فغمسوا أيديهم فيها، ويقال أخرج إليهم الطيب إحدى بنات عبد المطلب، ويقال إنهم وضعوا الطيب في المسجد وغمسوا أيديهم فيه ثم مسحوا الكعبة، فسموا أولئك الأحلاف، وهؤلاء المطيبين. قال عمر بن أبي ربيعة المخزومي، ويقال عبيد الله بن قيس الرقيات يذكر المطيبين والأحلاف

ولها في المطيبين جدود ... ثم نالت ذوائب الأحلاف

إنها بين عامر بن لؤي ... حين تدعى وبين عبد مناف

وبعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وقريش تؤرخ بموت هشام بن المغيرة المخزومي والفيل وقد ذكر للإبراهيميين تواريخ كثيرة منها التاريخ بوفاة إبراهيم ثم بوفاة إسحاق وفي الإسماعيليين من كان يؤرخ بوفاة إسماعيل وغير ذلك مما قدمنا فيما سلف من كتبنا شرحه فكان من آدم إلى الطوفان فيما ذكر أهل الكتب ألفان ومائتان واثنتان وأربعون سنة، ومن الطوفان إلى تبلبل الألسن بأرض بابل ستمائة وسبعون سنة، ومن تبلبل الألسن إلى ولادة إبراهيم أربعمائة وإحدى عشرة سنة، ومن ولادة إبراهيم إلى وفات موسى عليه السلام خمسمائة وخمس وأربعون سنة، ومن وفاة موسى إلى ابتداء ملك بخت نصر تسعمائة وثمان وسبعون سنة ومائتاً وستة وأربعون يوماً، ومن ابتداء ملكه إلى أن ظهر على بني إسرائيل فسباهم إلى بابل إحدى وثلاثون سنة وأربعة وثلاثون يوماً، فمن وفاة موسى إلى سبي بخت نصر لبني إسرائيل ألف سنة وتسع سنين واثنان وثلاثون يوماً، ومن سبي بخت نصر لبني إسرائيل إلى ولادة المسيح عليه السلام تسعمائة سنة وثمان سنين وسبعة وثلاثون يوماً، ومن ولادة المسيح إلى هجرة نبينا صلّى الله عليه وسلّم ستمائة سنة وتسع وعشرون سنة وثلاثمائة وأحد وستون يوماً، فذلك سبعة آلاف سنة وثلاثمائة وثلاث وعشرون سنة وأحد عشر شهراً وعشرة أيام

وذهب آخرون من أصحاب التواريخ إلى أن من آدم إلى ابتداء ملك بخت نصر أربعة آلاف وثمانمائة سنة وأربعين وسنة ومائتين وثمانية وأربعين يوماً بالسنين الفارسية التي هي ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وربع ومن ابتداء ملك بخت نصر إلى غلبة الإسكندر لدارا بن دارا أربعمائة وتسع وعشرين سنة وثلاثمائة وتسعة وعشرون يوماً، ومن غلبة الإسكندر إلى قيام أردشير بن بابك خمسمائة سنة وإحدى عشرة سنة ومائتان وستة وستون يوماً، وهذه هي مدة ملوك الطوائف عند هؤلاء ومن قيام أردشير إلى ابتداء تاريخ يزدجرد أربعمائة وسبع وثلاثون سنة وثمانية وعشرون يوماً فمن آدم عليه السلام إلى ابتداء ملك يزدجرد ستة آلاف سنة ومائتان وخمس وعشرون سنة وثلاثمائة وثمانية وثلاثون يوماً الباقي إلى تمام سبعة آلاف سنة للعالم سبعمائة سنة وأربع وسبعون سنة وستة وعشرون يوماً وجملة السنين من هبوط آدم عليه السلام من الجنة إلى هجرة النبي صلّى الله عليه وسلّم على ما توجبه التوراة التي نقلها، لأبطلميوس الملك إلى اللغة اليونانية، اثنان وسبعون حبراً من أحبار اليهود بالإسكندرية من أرض مصر، وأجمعوا على صحتها على ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب، في أخبار ملوك اليونانيين ستة آلاف سنة ومائتان وست عشرة سنة وبين هذه السنين وما يوجبه حساب التوراة العبرانية تفاوت كثير وكذلك نسخة التوراة التي بأيدي السامرة، وهم الكوشان والدوستان من اليهود بأرض فلسطين والأردن بينها وبين هاتين أيضاً تفاوت بعيد، وقد ذكر عدة من مستأخري أصحاب السير والتواريخ؛ أن من آدم إلى نوح ألف سنة ومائتي سنة، ومن نوح إلى إبراهيم ألف سنة ومائة سنة وثلاثاً وأربعين سنة، ومن إبراهيم إلى موسى خمسمائة سنة وخمساً وسبعين سنة، ومن موسى إلى داود خمسمائة سنة وتسعاً وسبعين سنة، ومن وفاة موسى إلى ملك الإسكندر ألف سنة وأربعمائة سنة وسبع سنين، ومن داود إلى عيسى ألف سنة وثلاثاً وخمسين سنة، ومن عيسى إلى نبينا محمد صلّى الله عليه وسلّم ستمائة سنة قال المسعودي: وفيما ذكرنا تنازع كثير بين الأسلاف والأخلاف من الأمم ومن عني بتواريخ الأنبياء والملوك، قد أتينا على جميع ما قيل في ذلك في كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر وفي كتاب فنون المعارف، وما جرى في

الدهور السوالف وفي كتاب الاستذكار، لما جرى في سالف الأعصار وغيره، وإنما نذكر في هذا المختصر لمعاً وجوامع استذكاراً لما تقدم من كتبنا فلنذكر سني الأمم الشمسية والقمرية وشهورها وكبسها ونسيئها، لاتصال ذلك بما ذكرناه والحاجة الداعية إلى معرفته

ذكر جمل من الكلام في سني الأمم وشهورها

وكبسها ونسيئها وما اتصل بذلك

جميع ما تؤرخ به الأمم من السنين شمسية على ذلك عمل سائرهم من السريانيين والفرس واليونانيين والروم والقبط والهند والصين، إلا العرب والإسرائليين ومقدار سنتهم الشمسية من الزمان ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وربع يوم، وعلى التحقيق وجزء من ثلاثمائة جزء من يوم، ومراعاتهم في ذلك ابتداء سير الشمس من نقطة الاعتدال الربيعي إلى عودها إليها، وهم مجمعون على أن شهور سنتهم اثنا عشر شهراً، وإن كانت عدتها مختلفة ولذلك احتاجوا إلى كبس أيام لتتمة مدة السنة فشهور اليونانيين والروم التي غلب عليها تسمية السريانيين إياها لموافقتهم إياهم عليها، أولها تشرين الأول وهو أحد وثلاثون يوماً، تشرين الثاني ثلاثون يوماً، كانون الأول أحد وثلاثون يوماً، وليلة خمسو عشرين منه ليلة الميلاد، كانون الثاني أحد وثلاثون يوماً، شباط ثمانية وعشرون يوماً وربع، يعد ثلاث سنين متواليات ثمانية وعشرون يوماً وفي السنة الرابعة تجبر الكسور فيعد تسعة وعشرون يوماً، فتسمى تلك السنة كبيسة بسبب زيادة ذلك اليوم، آذار أحد وثلاثون يوماً، نيسان ثلاثون يوماً، أيار أحد وثلاثون يوماً، حزيران ثلاثون يوماً، تموز أحد وثلاثون يوماً، آب أحد وثلاثون يوماً، أيلول ثلاثون يوماً، فلذلك ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وربع يوم

فأما شهور الفرس فأولها فرودين ماه أول يوم منه النوروز معنى ذلك بالفارسية اليوم الجديد، لأن الجديد في لغتهم نو واليوم روز وهو أعظم الأعياد عندهم، أردبهشت ماه، خرداد ماه، تير ماه، مرداد ماه، شهرير ماه، مهر ماه يوم السادس عشر منه المهرجان وبينه وبين النوروز ستة أشهر ونصف تكون أياماً مائة وخمسة وتسعين يوماً، آبان ماه يوم السادس والعشرين

منه تدخل الأيام العشرة المعروفة بالفرودخان منها تمام آبان ماه وخمسة كبيسة لا تعد من الشهور تسمى الأندرجاهان، آذر ماه أول يوم منه ركوب الكوسج بالعراق وغيرها من أرض فارس وذلك من رسوم الفرس في أيام ملوكها، ديماه، بهمن ماه، أسفندرامذ ماه، عدد كل شهر منها ثلاثون يوماً وهي هرمز، بهمن، أردبهشت، شهرير، أسفندارمذ، خرداد، مرداد، ديباذر، آذر، آبان، خور، ماه، تير، جوش، ديبمهر، مهر، أسروش، رشن، فروردين، بهرام، رام، باد، ديبدين، دين، أرد، أشتاد، أسمان، زامياد، مارسفند، أنيران، وليس يتكرر كتكرار أيام الجمعة للعرب فتصير جملتها مع الخمسة أيام الغير معدودة ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً، وكانوا يؤرخون ربع اليوم الذي يجب لتمام السنة إلى مائة وعشرين سنة فيكبسون حينئذ شهراً وإنما امتنعوا من كبس يوم في أربع سنين لأمور ذكروها منها اعتقادهم في أيام شهورهم أنها أسماء ملائكة وكراهيتهم أن يزيدوا فيها ما ليس منها وغير ذلك من الوجوه مما تقدم شرحها فيما ذكرنا من كتبنا، ولما زال ملكهم وفنيت ملتهم، وذهب من كان يكبس ذلك ربع اليوم من ملوكهم انتقلت أيامهم فدار نورزهم في مدة مائتين وخمسين سنة إلى أيام المعتضد نحواً من شهرين وتقدم لذلك استفتاح الخراج عن الوقت الذي يحصل فيه غلال الناس فرده المعتضد في سنة 282 للهجرة نحواً من مدة شهرين وقرره على الشهور السريانية لئلا يعود دورانه إذ كانت محفوظة بالكبس لا يتغير أوقاتها فجعله في اليوم الحادي عشر من حزيران، ونسب إليه فقيل النوروز المعتضدي، وبقي النوروز الفارسي يدور في سائر الفصول الأربعة فيتقدم في كل مائة وعشرين سنة شهراً، وإنما كان موقعه في أول الفصل الصيفي، والمهرجان في أول الفصل الشتوي فأما القبط فيوافقون الفرس في عدد أيام شهورهم وهي ثلاثون يوماً، أول شهورهم توت أول يوم منه النوروز القبطي بأرض مصر، بابه، هتور، كيهك، طوبه، أمشير، برمهات، برموده، بشنس، بؤونه، أبيب، مسرى، وفي آخر مسى تكبس الخمسة أيام المسماة بالقبطية إبغمنا وتعرف باللواحق يفعلون ذلك ثلاث سنين متواليات فإذا كانت السنة الرابعة جعلوا الكبيسة ستة أيام لتنجبر الأرباع من اليوم الواجبة لكل سنة فتحصل أيام سنتهم على الحقيقة ثلاثمائة

وخمسة وستين يوماً وربع يوم فأما العرب فإنها تراعي رؤية الأهلة فتجعل حساب سنتها عليها شهورهم شهر ثلاثون يوماً، وشهر تسعة وعشرون يوماً، فيكون ستة أشهر من السنة تامة وستة ناقصة وأيام سنتهم ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوماً بالحساب المطلق وهو الجليل فأما على التحصيل والتدقيق فإن عدد هذه الأيام للسنة تزيد في كل ثلاثين سنة أحد عشر يوماً تكون حصة السنة والواحدة من ذلك خمساً وسدس يوم فتكون أيام السنة بالحقيقة ثلاثمائة وأربعة وخمسين يوماً وخمساً وسدس يوم والسنة التي ينجبر فيها هذا الكسر تكون شهورها سبعة تامة وخمسة ناقصة وهذا العدد لأيام الشهور هو بالحساب المصحح من اجتماع الشمس والقمر بمسيرهما الأوسط فأما برؤية الأهلة فإنه يختلف بزيادة ونقصان فيمكن أن تكون شهور متوالية تامة وشهور متوالية ناقصة، ولا يكاد يتفق في كل وقت أن يكون أول الحساب بالشهور والرؤية يوماً واحداً إلا أنهما يتساويان على مرور الزمان وأيام العرب التي تعد بها من غروب الشمس وهي الأيام السبعة التي أولها الأحد ابتداؤه من غروب الشمس من يوم السبت وآخره غروبها في يوم الأحد وكذلك سائر الأيام، وإنما جعلوا ابتداء كل يوم بليلته من وقت غروب الشمس لأجل أنها تعد أيام الشهر من وقت رؤية الهلال ورؤية الهلال تكون عند غروب الشمس فأما من سمينا من الأمم ممن لا يراعي في الشهور رؤية الأهلة فإن النهار عندهم قبل الليل وابتداء كل يوم بليلته من وقت طلوع الشمس إلى وقت طلوعها من الغد

قال المسعودي: وقد كان العرب في الجاهلية تنسئ لأجل اختلاف الزمان والمواقيت وما بين السنة الشمسية والقمرية وفيه أنزل " إنما النسيء زيادة في الكفر " وكان المتولون لذلك النسأة من بني الحارث بن كنانة بن مالك ابن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، أولهم أبو ثمامة جنادة بن عوف بن أمية وكان يعرف بالقلمس وبه سمي من بعده من النسأة فقيل القلامس وكانوا ينسئون في كل ثلاث سنين شهراً يسقطونه من السنة ويسمون الشهر الذي يليه باسمه، ويجعلون يوم التروية ويوم عرفة ويوم النحر الثامن والتاسع والعاشر من

ذلك الشهر، فيكون ذلك دائراً في سائر شهور السنة موجباً، وكانوا بذلك مقاربين لغيرهم من الأمم في مدة زمان سنتهم الشمسية. فلم يزالوا على ذلك إلى أن ظهر الإسلام وفتح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مكة فوجه أبا بكر في السنة التاسعة من الهجرة على الموسم فحج بالناس وهي آخر حجة حجها المشركون وكان الحج في تلك السنة يوم العاشر من ذي القعدة ونزلت آيات من سورة براءة فبعث بها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مع علي بن أبي طالب عليه السلام وأمره بقراءتها على الناس بمنى، وكانت الأشهر التي قال " فسيحوا في الأرض أربعة أشهر " عشرين يوماً من ذي القعدة وذا الحجة والمحرم وصفر وعشرة أيام من شهر ربيع الأول، وأمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم علياً عليه السلام بأداء أربع كلمات: " أن لا يحجن بعد هذا العام مشرك، ولا يطوفن بالبيت عريان، ولا يدخل الجنة إلا مسلم، ومن كانت بينه وبين رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مدة فأجله إلى مدته " فلما كان من قابل حج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في ذي الحجة وهي حجة الوداع، وخطب الناس، فقال " ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض السنة اثنا عشر شهراً، منها أربعة حرم: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر بين جمادى وشعبان " هذه حكاية لفظه عليه السلام، ولو عد عاد هذه الأشهر، فبدأ بالمحرم ثم رجب وذي القعدة وذي الحجة لكان ذلك جائزاً، وإنما ذكرنا هذا لأن في الناس من يجعلها من سنتين، والنبي صلّى الله عليه وسلّم إنما قال منها، فدل على أنها من سنة واحدة فأما الإسرائليون: فالأشمعث منهم، وهم الجمهور الأعظم يراعون رؤية الأهلة، وعدد الأشهر. وحصر أيامها ويسمون ذلك العبّور.

ورأيت الأقباط بأرض مصر يسمونه الأفقطي، ومراعاتهم ذلك لأجل عيد الفصح. ثم تنازعوا بعد ذلك فقال فريق من العنانية، وأصحاب عنان بن نبادود، وكان من رؤساء الجوالى بأرض العراق، والقرائية، أنهم لا يوقعون الفصح حتى يتكامل إدراك السنبل ويسمونه أبيب، ومنهم من يقول بالفصح عند إدراك البعض منه لا يراعي الكل قال المسعودي: وقد ذكرنا فيما سلف من كتبنا تنازع من ذكرنا من الأمم في السنين الشمسية والقمرية

وشهورها. وكيفية كبس الأمم ونسيئها، والعلة في ذلك على الشرح والإيضاح، والخلاف بين أبرخس ومتبعيه وأبطلميوس القلوذي في أرصادهما، وطلبهما مقدار سنة الشمس وما ذهب إليه أبرخس من أن ذلك يعلم بوجهين، أحدهما مقارنة الشمس للكواكب الثابتة التي عودتها إليها، فإن مدة ذلك من الزمان ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً، وأقل من ربع يوم.
وما ذهب إليه أبطلميوس من أن الغرض والغاية في علم زمان سنة الشمس حركتها واتبداؤها من نقطة الفلك الخارج المائل حتى يعود إلى تلك النقطة وأن مدة ذلك من الزمان ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً، وربع يوم إلا جزءٌ من ثلاثمائة جزء من يوم علما قلنا، وعليه العمل الأعم في وقتنا هذا.
ومقدار المدة بين رصد أبرخس ورصد أبطلميوس بمدينة الإسكندرية من بلاد مصر، وما بين رصد أبطلميوس ورصد المأمون الشماسية من بلاد دمشق من أرض الشأم في سنة 217 للهجرة واول يوم من فروردين ماه سنة 201 ليزدجرد وعليه حل الزيج الممتحن.
وما ذهبت إلهي الهند في مدة أيام الدنيا، وتنازعهم في عدتها، وأن الأصل في ذلك عدة أيام السندهند تفسير ذلك دهر الدهور، وهو الكتاب الجامع لعلم الأفلاك والنجوم والحساب وغير ذلك من أمر العالم، وعنه ناضل أبطلميوس وشابهه بأرصاد أبرخس وأرصاده وكيف عملت الهند كتاب الأرجبهز من كتاب السند هند الأرجبهز جزء من ألف جزء من السند هند، وكتاب الأركند من كتاب الأرجبهز

وأن الله عز وجل بلطيف حكمته وعظيم قدرته خلق الكواكب على قدر أوجاتها، وجوزهراتها في أول دقيقة من الحمل، ثم سيرها جميعاً فتحركت جملة واحدة في طرفة عين على سيرها المعلوم، فكانت حركتها أول يوم من الدنيا، ولا تزال تسبح في دور الفلك فإذا اجتمعت في موضع منه أثرت في العالم تأثيراً عظيماً مذكراً بدبور واحتراق وغير ذلك، وكثيراً ما لا تجتمع كلها، وإن اجتمعت كلها لم تجتمع أوجاتها وجوزهراتها إلى الموضع الذي فهي خلقت بهيئتها الأولى، وذلك انقضاء الدنيا عندهم، فإن جميع أيام السند هند مذ أول

ما دارت الكواكب إلى أن تجتمع جميعها من السنين أربعة آلاف ألف ألف وثلاثمائة ألف ألف وعشرون ألف ألف سنة شمسية على مدار الشمس، السنة منها ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وربع يوم وخمس ساعة وجزء من أربعمائة جزء من ساعة وما في بيت الذهب بأعالي أرض الهند ومشارقها، وهو الذي دخله الإسكندر الملك من حساب ظهور البد الأول بأرضهم، وتاريخه أن ذلك اثنا عشر ألف ألف عام مضروبة في ستة وثلاثين ألف عام على ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب وتنازع حكماء الأمم من الفلكية وغيرهم في أوج الشمس وهو أعلى موضع في فلكها وجوزهرها من تحتها مقابل له، وكذلك لك كوكب من السبعة وعند كثير منهم في هذا الوقت وهو سنة 345 للهجرة أنه في ست درج ونصف من الجوزاء أيضاً على ما ذكرنا من الدرج فيها، وعلى مذهب السند هند في سبع عشرة درجة وخمس وخمسين دقيقة، وأربع عشرة ثانية من الجوزاء كذلك ذكر في زيج محمد بن موسى الخوارزمي، وزيج حبش بن عبد الله السند هند، لأن لحبش ثلاث زيجات المشهور عند الناس زيج الممتحن والثاني السند هند، ولم يخالف الخوارزمي فيه إلا بدقائق، والثالث الشاه، فإذا قيل زيج حبش مطلقاً فإنما يراد به الممتحن والذي حكاه عن أبطلميوس فهو قانون ثاون، وثاون عن المجسطي أخذ وذكر أصحاب زيج الشاه أنه في عشرين درجة من الجوزاء، وذكر أصحاب زيج الممتحن أنه كان في السنة التي قبس فيها وهي سنة 217، على ما قدمنا في هذا الباب في اثنتين وعشرين درجة وتسع وثلاثين دقيقة من الجوزاء وذهب ما شاء الله المنجم إلى أن أوج الشمس هو عضادة عدل الله بها الفلك، وهذا أحد ما عنت به، وما ذهب إليه الهند وغيرها من أن الأوج يتحرك في كل مائة سنة درجة واحدة، فيكون مقامه في كل برج ثلاثة آلاف سنةوقطعه الفلك في ستة وثلاثين ألف سنة وكيفية تنقله ودورانه إذا انتقل عن البروج الشمالية إلى الجنوبية انتقلت العمارة فصار الشمال جنوباً والجنوب شمالاً والعامر غامراً والغامر عامراً.

وأنه لا خلاف بين حكماء الهند والكلدانيين والمصريين واليونانيين والروم وغيرهم، وبين منجمي عصرنا وفلكية وقتنا أنه في برج الجوزاء، وإنما التنازع بينهم في ثباته وتنقله على ما

ذكرنا ولثابت بن قرة الصابئ الحراني رسالة في نصرة رأي أبرخس على أن لأوج الشمس حركة مخالفاً لقول أبطلميوس، وقد امتحن هذه الرسالة عدة من أهل الهندسة فوجدوا الأوج في أربع وعشرين درجة ودقائق كثيرة تكون من أول الحمل أربعاً وستين درجة ودقائق كثيرة. وهذا خلاف لما ذكر أصحاب رصد الممتحن؛ لأنهم أجمعوا – إلا محمد بن جابر البتاني الحراني – على أن بعد الأوج من رأس الحمل اثنتان وثمانون درجة وتسع وأربعون دقيقة وذكرنا ما ذهب إليه هؤلاء من أن السبب في كسوف القمر أن ضوءه إنما هو شيء يقبله من الشمس، فمتى تهيأ أن يكون ظل الأرض فيما بين الشمس والقمر فستره أو ستر بعضه انكسف أو انكسف بعضه على قدر ما يستر منه وأن السبب في كسوف الشمس أن القمر يستر الشمس عنا ولذلك صار كسوف القمر إنما يعرض في وقت مقابلته الشمس، وكسوف الشمس إنما يعرض في وقت الاجتماع، وأن أقل ما يكون بين الكسوفين الشمسية والقمرية جميعاً ستة أشهر قمرية وذلك على الأمر الأوسط، وأنه قد يمكن أن يكون بين كسوفين شمسيتين أو قمريتين خمسة أشهر، وذلك عند اتفاق شهور عظمى. ويمكن أن يكون بين كسوفين ستة أشهر، وذلك عند اتفاق شهور صغرى. وأنه لا يمكن أن تنكسف الشمس في شهر واحد مرتين في موضع واحد ولا في موضعين مختلفين من الأقاليم الشمالية أبداً، وقد يمكن ذلك في موضعين مختلفين عن خط الاستواء أحدهما في الأقاليم الشمالية والآخر في الناحية الجنوبية

وما ذهبوا إليه من أنه إذا كان الصيف في ناحية الشمال كان الشتاء في ناحية الجنوب؛ وإذا كان الصيف في ناحية الجنوب كان الشتاء في ناحية الشمال، ولأجل ذلك صار نيل مصر زائداً في الشهور الصيفية لترادف الشتاء والأنداء بسائر أرض الأحابش من النوبة والزغاوة والزنج إلى جبل القمر الذي وراء خط الاستواء ومبدأ منبع عيون النيل منه، ومصب السيول إليه على ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا البحار والأنهار الكبار.

وكذلك الشتاء بأرض الهند سبيله سبيل شتاء أرض الأحابش واليمن على ما شاهدناه بأرض اللار الكبيرة من أرض الهند وغيرها مما ذكرنا من البلاد وذلك في سنتي 303 و304 ويسمى هناك اليسارة.

والعلة في ذلك عند من ذكرنا كون الشمس وتنقلها في البروج من الشمال إلى الجنوب ومن الجنوب إلى الشمال إذا قربت من موضع كان الصيف، وإذا بعدت عنه كان الشتاء، وأنه إذا كان في مكان نهار كان في ضده ليل، وإذا كان في موضع ليل كان في ضده نهار، وأن نصف الأرض أبداً نهار ونصفها أبداً ليل، والشمس حيث كانت من جميع نواحي الأرض الأربع فإنها إنما تضيء على نصف الأرض سواء ربع أمامها وربع خلفها وربع عن يمينها وربع عن شمالها، وذلك تمام نصف الأرض والنصف الآخر ستره أن تضيء فيه كثافة الأرض وتدويرها فيكون في ذلك النصف الذي لا تضيء فيه الليل لأن الليل ظل الأرض إذا ستر بعها عن بعض ضوء الشمس، فحيثما كانت الشمس فهناك النهار، وحيث لا ترى فهناك الليل.

وما ذهبوا إليه من أن أقواماً يشتون مرتين ويصيفون مرتين في سنة واحدة، وهم أهل خط الاستواء الذي يقسم مجرى الشمس بنصفين يأخذ من الشرق حتى يعود إلى الشرق والمدن التي على هذا الخط فزان وأزين وعدن والشحر، وغير ذلك من البلاد.

وأن الشمس إذا صارت إلى أول برج الحمل كان الحر عندهم مفرطاً جداً، وإذا صارت إلى السرطان زالت عن سمت رءوسهم أربعاً وعشرين درجة التي هي الميل فشتوا، ثم تعود الشمس إليهم إذا صارت إلى أول الميزان فيصيفون ثانية ويشتد الحر عليهم، فإذا هي زالت إلى ناحية الربع الجنوبي وصارت إلى أول الجدي شتوا ثانية، وأنهم على هذا الترتيب يصيفون مرتين ويشتون مرتين، غير أن شتاءهم أبداً قريب من صيفهم وأنه قد يكون في بعض المواضع مقدار شهر من الصيف نهار كله، لا ليل فيه. وشهر من الشتاء ليل؛ لا نهار فيه. وتكون العشرة أشهر الباقية من السنة كل يوم وليلة أربعاً وعشرين ساعة. وهي المواضع التي يرتفع فهي القطب عن الآفاق سبعة وستين جزء وربعاً، فهناك يكون مدار ما بين

النصف من الجوزاء إلى النصف من السرطان ظاهراً فوق الأرض أبداً، وما بين النصف من القوس إلى نصف الجدي غائباً أبداً وما قالوه في المواضع التي يطول نهارها، ويقصر ليلها حتى يكون الساعة والساعتين والثلاث وذلك في أقاصي بلاد الروم، وبلاد البرغر، وبلاد خوارزم، مما يلي البحر الخزري وما قالوه في الساعات المعتدلة وهي التي تكون كل ساعة منها بمقدار ما يدور الفلك خمس عشرة درجة. والساعات الزمانية وهي المعوجة التي تكون كل واحدة منها مقدار نصف سدس النهار، ونصف سدس الليل وما ذهبوا إليه من تأثيرات الكواكب السبعة من النيرين والخمسة، وخاصتها في الأديان والبقاع والحيوان والنبات وغير ذلك.

وفيما خالف بين لغات الناس وألوانهم في المعمور الأرض، والعلة في مطر الإقليم الأول في القيظ دون سائر البلاد.

وما قالوه في العلة التي صار لها كثير من المواضع لا تمطر كفسطاط مصر وغيرها إلا اليسير، وأن السبب في ذلك: أن جزء بلاد مصر من جهة شمالها عادم الجبال الشوامخ، وأكثر ما يسيل إليه من جهة بحر الحبشة، يحجز بينه وبين مصر جبال البجة كالمقطم وما يليه، فيمنع ذلك البخار فيسيل إلى جهة الشام والعراق، وليس في سمت مصر من جهة الجنوب بحر، فما يسيل إلى سمتها من البخار أقل مما يسيل من جهة بحر الحبشة إلى الشأم والعراق.

والنيل يعين حركة الهواء من الجنوب إلى الشمال بجريته، فينقاد سيلان تلك الأبخرة إلى الشمال في بلاد كلها حارة؛ لقلة العرض ومجاورة البحار، أما بحر الحبشة فمن جهة شرقها، وأما بحر الإسكندرية وهو بحر الروم فمن جهة شمالها، فيحمي جوها فلا يغلظ البخار السائل غليه ولا يجتمع حتى يخالط بحر الإسكندرية ويمتزج به، ويجوزان معاً جهة الشمال من بلاد أورفي، وإذا صارا إلى الموضع الذي يعرض لهما فيه الانحصار ببرد الجو وما يحيط به من الجبال سالت تلك الأبخرة هنالك، فصارت أمطاراً في تلك المواضع الشمالية، فلهذه العلة عدم أهل مصر المطر.

ولأن النيل بزيادته يفيض على بلاد مصر، فإذا نقص ترادّ إلى قعره فقبلت تلك الأرض حسياً كثيراً، لكثرة إقامة الماء عليها، فيكثر ما يرتفع من أرضها في كل يوم من البخار بحر الشمس، فإذا جاء الليل يبرد حرها بالإضافة إلى قدر ما كان عليه عند شروق الشمس، فاستحال البخار ماء، فسال بالليل سيلاناً ضعيفاً لعدمه التكاثف والانحصار، فصار طلاً عائداً إلى الأرض، ولعلل غير ذلك ذكروها ويجوز أن يكون ذلك لعلل استأثر الله عز وجل بعلمها، ولم يظهر أحداً من خلقه عليها، لما هو عز وجل أعلم به من عمارة البلاد، وصلاح العباد قال أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي: ولما ذكرنا شرح طويل والكلام فيه كثير، ومن ضمن الاختصار، لم يجز له الإكثار.

وإنما نذكر في هذا الكتاب طرفاً من كل باب ليستدل الناظر فيه بما رسمناه على المراد مما تركنا، قانعين بالتعريض والإشارة من التطويل في العبارة فإذ ذكرنا جامع التأريخ من آدم إلى نبينا صلّى الله عليه وسلّم، وسني الأمم وشهورها، ونسيئها وكبائسها، وما اتصل بذلك فلنذكر الآن التأريخ من مولد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى مبعثه وهجرته ووفاته، ومن كان بعده من الخلفاء والملوك إلى هذا الوقت.

ذكر التأريخ من مولد رسول الله

ومبعثه وهجرته ومغازيه وسراياه وسواريه وكتابه ووفاته وتأريخ الخلفاء والملوك بعده وأيامهم وكتابهم ووزرائهم وحجابهم وقضاتهم ونقوش خواتيمهم وما كان من الحوادث العظيمة الديانية والملوكية في أيامهم وحصر تواريخهم إلى سنة 345 في خلافة المطيع

قد ذكرنا فيما سلف من كتبنا تواتر النذارات، وما ظهر في العالم من الآيات المؤذنة بمولد نبينا صلّى الله عليه وسلّم ونبوته، وما أيد الله به عند مبعثه من المعجزات والدلائل والعلامات، مثل إنبائه بالكائنات قبل كونها، وإطعامه الخلق الكثير من الزاد القليل، وهطل الغمام، ونطق الذراع، وتحويله الماء المالح عذباص، وإروائه الخلق الكثير من الماء اليسير، وغير ذلك.

وما أتى به من القرآن المعجز الذي عجز الخلق أن يأتوا بمثله مع تحديه إياهم وتقريعهم

بالعجز عنه.

فأغنى ذلك عن إعادة شيء منه في هذا الكتاب لشرطنا فيه على أنفسنا الاختصار والإيجاز، ونحن بادئون بحصر التاريخ من مولده صلّى الله عليه وسلّم كان مولد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن غالب بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد وإنما لم نتجاوز بنسبه صلّى الله عليه وسلّم معداً لنهيه عن ذلك بقوله "كذب النسابون " وإذ كان التنازع بين معد وإسماعيل بن إبراهيم يكثر ويختلف، في العدد والأسماء والعمل الموروث الذي يقطع عليه ولا ينازع فيه؛ اتصال نسبه إلى معد بن عدنان وقد استقصينا شرح ذلك، وما قيل فيه من الوجوه في كتاب الاستذكار، لما جرى في سالف الأعصار وأتينا فيما سلف من هذا الكتاب على ما اشتهر واستفاض من اتصال معد بإسماعيل بن إبراهيم، وما بين إبراهيم وآدم من الآباء، على ما ذكره أهل الكتاب وأهل النسب ويكنى أبا القاسم، وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب – عام الفيل، لثمان خلون من شهر ربيع الأول وقيل لعشر، وهو اليوم الثامن من ديماه سنة 1317 من بدء ملك بخت نصر. واليوم العشرون من نيسان سنة 882 للإسكندر بن فيلبس الملك، وسنة 39 من ملك أنوشروان خسروا بن قباذ بن فيروز، وذلك بعد قدوم أصحاب الفيل مكة بخمسة وستين يوماً، وقيل أقل من ذلك. وكان قدومهم مكة يوم الأحد لخمس ليال خلون من المحرم.

وتوفي أبوه عبد الله بن عبدالمطلب وهو عليه الصلاة والسلام حمل. وقل بل مات بعد مولده بشهر، وقيل بل في السنة الثانية من مولده، وقيل بعد ثمانية وعشرين شهراً من مولده، وأنه كان خرج في تجارة إلىالشأم وتوفي بالمدينة وله خمس وعشرون سنة ودفع عليه الصلاة والسلام إلى حليمة بنت أبي ذؤيب، وهو عبد الله بن الحارث ابن شجنة بن جابر بن رزام بن ناصرة بن قصية بن نصر بن سعد بن بكر ابن هوازن لترضعه فأرضعته بلبن

بنيها عبد الله والشيماء وأنيسة بني الحارث بن عبد العزى بن رفاعة بن ملاّن بن ناصرة بن قصية بن نصر بن سعد بن بكر والشيماء التي كان النبي صلّى الله عليه وسلّم عضها على كتفها، وهي تحمله في حال صباه، فلما هزمت هوازن بحنين، واحتوى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على أموالهم وذراريهم سارت إليه الشيماء، فاستعفته وذكرته وأرته أثر العضة فعرفها عليه الصلاة والسلام وكان ذلك أحد أسباب رد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وسائر بني هاشم وبني عبد المطلب بن هاشم بن مناف ما صار إليهم من ذلك السبي، ورد أصحابه ما صار إليهم منه حين رأوا ذلك منه عليه الصلاة والسلام.

وكان مقامه صلّى الله عليه وسلّم مسترضعاً فيهم أربع سنين، فلما كان في السنة الخامسة ردته حليمة إلى أمه آمنة، فلما كان في السنة السابعة من مولده أخرجته أمه إلى أخوال جده عبد المطلب بن هاشم من بني عدي بن النجار بالمدينة يزورهم، وأم عبد المطلب سلمى ابنة زيد بن عمرو بن لبيد بن حرام ابن خداش بن جندب بن عدي بن النجار، فتوفيت أمه عليه الصلاة والسلام بالأبواء، وقدمت به أم أيمن وهي أم أسامة بن زيد بن حارثة إلى مكة وفي السنة الثامنة من مولده توفي جده عبد المطلب، فضمه أبو طالب إليه فكان في حجره حتى بلغ ثلاث عشرة سنة، فخرج معه في تجارة إلى الشام، فنظر إليه بحيرا الراهب، فبشر بنبوته، وأخبر بعلاماته وحضر صلّى الله عليه وسلّم حرب الفجار، وحلف الفضول، على ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب وله عشرون سنة ولما كمل خمساً وعشرين سنة خرج في تجارة لخديجة بنت خويلد بنت أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب، إلى الشأم مع غلامها ميسرة، فنظر نسطور الراهب إلى إظلال الغمامة إياه، وظهور الآيات فيه فبشر بنبوته، ولما عاد الغلام أخبر خديجة بذلك، فأرسلت إليه في تزويجها فتزوجها فلما كمل خمساً وثلاثين سنة شهد بنيان الكعبة، وتراضت به قريش في وضع الحجر الأسود، حين كثر من قبائلهم التنازع في ذلك، فوضعه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في موضعه فلما بلغ أربعين سنة بعثه الله عز وجل إلى الناس كافة يوم الاثنين لعشر خلون من شهر ربيع الأول، وهو اليوم الثالث والعشرون من آبان ماه سنة 1357

من ملك بخت نصر، واليوم الثامن من شباط سنة 921 للإسكندر الملك، وله صلّى الله عليه وسلّم يومئذ أربعون سنة وتنوزع في أول من آمن به من الذكور، بعد إجماعهم على أن أول من آمن به من الإناث خديجة. فقال فريق منهم أول ذكر آمن به علي بن أبي طالب – هذا قول أهل البيت وشيعتهم، وروى ذلك عبد الله بن عباس بن عبد المطلب وجابر بن عبد الله الأنصاري، وزيد بن أرقم في آخرين وتنوزع في سنه يوم أسلم فقال فرقة كانت سنه يومئذ خمس عشرة سنة، وقال آخرون ثلاث عشرة سنة، وقيل إحدى عشرة سنة، وقيل تسع، وقيل ثمان، وقيل سبع، وقيل ست، وقيل خمس وهذا قول من قصد إزالة فضائله، ودفع مناقبه ليجعل إسلامه إسلام طفل صغير، وصبي غرير، لا يفرق بين الفضل والنقصان، ولا يميز بين الشك واليقين، ولا يعرف حقاً فيطلبه، ولا باطلاً فيجتنبه وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب، عند ذكرنا خلافته ووفاته جملاً مما قيل في ذلك، وإن كنا قد ذكرناه فيما سلف من كتبنا مفسراً مشروحاً وأتينا على قول كل فريق من هؤلاء، وما احتج به لمذهبه، وصحح به قوله، والكلام بين متكلمي العثمانية والزيدية من معتزلة البغداديين القائلين بإمامة المفضول، وغيرهم من البترية، وفرق الزيدية والقطعية بالإمامة الاثنا عشرية منهم الذين أصلهم في حصر العدد ما ذكره يم بن قيس الهلالي في كتابه، الذي رواه عنه أبان بن أبي عياش أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام " أنت واثنا عشر من ولدك أئمة الحق " ولم يرو هذا الخبر غير سليم بن قيس

وأن إمامهم المنتظر ظهوره في وقتنا هذا المؤرخ به كتابنا: محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين واصحاب النسق منهم القائلون بأن الله عز وجل لا يخلي كل عصر من إمام قائم لله بحق ظاهر ام باطن. ولم يقطعوا على عدد محصور، ولا وقت معين مفهوم. وأن ذاك نص من الله ورسوله على اسم كل إمام وعينه، إلى أن يفني الله عز وجل الأرض ومن عليها.

وإنما سموا القطعية لقطعهم على وفاة موسى بن جعفر وتركهم الوقوف عليه. وغيرهم من فرق الشيعة وسائر من قال باختيار الإمام وأن ذلك إلى الأمة أو إلى بعضها – من المعتزلة والمرجئة وفرق الخوارج من الأزارقة والإباضية والصفرية والنجدات وسائر فرق الخوارج إلى هذه الأصناف يرجعون وعنهم يتفرقون والنابة والحشوية وغيرهم من فقهاء الأمصار وقال آخرون: إن أول من آمن به عليه الصلاة والسلام من الرجال أبو بكر الصديق عليه السلام، روي ذلك عن عمرو بن عبسة، وجبير بن نفير، وإبراهيم النخعي في آخرين وقال آخرون: إن أول من آمن به زيد بن حارثة الكلبي مولاه، روي ذلك عن الزهري، وعروة بن الزبير، وسليمان بن يسار في آخرين وقال آخرون: أولهم إسلاماً خباب بن الأرت من بني سعد بن زيد مناة بن تميم وقال آخرون بلال بن حمامة وكان مقام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بمكة بعد مبعثه ثلاث عشرة سنة وتوفي عمه أبو طالب وله بضع وثمانون سنة، وزوجته خديجة بنت خويلد ولها خمس ستون سنة، في السنة العاشرة من مبعثه بينهم ثلاثة أيام وقيل أكثر من ذلك وذلك بعد إبطال الصحيفة وخروج بني هاشم بن عبد المطلب من الحصار في الشعب بسنة وستة أشهر وكان مدة مقامهم في الحصار ثلاث سنين، وقيل سنتين ونصفاً، وقيل سنتين على ما في ذلك من التنازع وفي هذه السنة وهي سنة خمسين من مولده كان خروجه إلى الطائف؛ وفي سنة إحدى وخمسين كان المسرى على ما في ذلك من التنازع بين فرق الأمة في كيفيته ثم هاجر صلّى الله عليه وسلّم إلى المدينة فدخلها يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، وله ثلاث وخمسون سنة، وذلك في سنة أربع وثلاثين من ملك كسرى أبرويز وأمر علياً رضي الله عنه بالتخلف بعده ليؤدي عنه ودائع كانت للناس عنده، فتخلف بعد خروجه ثلاثة أيام؛ إلى أن أدى ما كان عنده من الودائع، ثم لحق به وقد كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أمر أصحابه قبل هجرته بالهجرة إلى المدينة؛ فخرجوا أرسالاً، فكان أولهم إليها قدوماً أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد ابن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وعامر بن ربيعة، وعبد الله بن جحش الأسدي، وعمر بن الخطاب، وعياش بن أبي ربيعة وكان أول لواء عقده رسول الله صلّى

الله عليه وسلّم بعد قدومه المدينة لحمزة بن عبد المطلب في شهر رمضان لسبعة أشهر من قدومه إليها؛ في ثلاثين راكباً من المهاجرين، إلى العيص من بلاد جهينة يعترض عيراً لقريش جاءت من الشأم تريد مكة، فلقي أبا جهل عمر بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة ابن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، وهو في ثلاثمائة رجل من أهل مكة، فتحاجزوا من غير قتال، وفي ذلك يقول حمزة:

بأمر رسول الله أول خافق ... عليه لواء لم يكن لاح من قبلي

ثم سرية عبيدة بن الحارث إلى رابغ، وهي على عشرة أميال من الجحفة لمن أراد من المدينة قديداً، وذلك في شوال لثمانية أشهر من قدومه المدينة، فلقي أبا سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف على الماء المعروف بأحياء. وكان أبو سفيان في مائتين، وعبيدة في ستين راكباً من المهاجرين، وكان بينهم رمي من غير سل السيوف وكان أول من رمى بسهم في الإسلام سعد بن أبي وقاص مالك بن وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب في هذه السرية، وفي ذلك يقول سعد:

ألا هل أتى رسول الله أني ... حميت صحابتي بصدور نبلي

فما يعتد رام في معد ... بسهم يا رسول الله قبلي

وبنى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعائشة ابنة أبي بكر في شوال، وهي بنت سنين، وقيل دون ذلك، وكان تزوجها بمكة وهي ابنة سبع وقيل ست

ثم سرية سعد بن أبي وقاص في ذي القعدة على تسعة أشهر من مهاجرته في عشرين رجلاً إلى الخرار، وهو من الجحفة قريب من خم، يعترض عيراً لقريش فوافى الموضع وقد سبقه العير.

وفي هذه السنة ولد عبد الله بن الزبير بن العوام، وكان أول مولود ولد في دار الهجرة للمهاجرين، والنعمان بن بشير الأنصار، وهو أيضاً أول مولود ولد للأنصار بعد الهجرة. وفيها كانت وفاة أبي أمامة أسعد بن زرارة الخزرجي من بني غنم بن مالك ابن النجار في

شوال وفيها كان إسلام عبد الله بن سلام.

ذكر السنة الثانية من الهجرة

سنة الأمر لأنه أمر فيها بالقتال

ثم غزوة غزاها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في صفر في المهاجرين خاصة، حتى بلغ ودّان والأبواء وبينهما ثمانية أميال؛ يعترض عير قريش. فرجع ولم يلق كيداً، فكانت غيبته خمس عشرة ليلة، واستخلف على المدينة سعد بن عبادة ابن دليم الأنصاري ثم الخزرجي، وفي هذا الشهر تزوج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بفاطمة رضي الله عنهما ثم غزوته صلّى الله عليه وسلّم بواط في شهر ربيع الأول في مائتين، يعترض عيراً لقريش وكانت ألفين وخمسمائة بعير، فيها مائة رجل من قريش منهم أمية ابن خلف الجحمي، ففاتته العير؛ ورجع ولم يلق كيداً وبواط جبل من جبال جهينة، من ناحية ذي خشب من طريق الشأم، وبين بواط والمدينة ثمانية برد، وقيل أقل من ذلك، واستخلف على المدينة سعد ابن معاذ ثم غزوته صلّى الله عليه وسلّم في هذا الشهر أيضاً، في طلب كرز بن جابر الفهري، وكان أغار على سرح المدينة من ناحية العقيق، فبلغ إلى سفوان، وهي من بدر ففاته كرز بالسرح، فرجع واستخلف على المدينة مولاه زيد بن حارثة ابن شراحيل الكلبي ثم الكناني – كنانةبنعوفبن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة – وفي الناس من يسمي هذه الغزاة بدراً الأولى ثم غزوته صلّى الله عليه وسلّم في جمادى الأولى من هذه السنة – وقيل جمادى الآخرة – ذا العشيرة، يعترض عيراً لقريش ذاهبة إلى الشام ففاتته، وهي العير التي كان القتال ببدر بسببها في رجعتها وذو العشيرة بناحية ينبع، وبين المدينة وينبع تسعة برد، واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي.

وقيل إن خروجه في طلب كرز بعد غزوته ذا العشيرة، والأشهر ما ذكرناه، وولد النعمان بن بشير الأنصاري من بني الحارث بن الخزرج، وهو أول مولود ولد للأنصار بعد الهجرة ثم سرية عبد الله بن جحش من بني دودان بن أسد بن خزيمة، في رجب في أحد عشر رجلاً،

وقيل ثمانية إلى نخلة – وهو الموضع المعروف في هذا الوقت ببستان بن عامر، على جادة العراق – فلقوا عير قريش، فقتلوا ابن الحضرمي، وأسروا منهم نفراً، واستاقوا العير، وقسم عبد الله بن جحش الغنيمة، وأخرج منها الخمس، قبل أن ينزل القرآن بذلك، فعزله رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حتى جاء الإذن من الله فأنفذه، وكان أول فيء قسمه وفي هذه الغزاة فيما ذكر سمي عبد الله بن جحش أمير المؤمنين، وهو أول من سمي بذلك، وقالت قريش استحل محمد القتل في الشهر الحرام يعنون رجب، وندم أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لذلك لأنه قال لهم " ما أمرتكم بقتال في الأشهر الحرم " فأنزل الله عز وجل في ذلك " يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه – الآية " وفرض صوم شهر رمضان في شعبان من هذه السنة، وصرفت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة في صلاة الظهر من يوم الثلاثاء للنصف من شعبان فاستدار النبي صلّى الله عليه وسلّم، وهو راكع في الركعة الثانية، ودارت الصفوف خلفه فسمى ذلك المسجد مسجد القبلتين، وقيل إن ذلك بعد افتراض صوم شهر رمضان بثلاثة عشر يوماً.

وفيها أرى عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري، من بني زيد مناة بن الحارث بن الخزرج الأذان في النوم، وورد الوحي بذلك فعمل به ثم غزوة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بدراص العظمى، وهي بدر القتال، وبين بدر والمدينة ثمانية برد، وميلان وكان خروجه لثلاث خلون من شهر رمضان في ثلاثمائة وأحد عشر رجلاً من المهاجرين والأنصار، عدة المهاجرين أربعة وسبعون رجلاً، وباقيهم من الأنصار. وقيل ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، وقيل وأربعة عشر رجلاً.

الخبر المستفيض أنه كان في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، فوقع التنازع فيما زاد على الثلاثمائة والعشرة، وهو البضع وكانت قريش تسعمائة وخمسين مقاتلاً منهم ستمائة دارع، معهم من الخيل مائة فرس، وكانت الوقعة يوم الجمعة صبيحة. لتسعة عشر يوماً من شهر رمضان كذلك روى عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه عن عبد الله بن مسعود، وخارجة ابن زيد

الأنصاري ثم الخزرجي عن أبيه زيد وقد روى علقمة بن زيد عن ابن مسعود غير هذا، وهو أنها كانت صبيحة اليوم السابع عشر من شهر رمضان، كذلك روى عن خارجة بن زيد عن أبيه زيد أيضاً، وكذلك روى عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، فيما ذكر أبو عبد الرحمن السلمي، وإلى هذا القول ذهب محمد بن عمر الواقدي صاحب المغازي والسير فقتل من قريش سبعون رجلاً، وأسر سبعون رجلاً، كذلك ذكر أحمد ابن منصور الرمادي عن عاصم بن علي عن عكرمة بن عمار قال: حدثنا أبو زميل قال حدثني عبد الله بن العباس قال حدثني عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم بدر التقينا، فهزم الله المشركين، فقتل منهم سبعون رجلاً وأسر سبعون رجلاً، وقيل إن عدة من قتل يوم بدر من قريش وحلفائهم سبعة وأربعون رجلاً والأسرى تسعة وأربعون رجلاً، وقيل إن عدة القتلى منهم يومئذ خمسة وأربعون رجلاً، والأسرى مثل ذلك رجالاً واستشهد من المسلمين أربعة عشر رجلاً قال المسعودي: وقسم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ما أفاء الله عليه لكل رجل سهماً وللفرس سهمين وضرب لثمانية نفر بأسهمهم لم يشهدوا القتال، وهم: عثمان بن عفان، تخلف عن بدر لمرض رقية بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فضرب له بسهمه. فقال يا رسول الله وأجري قال " وأجرك " ومنهم طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، يجتمع مع أبي بكر الصديق عليه السلام في عمرو بن كعب بن سعد وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب، يجتمع مع عمر بن الخطاب في نفيل بن عبد العزى. وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعثهما لما خرج من المدينة يتحسسان أخبار العير، فعادا بعد انقضاء الحرب، وقيل إنهما كانا بالشأم في تجارة لهما فقدما بعد رجوع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من بدر فضرب لهما بسهميهما، فقالا يا رسول الله وأجرنا، قال " وأجركما على الله " – والأول أشهر وعليه العمل والحارث بن الصمة من بني مالك بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة ابن الخزرج – وخوات بن جبير بن ثعلبة بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس –

والحارث بن حاطب – وعاصم بن عدي الأنصاريان – وأبو لبابة بشير ابن عبد المنذر الأنصاري ثم الأوسي. وكان استخلفه على المدينة وما ذكرنا من أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قسم للفرس سهمين لفارسه سهماً باتفاق من سائر فقهاء الأمصار وغيرهم، إلا أبا حنيفة النعمان بن ثابت، فإنه قال بسهم للفرس سهماً لفارسه سهماً وخالفه صاحباه أبو يوسف ومحمد بن الحسن في ذلك.

واعتل أصحاب أبي حنيفة لصحة قوله بأحاديث رووها عن أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وأبي موسى الأشعري. وغيرهم، وإنما ذكرنا ذلك الخلاف للخلاف الواقع بينهم في الخبر.

وكانت غيبة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى أن عاد إلى المدينة تسعة عشر يوماً ودخلها لثمان بقين من شهر رمضان، وكان استخلف عليها ابن أمر مكتوم الضرير، وهو عمرو بن قيس من بني عامر بن لؤي بن غالب.

وكانت وفاة أبي لهب عبد العزى بن عبد المطلب عم النبي صلّى الله عليه وسلّم بمكة في اليوم الذي ورد فيه خبر وقعة بدر ثم سرية عمير بن عدي بن خرشة الأوسي ثم الخطمي إلى عصماء ابنة مروان من بني أمية بن بدر، وكانت تؤذي المسلمين وتحرض عليهم أعداءهم فقتلها عمير، وفي هذه السنة أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، بإخراج زكاة الفطر ثم سرية سالم بن عمير الأنصاري إلى أبي عفك شيخ من بني عمرو بن عوف، وكان يحرض على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقتله في شوال من هذه السنة.

ثم غزوة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم للنصف من شوال إلى بني قينقاع من اليهود وكانوا أربعمائة فحصرهم إلى هلال ذي القعدة، فنزلوا على حكمه فاستوهبهم منه عبد الله بن أبي سلول – وكانوا حلفاء للخزرج – فأجلاهم إلى أذرعات من أرض الشأم، وغنم أموالهم وأخذ الخمس، وهو أول خمس خمسه، وفرق الأربعة أخماس على أصحابه. وقيل إن فعله ذلك كان ببدر. وكانت استخلف على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر الخزرجي ثم غزوة

رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المعروفة بغزوة السويق، خرج في ذي الحجة في طلب أبي سفيان صخر بن حرب، وكان أقبل في مائتي راكب من أهل مكة ليبر نذره أن لا يمس النساء، ولا الطيب حتى يثأل بأهل بدر، فصار إلى العريض، فقتل رجلاً من الأنصار، وحرق أبياتاً هنالك. فلما بلغه خروج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه في طلبه جعل وأصحابه يلقون جرب السويق تخففاً، فسميت غزوة السويق وكان استخلف على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر أيضاً، في هذا الشهر بنى علي بفاطمة عليهما السلام قال المسعودي: وقد ذكرنا التنازع في سنها عند ذكر وفاتها في خلافة أبي بكر فيما يرد من هذا الكتاب وضحى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أول أضحى رآه المسلمون، وأمر بذلك، وخرج إلى المصلى، وذبح به شاتين بيده وقيل شاة وفي هذه السنة كانت الوقعة بذي قار بين بكر بن وائل – وعليهم حنظلة ابن سيار من ولد جذيمة بن سعد بن عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر ابن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة ابن نزار، وقيل إنه من ولد كعب بن سعد بن ضبيعة بن عجل – وبين الجيش الذي بعثه إليهم الملك خسرو أبرويز عليهم الهامرز، وذلك لما امتنع هانئ بن قبيصة بن هانئ بن مسعود بن عامر بنعمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان ابن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل من تسليم ما كان النعمان ابن المنذر اللخمي ملك الحيرة أودعه إياه من أهله وماله وسلاحه قبل قتل كسرى إياه فاقتتلوا قتالاً شديداً، فهزمت الفرس، ومن كان معها من العرب، من تغلب وعليها بشر بن سوادة التغلبي، وطيء وعليها إياس بن قبيصة الطائي، وضبة وتميم وعليهما عطارد بن حاجب بن زرارة، والنمر وعليها أوس بن الخزرج النمري، وبهراء وتنوخ وعليهم من العرب وقتل الهامرز.

وقيل إن ذلك كان قبل الهجرة، وإن أناساً من عبد القيس وحنيفة وغيرهم من بكر بن وائل جاءوا من اليمامة وبلاد البحرين الموسم يريدون المضي إلى بكر لإنجادها، فوقف عليهم النبي صلّى الله عليه وسلّم، وهو يعرض نفسه على قبائل العرب ومعه أبو بكر فدعاهم إلى الإيمان بالله وجرى بين أبي بكر ودغفل بن حنظلة بن زيد بن عبدة بن عبد الله بن ربيعة

بن عمرو بن شيبان النسابة ما جرى حتى قال النبي صلّى الله عليه وسلّم " إن البلاء موكل بالمنطق " فوعدوا النبي صلّى الله عليه وسلّم إن نصرهم الله على الأعاجم آمنوا به وصدقوا بنبوته، فدعا لهم النبي صلّى الله عليه وسلّم بالنصر فلما بلغه ظهورهم على الأعاجم قال " هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم، وبي نصروا " وهذا يوم تفخر به بكر بن وائل على سائر العرب وفوضل به في مناقبها وذكره من تقدم من الشعراء وتأخر في مدح بكر، وذكر أيامها المذكورة ووقائعها المشهورة ولقد أحسن أبو تمام حبيب بن أوس الطائي في تلطفه لذلك في مديحه أبا دلفٍ القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل بن عمير بن شيخ بن معاوية بن خزاعيّ ابن عبد العزى بن دلف بن جشم بن قيس بن سعد بن عجل بن لجيم بن صعبابن علي بن بكر بن وائل ببائيته التي أولها

على مثلها من أربعٍ وملاعب

فقال

إذا افتخرت يوماً تميم بقوسها ... على الناس أو ما وطدت من مناقب

فأنتم بذي قار أمالت سيوفكم ... عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

وقد ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه المترجم بالديباج - أوفياء العرب فعد - السموأل بن عادياء الغساني، والحارث بن ظالم المري،وعمير بن سلمى الحنفي. ولم يذكر هانئاً وهو أعظم العرب وفاء، وأعزهم جواراً، وأمنعهم جاراً، لأنه عرض نفسه، وقومه للحتوف، ونعمهم للزوال، وحرمهم للسبي، ولم يخفر أمانته، ولا ضيع وديعته

ذكر السنة الثالثة من الهجرة

سنة التمحيص

ثم غزوة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم للنصف من المحرم في مائتين إلى الماء المعروف بقرقرة الكدر، ناحية معدن بني سليم، مما يلي جادة العراق إلى مكة وبين المعدن والمدينة ثمانية برد يريد سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة ابن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار،

وغطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار؛ فانجفلوا وغنم من أموالهم، ورجع ولم يلق كيداً، وكان استخلف على المدينة ابن أم مكتوم ثم سرية محمد بن سلمة الأنصاري من بني حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس في أربعة نفر من الأنصار، إلى كعب بن الأشرف اليهودي. وكان رجلاً من طيء ثم من بني نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيء، وأمه من بني النضير من اليهود، وكان يشبب بنساء المسلمين. ويحرص على النبي صلّى الله عليه وسلّم، ويرثي أهل القليب، فقتلوه في حصنه للنصف من شهر ربيع الأول ثم غزوة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في جمادى الآخرة بفران. وهو معدن بني سليم بناحية الفرع من الحجاز، فصار إليه وقد تقدم إليهم خبره فتفرقوا، فرج ولم يلق كيداً، وكانت غيبته عشرة أيام، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم ثم غزوة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في هذا الشهر في أربعمائة وخمسين إلى نجد؛ يريد غطفان فبلغ الموضع المعروف بذي أمر وراء بطن نخل فانجفلوا من بين يديه، فرجع ولم يلق كيداً.

وكانت غيبته عشرة أيام، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان ثم سرية مولاه زيد بن حارثة الكلبي مستهل جمادى الآخرة إلى الموضع المعروف بالقردة، من أرض نجد بين الرّبذة والغمر وذات عرق من جادة العراق يعترض عيراً لقريش تريد الشأم، فظفر بها، وبلغ الخمس وعشرين ألفاً، وهذا أول بعث خرج فيه زيد أميراً وفي شعبان من هذه السنة تزوج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حفصة ابنة عمر بن الخطاب، وكانت قبله عند خنيس بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم، وكان بدرياً ولم يشهد مع بدراً مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من بنى سهم غيرهم وللنصف من شهر رمضان كان مولد الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وفيه تزوج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم زينب بنت خزيمة المعروفة بأم المساكين ثم غزوة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أحداً خرج إليها في نحو من ألف رجل، فانخذل عنه عبد الله بن أبي بن سلول في نحو من ثلث الناس – وكان أشار على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بترك الخروج إليهم والتمسك بالمدينة. وقال " عصاني، ولم يقبل رأيي " – وبقي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في نحو من سبعمائة وكانت قريش

وكنانة بن خزيمة وأحلافها ثلاثة آلاف، فيهم سبعمائة دارع، والخيل مائتا فرس، ومعهم من النساء خمس عشرة امرأة يحرضنهم فيهن هند ابنة عتبة، وعلى الناس أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، فالتقوا يوم السبت لسبع خلون من شوال فاستشهد من المسلمين سبعون رجلاً، وقيل خمسة وستون رجلاً أربعة منهم من المهاجرين. أحدهم حمزة بن عبد المطلب، والباقون من الأنصار. وقتل من المشركين ثلاثة وعشرون رجلاً. وعاد إلى المدينة، وكان قد استخلف عليها ابن أم مكتوم ثم خرج من الغد وهو ثاني يوم أحد في طلب أبي سفيان وأصحابه حتى انتهى إلى الموضع المعروف بحمراء الأسد، وهي على عشرة أميال من المدينة على طريق العقيق متياسرة عن ذي الحليفة ففاتته قريش. فأقام ثلاثاً، ثم عاد وفي الناس من يعد هذه غزاة.

ذكر السنة الرابعة من الهجرة

سنة الترفيه

ثم سرية أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي في المحرم إلى قطن وهو جبل بناحية فيد من آخر بلاد نجد ثم سرية عبد الله بن أنيس الجهني، جهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم ابن الحاف بن قضاعة إلى سفيان بن خالد الهذلي في المحرم أيضاً فقتله. وقيل إن قتله إياه كان في السنة الخامسة من الهجرة ثم بعث المنذر بن عمرو الأنصاري في صفر في سبعين رجلاً من الأنصار إلى أهل نجد ليقرئوهم القرآن ويعلموهم الدين. فلما انتهوا إلى الموضع المعروف ببئر معونة، على أربع مراحل من المدينة بين أرض بني سليم وأرض بني كلاب، أغار عليهم عامر بن الطفيل الكلابي فقتلهم. وكان فيهم عامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق

ثم بعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاري ثم الأوسي ثم صفر في تسعة نفر من أصحابه مع رهط من القارة. وهي من الهون بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر. وعضل وهي من القارة. وكانوا قدموا على النبي صلّى الله

عليه وسلّم. فسألوه أن يبعث معهم من يفقههم في الدين فبعثهم. فلما صاروا بالموضع المعروف بالرجيع، وذلك على سبعة أميال من الموضع المعروف بالهدأة والهدأة على سبعة أميال من عسفان غدر بهم، فقتلت لحيان بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر منهم سبعة نفر، وأسر اثنان خبيب بن عدي الأنصاري من بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، وزيد ابن الدّثنة فذهب بهما إلى مكة، فقتلا هنالك ثم سرية عمرو بن أمية الضمري وسلمة بن أسلم بن حريش إلى أبي سفيان بمكة ليغتالاه فنذر بهما فعاد، وقيل إن ذلك في السنة الخامسة من الهجرة ثم غزوة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في شهر ربيع الأول بني النضير من اليهود، وقيل إنهم وقريظة من ولد هارون بن عمران، وقيل إنهم من جذام وغنما رغبوا عن دين العمالقة وعبادة الأصنام فاتبعوا شريعة موسى، وانتقلوا من الشأم إلى الحجاز وكانت منازل النضير بناحية الغرس وما والاها، ومقبرة بني خطمة، وكانوا موادعين لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ثم هموا بالغدر به فنذر بهم فنبذ إليهم، فأقاموا على الحرب فسار إليهم فحصرهم خمسة عشر يوماً، ثم أجلاهم إلى فدك وخيبر، وقبض ماهم من الحلقة والكراع فخرجوا يريدون خيبر، وهم يضربون بالدفوف ويزمرون بالمزامير، وعلى النساء المصبغات والمعصفرات وحلي الذهب مظهرين بذلك تجلداً، وكان فيهم - فيما أخبرنا به عن عمر بن شبة النميري - عروة الصعاليك بن الورد العبسي، وكان حليفاً في بني عمرو بن عوف، وكان شاعراً مجيداً، وهو القائل في كلمة له طويلة:

دعيني للغنى أسعى فأنى ... رأيت الناس شرهم الفقير

وعاد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى المدينة، وكان استخلف عليها ابن أم مكتوم قال المسعودي: وفي هذا الشهر فيما ذكر حرمت الخمر على ما في ذلك من التنازع في سبب تحريمها. وفي شعبان من هذه السنة كان مولد الحسين بن علي بن أبي طالب، وفي شوال تزوج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بأم سلمة هند بنت أبي أمية المخزومي، وفي هذا الشهر فيما ذكر رجم يهودي ويهودية كانا قد زنيا ثم غزوته صلّى الله عليه وسلّم في ذي القعدة في ألف وخمسمائة والخيل عشرة بدراً، لموعد أبي سفيان صخر بن حرب حين أراد

الانصراف من أحد فأقام بها ثمانية أيام وتسمى بدر الثالثة وخرج أبو سفيان في قريش من مكة إلى عسفان في ألفين والخيل خمسون، ثم لم يقف، ورجع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى المدينة، وكان استخلف عليها عبد الله بن رواحة الأنصاري، وكانت غيبته ستة عشر يوماً

ذكر السنة الخامسة من الهجرة

سنة الأحزاب

ثم غزوته صلّى الله عليه وسلّم لعشر خلون من المحرم في ثمانمائة إلى الموضع المعروف بذات الرقاع، وهو جبل قريب من النخيل مما يلي السعد والشقرة مختلفة ألوانه فيه بقع حمر وبيض وسود – وقيل إنها إنما سميت غزوة ذات الرقاع لكثرة الرقاع في الرايات، فأجفلت العرب من بين يديه، ولحقوا برءوس الجبال وبطون الأودية قال المسعودي: وفي هذه الغزاة صلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم صلاة الخوف لقرب العدو منهم، وإشرافهم عليه على ما في ذلك من تنازع في وصفها وكيفيتها بين فقهاء الأمصار وغيرهم، من السلف.

وعاد إلى المدينة وكان استخلف عليها عثمان بن عفان، وكانت غيبته خمس عشرة ليلة ثم غزوته صلّى الله عليه وسلّم دومة الجندل، وهي أول غزواته للزوم، وبين دومة الجندل وبين دمشق خمس ليال، وبينها وبين المدينة خمس عشرة ليلة، وقيل ثلاث عشرة وكان صاحبها – أكيدر بن عبد الملك الكندي – يدين بالنصرانية، وهو في طاعة هرقل ملك الروم، وكان يعترض سفر المدينة وتجارهم، فبلغ أكيدر مسيرة فهرب، وتفرق أهل دومة الجندل وصار إليها فلم يجد بها أحداً، فأقام أياماً وعاد إلى المدينة، وكان استخلف عليها ابن أم مكتوم وفي هذه السنة وادع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري

ثم غزوته صلّى الله عليه وسلّم لليلتين خلتا من شعبان، بني المصطلق بن سعد بن عمرو – وهو خزاعة ومنه تفرقت بطونهم – ابن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر، وإنما سموا خزاعة

بانخزاعهم من جملة الأزد إلى بطن مر عند مسيرهم من مأرب، وفي ذلك يقول شاعرهم:

ولما هبطنا مر تخزعت ... خزاعة منا في حلول كراكر

وكانوا على ماء لهم يعرف بالمريسيع بطريق الفرع، والفرع على ثمانية برد من المدينة فناجزهم فانهزموا، فقتل وأسر وسبى الذراري والأموال، فكان في السبي جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار رئيس بني المصطلق، وكانت صارت لبعض الأنصار فكاتبها، فأدى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كتابتها وتزوجها، فتعق الناس بقية السبي ببركتها، وعاد إلى المدينة، وكان قد استخلف عليها زيد بن حارثة مولاه. وكانت غيبته ثمانية عشر يوماً.

وفي هذه الغزاة فقد عقد عائشة، وقال فيها أهل الإفك ما قالوا وهم: مسطح ابن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف، وهو ابن خالة أبي بكر، وكان في عياله – وحسان بن ثابت بن المنذر بن حرم بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار – وهو تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج – وعبد الله بن أبي بن سلول، وهو الذي تولى كبره منهم، وحمنة ابنة جحش ابن رئاب.

والذي ذكروه صفوان بن المعطل السلمي، وكان صاحب الساقة في تلك الغزاة، فلما أنزلت براءتها جلدهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ثمانين جلدة، إلا عبد الله بن أبي بن سلول فإنه لم يجلده، وفي ذلك يقول عبد الله بن رواحة، وقيل كعب بن مالك

لقد ذاق حسان الذي هو أهله ... وحمنة إذ قالوا هجيراً ومسطح

تعاطوا برجم الغيب زوج نبيهم ... وسخطة ذي العرش الكريم فأبرحوا

وفيها نزلت آية التيمم على ما في ذلك من التنازع بين الأسلاف والأخلاف في كيفية التيمم ثم غزوته صلّى الله عليه وسلّم الخندق، وهي غزوة الأحزاب؛ سارت إليه قريش وغطفان وسليم وأسد وأشجع وقريظة والنضير وغيرهم من اليهود، فكان عدة الجميع أربعة وعشرون ألفاً، منها قريش وأتباعها أربعة آلاف، معهم ثلاثمائة فرس، وألف وأربعمائة بعير قائدهم أبو سفيان صخر بن حرب، والمسلمون نحواً من ثلاثة آلاف، وذلك في شوال، وقيل في ذي القعدة فأشار سلمان الفارسي على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالخندق،

فخندق وأقاموا محاصرين للمدينة يتناوشون ثم نصر الله رسوله، وهزم الأحزاب، وردهم بغيظهم لم ينالوا خيراً، واستخلف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على المدينة ابن أم مكتوم وقد تنوزع في مدة إقامتهم على الخندق؛ فمنهم من قال شهر، ومنهم من قال خمسة عشر يوماً، وقيل غير ذلك ثم غزوته صلّى الله عليه وسلّم قريظة من اليهود لمظاهرتهم قريشاً عليه، سار إليهم عند منصرفه من الخندق، وذلك لسبع بقين من ذي القعدة، وكانوا على بعض يوم من المدينة، فحصرهم خمسة عشر يوماً وقيل أكثر من ذلك، ثم نزلوا على حكم سيد الأوس سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد ابن عبد الأشهل فحكم بقتل مقاتلهم وسبي ذراريهم، وكان سعد رمي يوم الخندق بسهم فقطع أكحله فكانت لمآبه، فقتل من قريظة سبعمائة وخمسين رجلاً صبراً.

وعاد إلى المدينة، وكان استخلف عليها أبا رهم الغفاري كلثوم بن الحصين وتوفي سعد بن معاذ بعد رجوع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى المدينة وفي هذه السنة تزوج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم زينب ابنة جحش بن رئاب الأسدية؛ أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، وهي ابنة عمته أميمة بنت عبد المطلب ثم سرية أبي عبيدة بن الجراح الفهري فهر قريش، وهو عامر بن عبد الله ابن الجراح بن هلال بن وهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر ابن كنانة في ذي الحجة إلى سيف البحر

ذكر السنة السادسة من الهجرة

سنة الاستئناس

ثم سرية محمد بن مسلمة الأنصاري في المحرم إلى القرطاء من بني أبي بكر ابن كلاب بناحية ضريّة، بموضع يقال له البكرات، وضرية على سبعة أميال من المدينة.

ثم غزوة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بني لحيان من هذيل، وكانوا بالقرب من عسفان خرج إليهم لهلال ربيع الأول ثائراً بمن قتلوا من أصحابه بالرجيع فاعتصموا برءوس الجبال

وفيها بعث فيما قيل عمر بن الخطاب سرية إلى القارة، فاعتصموا بالجبال أيضاً، وبعث هلال بن الحارث المزني إلى بني مالك بن فهر فهربوا منه، وبعث بشر ابن سويد الجهني إلى بني الحارث بن كنانة فاعتصموا بغيضة فأضرمها عليهم فاحترقوا، فأنكر النبي صلّى الله عليه وسلّم ذلك ورجع إلى المدينة ولم يلق كيداً، وكان استخلف عليها ابن أم مكتوم، وكانت غيبته أربع عشرة ليلة ثم غزوته صلّى الله عليه وسلّم الموضع المعروف بذي قرد من طريق خيبر وهو على ليلتين من المدينة، وكان عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، أغار على لقاحه وهي بالغابة، وهي على بريد من المدينة أو أكثر.

فخرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوم الأربعاء لأربع خلون من شهر ربيع الأول فاستنقذ بعضها وعاد إلى المدينة وكان استخلف عليها ابن أم مكتوم، وكانت غيبته خمس ليال ثم سرية سعد بن عبادة الخزرجي إلى الموضع المعروف بالغميم ثم سرية أبي عبيدة بن الجراح إلى جبلي أجأ وسلمى ثم سرية عكاشة بن محصن الأسدي الغمر غمر مرزوق قال المسعودي. والغمر على ليلتين من فيد، طريق الكوفة وكان لبني أسد ثم سرية محمد بن مسلمة الأنصاري في شهر ربيع الأول إلى ذي القصة. وبين ذي القصة والمدينة عشرون ميلاً على طريق الربذة من جادة العراق إلى بني ثعلبة، وأناس من تغلب، وكان في عشرة نفر فقتلوا وهم نيام وأفلت محمد جريحاً ثم سرية أبي عبيدة بن الجراح إلى ذي القصة أيضاً في شهر ربيع الآخر ثم سرية زيد بن حارثة إلى بني سليم بالجموم، والجموم من بطن نخل عن يسارها، وبطن نخل على أربعة برد من المدينة ثم سرية زيد بن حارثة أيضاً في جمادى الأولى إلى العيص، وهي طريق ذي المروة عن يمينها على ليلة منها مما يلي البحر، وهي على أربع مراحل من المدينة والطرف ماء قرب من المراض دون النّخيل، وهو على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة على طريق العراق.

ثم سرية زيد بن حارثة أيضاً في جمادى الآخرة أيضاً، إلى جذام بحسمى وحسمى وراء وادي القرى مما يلي بلاد فلسطين من أرض الشأم.

ثم سرية زيد بن حارثة أيضاً في رجب إلى وادي القرى لاجتماع فزارة هنالك، فقامت

بالحرب أم قرفة، فانصرف زيد راجعاً.

ثم سرية عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة ابن كلاب في شعبان إلى دومة الجندل.

ثم سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى بني سعد بفدك، وبين فدك وبين المدينة نحو من خمس ليال.

ثم سرية زيد بن حارثة في شهر رمضان إلى أم قرفة، وهي فاطمة ابنة ربيعة ابن زيد الفزارية، وكانت بنواحي وادي القرى على سبع ليال من المدينة، فهزم فزارة وقتل أم قرفة.

ثم سرية عبد الله بن عتيك في هذا الشهر إلى أبي رافع سلام بن أبي الحقيق النضري بخيبر فقتله ثم سرية عبد الله بن رواحة الأنصاري من بني كعب بن الحارث بن الخزرج إلى أسير بن رزام اليهودي بخيبر فقتله ثم سرية كرز بن جابر الفهري في شوال إلى العرنيين الذين ارتدوا عن الإسلام وقتلوا راعي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، واستاقوا الإبل. وذلك بالموضع المعروف بذي الجدر بناحية قباء قريب من عين على ستة أميال من المدينة،فأتى بهم فسملت أعينهم، وقطعت أيديهم وأرجلهم على ما في هذا الخبر من التنازع بين فقهاء الأمصار في معناه، وفي آية المحاربة وأحكام المحاربين وحدثنا أبو مسلم إبراهيم بن عبد الله الكشي عن أبي النعمان عارم بن الفضل السدوسي وسليمان بن حرب بن عثم عن حماد بن زيد.

وحدثنا أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي قال حدثنا سليمان بن حرب عن حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة عن أنس بن مالك الأنصاري أن قوماً من عكل أو عرينة قدموا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فاجتووا المدينة. فأمر لهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بلقاح، وأمرهم أن يشربوا من ألبانها وأبوالها فانطلقوا فلما صحوا قتلوا رعاة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم واستاقوا الغنم فبلغ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الخبر من أول النهار فأرسل في طلبهم، فما ارتفع النهار حتى أتي بهم، فقطعت أيديهم وأرجلهم، وسملت أعينهم، وألقوا بالحرة، فيستقون فلا يسقون حتى ماتوا

وقد روي أن النبي صلّى الله عليه وسلّم إنما سمل أعينهم لأنهم سملوا أعين الرعاة، فجعل السمل قصاصاً، كذلك ذكر يزيد بن زريع عن سليمان التيمي عن أنس بن مالك.

قال المسعودي: والعرينون من ولد عرينة بن نذي ربن قسر بن عبقر بن بجيلة، وبجيلة امرأة سمي ولدها بها وهم بنو أنمار بن أراش بن عمروا بن الغوث أخي الأزد بن الغوث وعند نساب ربيعة ومضراً بني نزار، بجيلة من ولد أنمار بن نزار بن معد، وفي كلب عرينة أخرى، وهي عرينة بن ثور بن كلب بن وبرة والعكليون ولد عكل بن عبد مناة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر ثم غزوة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الحديبية، خرج للعمرة في ذي القعدة في ألف وستمائة رجل، وساق معه سبعين بدنة، فصده المشركون عن الدخول إلى مكة، فأقام بالحديبية. وهي من مكة على تسعة أميال مما يلي طرف الحرم وفيها كنت بيعة الرضوان تحت الشجرة على الموت، وذلك لما بعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عثمان بن عفان إلى أهل مكة يعلمهم أنه لم يأت محارباً، وإنما جاء معتمراً، فاحتبسوا عثمان، واستفاضت الأخبار بقتله، فوقعت البيعة حينئذ.

وخرج إليه سهيل بن عمرو بن عبد شمس من بني عامر بن لؤي بن غالب فصالحه على موادعة عشر سنين على أن ينصرف في تلك السنة، ويأتي في العام المقبل فيخلوا له مكة ثلاثة أيام، فنحر وحلق بالحديبية، وجعلها عمرة وانصرف إلى المدينة، وكان استخلف عليها ابن أم مكتوم، وفي منصرفه عن الحديبية قال لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بغدير خم، " من كنت مولاه فعلي مولاه " وذلك في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة.

وغدير خم يقرب من الماء المعروف بالخرار بناحية الجحفة، وولد علي رضي الله عنه وشيعته يعظمون هذا اليوم وفي هذه السنة أجدب الناس، فاستسقى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في شهر رمضان، وفيها أسلم المغيرة بن شعبة وفيها انكشف شهر براز صاحب أبرويز بن هرمز عن الروم، وظهرت الروم على الفرس، وفيهم نزلت " الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون "

ذكر السنة السابعة من الهجرة

سنة الاستغلاب

ثم غزوة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في المحرم خيبر، وهي على ثمانية برد من المدينة في ألف وأربعمائة راجل، والخيل مائتا فرس، فحاربه بعض أهل الحصون، فافتتحها عنوة، وبعضهم جنح إلى الصلح فأجلاهم ثم سألوه أن يقر الأرض في أيديهم على أن يعتملوها ولهم شطر الثمرة فأجابهم إلى ذلك، فكان يبعث عبد الله بن رواحة الأنصاري في كل سنة، فيخرص عليهم، فلما قتل بمؤتة وجه مكانه جبار بن صخر،فكانوا على ذلك إلى أيام عمر بن الخطاب، فأخرجهم من الحجاز لأنه بلغه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال في مرضه الذي مات فيه " لا يجتمع دينان في جزيرة العرب " على ما في هذا الخبر من التنازع بين فقهاء الأمصار في المساقاة واصطفى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من سبي حصن القموص صفية بنت حيي بن أخطب بن النضير، وكانت عند كنانة بن أبي الحقيق فأعتقها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وجعل عتقها صداقها كذلك ذكر عبد العزيز بن صهيب، وثابت البناني، وشعيب بن الحبحاب عن أنس بن مالك على ما في ذلك من التنازع في معنى هذا الخبر، وهل ذلك خاصاً للنبي صلّى الله عليه وسلّم، أم لأمته التأسي به فيه وفي هذه الغزاة قدم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ومن معه، من أرض الحبشة، ومعهم أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب، وكان النجاشي ملك الحبشة زوجها من النبي صلّى الله عليه وسلّم وأدى عنه المهر، وكانت عند عبد الله بن جحش بن رئاب من بني غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة ابن إلياس بن مضر، وكان هاجر إلى أرض الحبشة وهي معه فتنصر، ففارقته.

وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عند قوم جعفر " ما أدري بأيهما أنا أبشر، بفتح خيبر، أم بقدوم جعفر "

وفي هذه الغزاة سم النبي صلّى الله عليه وسلّم وسلم في ذراع شاة أهدتها له زينب بنت الحارث اليهودية امرأة سلام بن مشكم اليهودي؛ وكانت سألت: أي عضو من الشاة أحب إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؟ فقيل لها الذراع، فأكثرت فيها السم، وسمت سائر الشاة ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يدي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم تناول الذراع فلاك منها مضغة فلم يسغها، ومعه بشر بن البراء ابن معرور الأنصاري من بني سلمة من الخزرج قد أخذ منها كما أخذ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فأما بشر فأساغها، وأما رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فلفظها ثم قال " إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم " ودعا بها فاعترفت، فقال " ما حملك على ذلك؟ " قالت بلغت من قومي ما لم يخف عليك، فقلت إن كان نبياً فسيخبر، وإن كان ملكاً استرحت منه وقومي، فتجاوز عنها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومات بشر من أكلته التي أكل فقتلها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حينئذ وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في مرضه الذي توفي فيه ودخلت عليه أم بشر ابن البراء تعوده، فقال " يا أم بشر إن هذا الأوان وجدت انقطاع أبهري من الأكلة التي أكلت مع ابنك بخيبر " وكان المسلمون يرون أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد مات شهيداً، مع ما أكرمه الله به من النبوة - كذلك ذكر سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق عن مروان بن عثمان بن أبي سعيد بن المعلى قال المسعودي: وذكر أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب غريب الحديث أنه قال صلّى الله عليه وسلّم " ما زالت أكلة خيبر تعادّني في كل عام فهذا أوان قطعت أبهري " قال أبو عبيد مفسراً لذلك: تعادّني من العداد وهو الشيء الذي يأتيك لوقت معلوم مثل الحمى الربع والسم الذي يقتل لوقت فإنه يعادّ صاحبه لأيام حتى يأتي وقته الذي يقتل فيه، وأصله من العدد، والأبهر عرق مستبطن الصل، والقلب متصل به، فإذا انقطع لم يكن معه حياة.

ولما سمع أهل فدك بما نال أهل خيبر، ومن صالح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم منهم، ومساقاته إياهم بعثوا إليه يسألونه أن يحقن دماءهم ويخلوا له الأموال ففعل فكانت فدك خالصة لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم لأن المسلمين لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب.

وسار رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن خيبر إلى وادي القرى، فحصرهم أياماً حتى افتتحها عنوة وكان أهل تيماء أعداء لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ورؤساؤهم آل السموأل ابن عادياء بن حيّا بن رفاعةبن الحارث بن ثعلبة بن كعب بن عمروا مزيقياء بن عامر، والسموأل أحد أوفياء العرب، وهو صاحب الحصن المعروف بالأبلق الفرد، وقد ذكره أعشى بني قيس بن ثعلبة في مديحه لشريح بن السموأل فقال:

بالأبلق الفرد من تيماء منزله ... حصن حصين وجار غير غدار

فلما بلغهم ما نزل بأهل وادي القرى صالحوا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على أداء الجزية، ورجع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى المدينة وكان استخلف عليها سباع بن عرفطة الأنصاري واتخذ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الخاتم في المحرم، ونقش عليه محمد رسول الله، وكاتب الملوك شهر ربيع الأول ونفذت كتبه ورسله إليهم يدعوهم إلى الإسلام، وافتتح كتبه إليهم " ببسم الله الرحمن الرحيم " وكان صلى الله عليه وسلم أولاً يكتب كما تكتب قريش باسم اللهم حتى نزل عليه " اركبوا فيها باسم الله مجريها " فكتب بذلك إلى أن نزل عليه " قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياماً تدعوا فله الأسماء الحسنى " فكتب " بسم الله الرحمن " حتى نزل عليه " إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم " فكتب بذلك وقد أتينا على السبب في كتبة قريش باسمك اللهم في أخبار أمية بن أبي الصلت الثقفي من الأخبار المسعوديات المنسوبة إلينا.

فبعث عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى أبرويز بن هرمز ملك فارس، وهو يومئذ بالمدائن من أرض العراق، فمزق كتاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وكتب إلى باذام عامله على اليمن أن يشخصه إليه فبعث إليه أسوارين في عدة، وهما فيروز بن الديلمي وخرخسرو، وقيل بابويه، وقال تأتوني به، فقدما المدينة على النبي صلّى الله عليه وسلّم فأخبرها أن شيرويه بن أبرويز ملكهم قد قتل أباه في تلك الليلة، فرجعا إلى باذام فأخبراه، فكان الأمر كما ذكر صلّى الله عليه وسلّم فأسلما وأسلم باذام والأبناء بصنعاء، وهم

الذي ساروا إلى اليمن مع خرزاد بن نرسي بن جاماسب أخي قباذ بن فيروز الملك.
وكان أنوشروان سمي مرتبته وهرز حين أنفذه مع سيف بن ذي يزن الحميري منجداً له على الحبشة حين غلبت على اليمن، فقتلوا مسروق بن أبرهة الأشرم آخر ملوك الحبشة باليمن وأقاموا بها.
وكان جميع من ملك اليمن من الحبشة أربعة أولهم أرياط، وقيل أبرهة الأشرم ثم أبرهة وهو السائر إلى البيت الحرام بالفيل المذكور في القرآن ثم يكسوم ابنه، ثم مسروق ابنه أيضاً، ومدة ما ملكوا من السنين نيف وسبعون سنة، وكان قطعهم البحر من ساحل الحبشة إلى ساحل اليمن من الموضع المعروف بالمندب وهما جبلان، وهذا الموضع أضيق أعبار هذا البحر، وإنما عرضه نحو من ميل ويتصل به من ساحل اليمن ساحل المخا وهي متصلة بغلافقة ساحل زبيد من أعمال ابن زياد في هذا الوقت ومن الناس من يسمى وهرز الديلمي لأنه ولي مرزبة الديلم والجيل لا أنه كان ديلمياً.
وبعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم دجية بن خليفة الكلبي وهو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد بن امرئ القيس بن الخزج والخزج العظم وهو زيد مناة بن عامر بن بكر بن عامر الأكبر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب. إلى هرقل ملك الروم، وعمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي أصحمة بن بحر ملك الحبشة، والعلاء بن الحضرمي إلى المنذر ابن ساوي أحد بني عبد القيس صاحب البحرين، وسليط بن عمرو العامري إلى هوذة بن علي الحنفي صاحب اليمامة، وشجاع بن وهب الأسدي إلى الحرث بن أبي شمر الغساني عامل هرقل ملك الروم على دمشق وأعمالها، وكان ينزل الجولان ومرج الصفّر،وحاطب بن أبي بلتعة اللخمي وقيل العبسي حليف بني أسد بن عبد العزى إلى المقوقس المقرقب النوبي بالنون عظيم القبط ببلاد الإسكندرية ومصر، والنون هو قبيل من القبط.
قال المسعودي: وقد أتينا على أخبار هؤلاء الرسل مع من أرسلوا إليه ورسل من كان بعد النبي صلّى الله عليه وسلّم من الخلفاء والملوك ووفودهم إلى سائر الملوك والأمم إلى هذا

الوقت وهو سنة 345 في خلافة المطيع في كتاب فنون المعارف وما جرى في الدهور السوالف وقيل إن بعثة الرسل إلى هؤلاء الملوك كان في السنة السادسة من الهجرة قبل فتحه خيبر ثم سرية عمر بن الخطاب في شعبان إلى الموضع المعروف بتربة وتربة ناحية الغبلاء، على أربع ليال من مكة وقيل خمس، طريق صنعاء ونجران اليمن ثم سرية أبي بكر في هذا الشهر إلى بني كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ابن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار، بناحية ضرية، ثم سرية بشير بن سعد الأنصاري، ثم الخزرجي في هذا الشهر أيضاً إلى بني مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بفدك، فأصيب أصحابه وارتث في القتلى.

ثم سرية غالب بن عبد الله الليثي في شهر رمضان إلى الميفعة وراء بطن نخل إلى ناحية النقرة مما يلي نجداً على ثمانية برد من المدينة، وفيها قتل أسامة ابن زيد بن حارثة الرجل الذي قال لا إله إلا الله فلامه النبي صلّى الله عليه وسلّم على قتله فقال إنما قالها احتجاراً فقال " هلا شققت عن قلبه فتعلم أصادق هو أم كاذب؟ " فأنزل الله عز وجل في ذلك ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً " ثم سرية بشير بن سعد الأنصاري في شوال إلى يمن وجبار وهما موضعان نحو الجناب والجناب يعارض خيبر ووادي القرى

ثم خرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن المدينة يوم الاثنين لست ليال خلون من ذي القعدة لعمرة القضاء التي كان المشركون صدوه عنها بالحديبية فخرج المشركون عن مكة ودخلها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأقام بها وأصحابه ثلاثاً ثم خرج عنها وعاد إلى المدينة وكان استخلف عليها سباع بن عرفطة، وفيها تزوج ميمونة الهلالية خالة عبد الله بن العباس على ما في هذا الخبر من التنازع بين فقهاء الأمصار وغيرهم ممن تقدم: أنكحها وهو محل أم محرم؟ وهي ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن الهزم بن روبية بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، وأمها هند بنت عوف بن

زهير بن الحارث بن حماطة بن جرش بن حمير وهي العجوز الجرشية أكرم الناس أصهاراً كان لها ثماني بنات ميمونة ولبابة الكبرى ولبابة الصغرى وعصماء وعزة بنات الحارث بن حزن وسلمى وأسماء وسلامة بنات عميس بن معد بن الحارث بن تيم ابن كعب بن مالك بن قحافة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن معاوية بن زيد بن مالك بن نسر بن وهب الله بن شهران بن عفرس بن أفتل وهم جماعة خثعم بن أنمار على ما في ذلك من التنازع في نسب أنمار ومن ألحقه من نساب النزارية بنزار بن معد بن عدان ومن ألحقه من نساب القحطانية بأراش بن عمرو بن غوث بن نبت بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يعرب بنقحطان.

تزوج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ميمونة على ما وصفنا، وتزوج حمزة بن عبد المطلب سلمى فولدت له أمة الله وقيل أمامة، وتزوج العباس بن عبد المطلب لبابة الكبرى وتكنى أم الفضل فولدت له الفضل لا عقب له وعبد الله أبا الخلفاء من بني العباس وعبيد الله ومعبداً لهما عقب وقثم وعبد الرحمن لا عقب لهما وأم حبيب. ولم يكن أخوة لأم وأب أشرف منهم ولا أبعد قبوراً، مات الفضل بالشأم في طاعون عمواس وعبد الرحمن ومعبد بإفريقية وقثم بسمرقند وعبد الله بالطائف وعبيد الله بالمدينة. وتزوج جعفر بن أبي طالب أسماء فولدت له عبد الله وعوناً ومحمداً ثم تزوجها أبو بكر فولدت له محمداً ثم تزوجها علي بن أبي طالب فولدت له يحيى وعوناً لا عقب لهما، وتزوج الوليد بن المغيرة المخزومي لبابة الصغرى فولدت له خالد بن الوليد وباقي البنات عند أزواج شتى ليس لهم من السابقة في الدين والشرف في النسب ما لهؤلاء.

ثم سرية ابن أبي العوجاء السلمي في ذي الحجة إلى بني السلم، فأصيب أصحابه ونجا مكلوماً ثم سربة عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي في ذي الحجة إلى الغابة فقتل رفاعة ابن زيد الجشمي.

ثم سرية محيصة بن مسعود إلى ناحية فدك.

ثم سرية عبد الله بن أبي حدرد إلى إضم في ذي الحجة أيضاً، وكان فيهم أبو قتادة ومحلم بن جثامة فقتل محلم عامر بن الأضبط الأشجعي لشيء كان بينهما في الجاهلية وقيل بل

قتله بعد أن حيان بتحية الإسلام فقيل إن فيه نزل " ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً، تبتغون عرض الحياة الدنيا "

ذكر السنة الثامنة من الهجرة

سنة الفتح

ثم سرية غالب بن عبد الله الليثي في صفر إلى بني الملوح بكديد بين عسفان وقديد.

ثم سرية أيضاً في صفر إلى مصاب أصحاب يسير بفدك، وفي هذا الشهر قدم عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص ابن كعب بن لؤي بن غالب، وخالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي مهاجرين.

ثم سرية شجاع بن وهب الأسدي في شهر ربيع الأول إلى بني عامر بالسي من ناحية ركبة، مما تلي تربة وركبة وراء معدن بني سليم من المدينة على خمس ليال.

ثم سرية كعب بن عمير الغفاري في هذا الشهر إلى ذات أطلاح، وهي وراء وادي القرى بني تبوك واذرعات من بلاد دمشق من أرض الشأم فقتل أصحابه جميعاً وتحامل إلى المدينة جريحاً.

ثم سرية زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة الأنصاري من بني الحارث بن الخزرج في جمادى الأولى لغزو الروم إلى مؤتة من ناحية البلقاء من أعمال دمشق من الشأم لقتل شرحبيل بن عمرو الغساني الحارث بن عمير الأزدي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى صاحب بصرى، ولم يقتل للنبي صلّى الله عليه وسلّم غيره وكانوا في نحو من ثلاثة آلاف فلقيهم جموع الروم في مائة ألف أنفذهم هرقل للقائهم وهو يومئذ مقيم بأنطاكية وعلى الروم تيادوقس البطريق، وعلى متنصرة العرب من غسان وقضاعة وغيرهم شرحبيل بن عمرو الغساني، فقتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب بعد أن عرقب فرسه، وهو أول فرس عرقبت في الإسلام وجرح نيفاً وتسعين جراحة كلها في مقادمه، وعبد الله

ابن رواحة ورجع خالد بن الوليد بالناس.

ثم سرية عمرو بن العاص في جمادى الآخرة إلى ذات السلاسل وراء وادي القرى بينها وبين المدينة عشرة أيام، فلقيه جموع الروم ومتنصرة العرب فاستمد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فأمده بسرية فيها أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم، وكان لعمرو في هذه السرية أفعال أنكرت عليه منها صلاته بالناس جنباً، ومنعه إيقاد النار مع حاجتهم إليها لشدة القر وكثرة الجراح وغير ذلك، وبلغ النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ما فعل فأجازه لما ذكر فيه من المصلحة للجيش.

ثم سرية أبي عبيدة بن الجراح في رجب إلى أرض جهينة بناحية البحر بينها وبين المدينة خمس ليال.

ثم سرية أبي قتادة النعمان بن ربعي الأنصاري ثم الخزرجي في شعبان إلى خضرة أرض محارب بنجد.

ثم سرية أبي قتادة أيضاً في هذا الشهر إلى بطن إضم بين ذي خشب وذي المروة بينها وبين المدينة ثلاث برد ثم غزوة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مكة وهي غزوة الفتح سار إليها لثلاث ليال خلون من شهر رمضان في عشرة آلاف من المسلمين فدخلها، وكان استخلف على المدينة أبا رهم الغفاري. قال المسعودي: وتنوزع في دخوله أصلحاً كان أم عنوة فقال أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي من الأوازع من حمير في آخرين من أهل الشأم وأهل العراق وغيرهم من أهل الظاهر كأبي سليمان داود بن علي الأصبهاني وغيره فتح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مكة عنوة فخلى بين المهاجرين وأرضهم ودورهم بمكة ولم يجعلها فيئاً واحتجوا بقول النبي صلّى الله عليه وسلّم " ألا إن الله حبس الفيل عن مكة وسلط عليهم رسوله والمؤمنين ألا إنها لم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي " وبقوله " أترون أوباش قريش أنى لقيتموهم فاحصدوهم حصداً " وأمره بقتل ابن خطل وعبد الله بن سعد بن أبي سرح ومقيس بن حبابة وغيرهم؛ وغير ذلك من الحجاج فقال أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي وموافقته: لم يدخلها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عنوة وإنما

دخلها صلحاً، وقد تقدم لهم أمان بقوله من دخل داره فهو آمن، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ودليل قول الله عز وجل: " وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم " .

وقد روي أن هذه الآية نزلت في غزوة الحديبية كذلك حدثنا أبو جعفر محمد بن جرير الطبري عن بشر بن معاذ عن يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة

وذهب أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي من ذي أصبح بن مالك من حمير وغيره من أهل المدينة إلى مثل ذلك فإنهم لما أمنوا على أنفسهم كانت أموالهم تبعاً لهم، وقال آخرون منهم أبو عبيد القاسم بن سلام افتتح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مكة ومن على أهلها فردها عليهم ولم يقسمها ولا جعل فيئاً وغير ذلك من الحجاج، وأمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بقتل عدة، منهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح بن حبيب بن جذيمة بن نصر بن مالك بن حسل ابن عامر بن لؤي وكان أخا عثمان بن عفان لأمه وأحد من كتب الوحي فارتد مشركاً ولحق بمكة فلما أمر النبي صلّى الله عليه وسلّم بقتله أخفاه عثمان ثم أتى به النبي صلّى الله عليه وسلّم سائلاً فيه فصمت النبي صلّى الله عليه وسلّم طويلاً، ثم قال " نعم " فلما انصرف به عثمان قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لمن حضره من أصحابه " أما والله لقد صمت ليقوم أليه بعضكم فيضرب عنقه " فقال رجل من الأنصار: فهلا أومأت يا رسول الله؟ فقال " إن النبي لا يقتل بالإشارة " ومنهم عبد الله بن خطل من تيم بن غالب بن فهر بن مالك، وقيل إن اسمه هلال بن خطلن وابن خطل هو عبد الله وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أمره مصدقاً وكان معه رجل من الأنصار وغلام له فقتل الغلام لخلاف كان منه عليه وارتد مشركاً وكانت له قينتان تغنيان بهجاء النبي صلّى الله عليه وسلّم، فأمر بقتلهما معه، ومقيس بن حبابة من بني كلب بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر وكان قتل رجلاً من الأنصار قتل أخاً له خطأ وكان رجع إلى مكة مرتداً،

وعكرمة ابن أبي جهل المخزومي، والحويرث بن نقيذ بن وهب بن عبد بن قصي وكان ممن يؤذيه بمكة فقتله علي بن أبي طالب عليه السلام، وسارة مولاة كانت لبني عبد المطلب وكانت ممن يؤذيه بمكة أيضاً وبث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم السرايا حول مكة وكان أولها سرية خالد بن الوليد في شهر رمضان إلى نخلة اليمانية لهدم العزى فهدمها.

ثم سرية عمرو بن العاص في شهر رمضان إلى سواع برها فهدمه.

ثم سرية سعد بن زيد الأشهلي من الأوس في هذا الشهر إلى مناة بالمشلل فهدمه.

ثم سرية خالد بن سعيد بن العاص إلى عرنة.

ثم سرية هشام بن العاص إلى يلملم.

ثم سرية الطفيل بن عمرو الدوسي في شوال إلى ذي الكفين صنم عمرو بن حممة الدوسي فهدمه.

ثم سرية خالد بن الوليد إلى بني خزيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة وكانوا أسف مكة على ليلة منها نحو يلملم، بعثه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم داعياً، ولم يأمره بالقتال فقتلهم بالغميصاء، فوادهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

ثم غزوة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم هوازن وهي غزوة حنين

قال المسعودي: وحنين واد إلى جانب ذي المجاز بينه وبين مكة ثلاث ليال، وكان خروجه صلّى الله عليه وسلّم في اثني عشر ألفاً من أهل مكة والخيل مائتا فرس وقيل أكثر من ذلك وطلب صلّى الله عليه وسلّم من صفوان بن أمية عارية أدراعاً كانت عنده وصفوان يومئذ مشرك قد استأجل النبي صلّى الله عليه وسلّم بإسلامه شهرين فقال أغصباً يا محمد؟ فقال " بل عارية مضمونة حتى نؤديها إليك " فأعطاه مائة درع مما يصلحها من السلاح على ما في هذا الخبر من اختلاف الألفاظ واضطراب الأسانيد وتنازع الناس في العارية مضمنة هي كما قال الشافعي وغيره اشترط ذلك المعير أم لم يشترط، وهو وقول يعزى إلى ابن عباس وأبي هريرة وغيرهما أم غير مضمنة كما قال أبو حنيفة النعمان بن ثابت وصاحباه وسفيان

الثوري وأهل الطاهر، ويعزى ذلك إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وعبد الله بن مسعود أم تكون مضمنة إذا اشترط ضمانها كما قال قتادة وغيره، أو كما قال مالك ما كان من ذلك ظاهراً مثل الرقيق وغيره من الحيوان أو الربع فلم يبعد ذلك لم يكن ضامناً، وما كان من العروض والحلي وغيره ذلك فهو ضامن إلا أن يصيبه أمر من أمر الله تعالى يعذر به أو يقوم له بينة فلا يضمن وغير ذلك من الأقاويل مع اتفاق الجميع على أن المستعير لا يملك العارية واتفاقهم على أن له الشيء المستعار فيما أذن له مالكه أن يستعمله فيه، واتفاقهم على أن المستعير إذا أتلف الشيء المستعار أن عليه ضمانه فلقي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم هوازن بأوطاس عليهم مالك بن عوف النصري نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة ابن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار ودريد بن الصمة الجشمي جشم بن بكر ابن هوازن وكان أحد فرسان العرب وشجعانهم وهو يومئذ شيخ كبير ضرير، قيل قد جاوز المائتي سنة ليس فيه إلا التيمن برأيه وكان من حضر ذلك اليوم من هوازن نصر وجشم أبناء معاوية بن بكر بن هوازن وسعد بن بكر بن هوازن ونفر من بني هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ولم يحضرها أحد من بني نمير ولد عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر ابن هوازن، ولا من كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، ولا من ولد كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وهم عقيل والحريش وقشير وجعدة وعبد الله وحبيب بنو كعب فهزمهم الله وغنم رسوله أموالهم وذراريهم، وقتل دريد بن الصمة يومئذ في نوح من مائة وخمسين رجلاً من هوازن، وهرب مالك بن عوف.

ثم غزوة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في رجب تبوك مما يلي دمشق من أرض الشأم، وبين تبوك والمدينة تسعون فرسخاً، وذلك مسيرة اثنتي عشرة ليلة وكان معه في هذه الغزاة ثلاثون ألفاً، الخيل عشرة آلاف، والإبل اثنا عشر ألف بعي، ويسمي جيش العسرة لأنهم أمروا بالخروج لما طابت الثمار واشتد الحر وطاب لهم الظلال، شق عليهم الخروج لبعد المسافة، وعسرة من الماء، وعسرة من النفقة والظهر، وحث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم

الأغنياء على النفقة والحملان، فصار إلى تبوك، فأقام بها بضع عشرة ليلة، وقيل عشرين، يصلي ركعتين ركعتين، وعاد إلى المدينة وكان استخلف عليها علي بن أبي طالب وقد ذهب قوم إلى أنه استخلف عليها أبا رهم الغفاري وعلى أهله علي بن أبي طالب، وقيل بل استخلف عليها بن أم مكتوم، وقيل محمد بن مسلمة، وقيل سباع ابن عرفطة، وتخلف عبد الله بن أبي معسكراً في الموضع المعروف بالجرف في قطعة من الجيش، وفي هذه الغزاة قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لعلي بن أبي طالب لما خلفه بالمدينة ولم يخلفه قبلها، وقد رأى كراهية علي لذلك " أفلا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي " والأشهر أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم استخلف علياً على المدينة، ليكون مع من ذكرنا من المتخلفين، وقد ذكرنا السبب الذي له ومن أجله خلفه، وسبب تخلف عبد الله ابن أبي فيما ذكرنا في كتاب الاستذكار، لما جرى في سالف الأعصار الذي كتابنا هذا تال له، وفيها كانت قصة الثلاثة الذين خلفوا، فأنزل الله عز و جل " وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت " وهم من الأنصار، كعب بن مالك الخزرجي، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية الأوسيان

وقد أتينا على ما كان بينه وبين هرقل، ملك الروم من المراسلات في هذه الغزاة في حال مقامه صلّى الله عليه وسلّم بتبوك، وهرقل يومئذ بحمص، وقيل بدمشق فيما سلف من كتبنا وبعث من هناك خالد بن الوليد المخزومي إلى أكيدر بن عبد الملك الكندي صاحب دومة الجندل، فأخذه أسيراً وفتح الله عليه دومة؛ وجاءه وهو بتبوك أسقف أيلة يحنة بن روبة فصالحه على أن على كل حالم بها ديناراً في السنة، وقدم عليه أهل أذرح فسألوه الصلح على الجزية فقبلها وكتب لهم كتاباً، وفي هذه الغزاة نهى عن إخصاء الخيلن وغزوة تبوك آخر غزواته صلّى الله عليه وسلّم وفي انصرافه من هذه الغزاة هم عدة من المنافقين باغتياله صلّى الله عليه وسلّم ليلاً وإلقائه في الثنية، وهم المعروفون بأصحاب العقبة، فحال الله بينهم وبين ما أرادوا بنبيه وظهره عليهم، وقد أتينا على شرح خبرهم وسمائهم في كتاب

الاستذكار عند ذكرنا هذه الغزاة، وأمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بهدم مسجد الضرار وإحراقه؛ وكان في بني سالم بن عوف بن الأوس، وفيه أنزل الله عز وجل " الذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حاربا الله ورسوله " .

وتوفيت أم كلثوم ابنة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في شعبان، وفي ذي القعدة من هذه السنة كانت وفاة عبد الله بن أبي مالك بن الحارث بن عبيد بن مالك بن الحبلي، وهو سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج بن حارثة، وأم أبيه سلول امرأة من خزاعة بها تعرف، وكان أحد المنافقين، وقدم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المدينة مهاجراً، والتاج ينظم له ليملك وسن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في هذه السنة فرائض الصدقات وأوجب في الغلات مما سقي سيحاً أو سقته السماء العشر، وما سقي بالنواضح نصف العشر، على ما في ذلك من التنازع بين فقهاء الأمصار في الوسق والحصر وغير ذلك.

ثم وجه عليه الصلاة والسلام أبا بكر الصديق رضي الله عنه في ذي الحجة ليحج بالناس ونزلت عليه سورة براءة، فبعث بسبع آيات من صدرها مع علي بن أبي طالب، وأمره أن يقوم بها على الناس بمنى إذا اجتمعوا، وقال " أذن في الناس أنه لا يدخل الجنة كافر،ولا يحج بعد هذا العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عهد فهو له إلى مدته، وأجل الناس أربعة أشهر من يوم تنادى، ليرجع كل قوم إلى مأمنهم، ثم لا عهد لمشرك ولا ذمة " وحمل علياً على ناقة العضباء، على ما في هذا الخبر من التنازع والتأول بين فرق أهل الصلاة وأصحاب النص من الشيعة، وأصحاب الاختيار من المعتزلة والخوارج والمرجئة وفقهاء الأمصار وغيرهم من الحشوية والنابتة، فحج المسلمون وحج المشركون على منازلهم من الشرك، وقام علي بمنى على ما أمره رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ولم تمض سنة حتى دخلت العرب في الإسلام، وكانوا أكثر من مائة ألف وتعايروا بالشرك بينهم، والمقام عليه.

ذكر السنة العاشرة من الهجرة

سنة حجة الوداع

ثم سرية أسامة بن زيد إلى يبنى وأزدود من أرض فلسطين من بلاد الشأم.
ثم سرية خالد بن الوليد في شهر ربيع الأول إلى بني عبد المدان من بني الحارث بن كعب، من ولد عريب بن زيد بن كهلان بنجران اليمن، وفي هذا الشهر توفي إبراهيم بن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وكان من مولده إلى وفاته سنة وعشرة أشهر وعشرة أيام وكسفت الشمس يومئذ. فقال قوم إنما كسفت لموته، فصلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم صلاة الكسوف. ثم قال " أيها الناس إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله عز وجل لا يكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى الله " ثم سرية علي بن أبي طالب عليه السلام في شهر رمضان إلى اليمن، وكتب معه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كتاباً يدعوهم إلى الإسلام، فجمعوا له فقرأ عليهم كتاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ودعاهم إلى الإسلام، فأسلمت همدان كلها في يوم واحد

واسم همدان أو سلة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، ثم تتابعت اليمن على الإسلام، وقدمت على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وفودهم، فكتب لهم كتباً بإقرارهم على ما أسلموا عليه من أموالهم وأرضهم، ووجه عماله لتعرفيهم شرائع الإسلام، وقبض صدقاتهم، وجزية من أقام على دين النصرانية والمجوسية واليهودية منهم وقدم على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بمال البحرين، وكان حليفاً لبني أمية وهو أول مال حمل إلى المدينة ففرقه على الناس، وقدمت وفود العرب عليه من كل وجه من معد واليم، وكانت تتربص بإسلامها فلما فتح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مكة ودانت له قريش، انقادت له العرب إلى الإسلام وقد وفد بني حنيفة بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل من اليمامة فيمن قدم من الوفود، وفيهم مسيلمة الكذاب بن ثمامة بن كثير بن حبيب بن الحارث بن عبد الحراث بن عدي بن حنيفة، ويكنى أبا ثمامة، وبنو حنيفة يسترونه بالثياب فلما رجعوا أظهر مسيلمة أمره بادعائه النبوة. وصار إليه في هذه السنة السيد العقاب وافداً أهل نجران يسألانه الصلح، فصالحهما عن

أهل نجران على ألفي حلة في السنة وغير ذلك.
ثم خرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حاجاً لخمس بقين من ذي القعدة وقد ساق معه الهدي ستين بدنة، وقيل أكثر من ذلك وأقل، فلما صار بالموضع المعروف بسرف، أمر الناس أن يحلوا بعمرة إلا من ساق الهدي، ودخل مكة وقدم علي بن أبي طالب من نجران اليمن مهلاً بالحج، فقال له النبي صلّى الله عليه وسلّم: " بأي شيء أهللت؟ " قال قلت: حين أحرمت اللهم إني أهل بما أهل به عبدك ورسولك، فقال له " هل معك من هدي؟ " قال: لا، فأشركه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في هديه، وثبت على إحرامه مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حتى فرغا من الحج.
ونحر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الهدي عنهما وحج بالناس وأراهم مناسكهم وعرفهم سنن حجهم، وأعلمهم أن دماءهم وأموالهم عليهم حرام، وأن كل دم موضوع، فسميت حجة الوداع لأنه ودعهم ولم يحج بعدها، وتسمى أيضاً حجة البلاغ لأنه حين ودعهم خطبهم فقال في خطبته " ألا أن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض " وهذا القول بين ماضي الزمان ومستقبله مثبت لبطلان النسيء على ما قدمناه مفصلاً فيما سلف من كتابنا هذا. ثم قال " اللهم هل بلغت؟ " فقالوا نعم فقال " اللهم اشهد " وأحج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم نساءه كلهن معه وابنته فاطمة وقيل إنه أفرد الحج، وقيل أقرن، وقيل إنه كسا البيت في حجته الحبرات
ذكر السنة الحادية عشرة من الهجرة
سنة الوفاة
فيها كان توجيه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عمرو بن العاص إلى جيفر وعباداً بني الجلندي بن مسعود الأزديين صاحبي عمان بدعوهما إلى الإسلام فأسلما، وفي هذه السنة قوي أمر الأسود العنسي الكذاب المتنبي باليمن وهو عبهلة بن كعب بن الحارث بن عمرو بن عبد الله بن سعد بن عنس بن مذحج وهو مالك بن أدد بن زيد بن يشجدب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وكان بدء أمره

بالموضع المعروف بكهف خبان وكان يدعى ذا الحمار، لحمار كان معه قد راضه وعلمه يقول له اسجد فيسجد ويقل له اجث فيجثو، وغير ذلك من أمور كان يدعيها ومخاريق كان يأتي بها يجتذب بها قلوب متبعيه وقتل بإذان رئيس الأبناء الذي شخصوا مع وهرز إلى اليمن، وكانوا أسلموا وتزوج امرأته، فوثب عليه فيروز بن الديلمي من الأبناء، وعاضده في ذلك داذويه، وقيس بن مكشوح المرادي.

وكان النبي صلّى الله عليه وسلّم كاتبه فقتلوه فأخبر النبي صلّى الله عليه وسلّم أصحابه بقتله، وقيل إن رأسه حمل إلى المدينة، وقد قبض رسول الله صلّىالله عليه وسلّم، وتنوزع هل كان مقتله في حياته أم بعد وفاته؟ ثم وثب قيس بن مكشوح المرادي على داذويه فقتله متقرباً بذلك إلى قوم ذي الحمار من عنس، وقال في ذلك.

قد علم الأحياء من مذحج ... ما قتل الأسود إلا أنا

طلبت ثأراً كان لي عنده ... بقتلة الأسود مستمكنا

في كلمة له طويلة أولها:

ألم يسلمى قبل أن تظعنا ... إن بنا من حبها ديدنا

ثم ندب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أسامة بن زيد في صفر إلى بلاد البلقاء وأذرعات ومؤتة من أرض دمشق من الشأم ثائراً بأبيه، ولأسامة يومئذ ثماني عشرة سنة.

وكان في بعثه عمر بن الخطاب والزبير وأبو عبيدة بن الجراح، وتنوزع في أبي بكر، أكان في هذا البعث أم لا؟ فأقاموا يتجهزون إلى أن توفي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وكان يقول في علته جهزوا جيش أسامة.

قال المسعودي: وكانت غزوات رسول الله صلّى الله عليه وسلّم التي غزاها بنفسه سبعاً وعشرين غزوة، ومن الناس من يذهب إلى أنها ثمان وعشرون، فالذي ذهبوا إلى أنها سبع وعشرون، جعلوا منصرف النبي صلّى الله عليه وسلّم من خيبر إلى وادي القرآ غزوة واحدة، والذي رووا أنا ثمان وعشرون جعلوا غزاة خيبر مفردة، ووادي القرى غزوة أخرى، قاتل منها

في تسع، أولها بدر وأحد، والخندق، وقريظة، والمصطلق، وخيبر، والفتح، وحنين، والطائف هذا قول محمد بن إسحاق في آخرين، ووافق الواقدي ابن إسحاق في أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قاتل في هذه التسع غزوات وذكر أنه قاتل في غزاة وادي القرى، وفي يوم الغابة فقتاله في التسع اتفاق.

وزاد الواقدي ما ذكرنا وإنما حكينا تنازع هذين لأنهما قدوة في حملة المغازي والسير وإليهما يرجع في ذلك.

وكانت سراياه وسواربه وبعوثه على ما رتبنا في هذا الكتاب ثلاثاً وسبعين وتنازع مصنفوا الكتب في التواريخ والسير في ذلك، فذهب قوم منهم إلى أن سراياه وسواربه ست وستون، وقال آخرون نيف وخمسون.

وقال محمد بن إسحاق في عدة من أصحاب السير والمغازي، بل ذلك خمس وثلاثون.

وقال محمد بن عمر الواقدي في آخرين من أصحاب المغازي والسير إنما كانت السرايا والسوارب ثمانياً وأربعين.

قال المسعودي: وأرى أن السبب الذي أوجب هذا التنازع المتفاوت في إعداد هذه السرايا؛ أن منهم من يعتد بسرايا لا يعتد بها آخرون، وذلك أنه كانت سرايا في جملة مغاز، فأفردها بعضهم واعتد بها، وبعض جعلها في جملة تلك المغازي، لأن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، قد وجه في كثير من غزواته سرايا إلى ما يلي البلاد التي حلها بعد هزيمة المشركين بخيبر في الطب على ما قدمنا، ووجه بعد فتح مكة سرايا لهدم الأصنام التي حول مكة، فوقع التنازع لأجل ذلك، فجمعنا في كتابنا هذا جميع ذلك ولم نأل جهداً في حصره وترتيبه، ولم نخله من ذكر خلاف أصحاب السير في ذلك ليكون أعم لفائدته وأجزل لعائدته، على أنا لم نجد أحداً حصل على تحصيلنا، ولا رتبه ترتيبنا، فمن أراد علم ذلك فليتفصح كتب من عني بهذا الشأن من الأسلاف والأخلاف يقف على حقيقة ما قلنا وفضيلة ما أتينا، ففهم ذلك بعد الكفاية يسير، ومطلبه قبل الكفاية عسير. وقد ذكرنا ذلك على الشرح والإيضاح، وما فيه من التنازع في كتاب فنون المعارف، وما جرى في

الدهور السوالف وفي كتاب الاستذكار، لما جرى في سالف الأعصار الذي كتابنا هذا تال له ومبني عليه، وإنما حذفنا من كتابنا هذا الأسانيد ليخف تحمله، ويقرب متناوله.

قال المسعودي: وقد ذكرنا عدة من ذوي المعرفة بسياسة الحروب وتدبير العساكر والجيوش ومقاديرها وسماتها، أن السرايا ما بين الثلاث نفر إلى الخمسمائة، وهي التي تخرج بالليل، فأما التي تخرج بالنهار فتسمى السوارب، وذلك قوله عز وجل " ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار " وما زاد على الخمسمائة إلى دون الثلاثمائة فهي المناسر، وما بلغ الثمانمائة فهو جيش، وهو أقل الجيوش وما زاد على الثمانمائة إلى دون الألف فهوالخشخاش، وما بلغ الألف فهو الجيش الأزلم، وما بلغ الأربعة آلاف، فهو الجيش الجحفل، وما بلغ اثني عشر ألفاً، فهو الجيش الجرار، وإذا افترقت السرايا والسوارب بعد خروجها، فما كان دون الأربعين، فهي الجرائد، وما كان من الأربعين إلى دون الثلاثمائة فهي المقانب، وما كان من الثلاثمائة إلى دون الخمسمائة فهي الجمرات، وكانوا يسمون الأربعين رجلاً إذا وجهوا العصبة، ويقولون خير السرايا أربعمائة، وخير الجيوش أربعة آلاف، ولن يؤتى اثنا عشر ألفاً من قلة.

وقد رأى قوم أن المقنب مثل المنسر، وأن كل واحد منهم ما بين الثلاثين رجلاً إلى الأربعين؛ واستشهدوا على تقاربهم بقول الشاعر:

وإذا تواكلت المقانب لم يزل ... بالثغر منا منسر وعظيم

وأن الكتيبة ما جمع فلم ينتشر، وأن الحضيرة النفر الذين يغزى بهم العشرة فمن دونهم، والنفيضة جماعة يغزى بهم وليسوا بجيش كثير، وأن الأرعن الجيش الكبير الذي له مثل رعن الجبل، والخميس الجيش العظيم، والجرار الذي لا يسير إلا زحفاً لكثرته، والجرار أكثر ما من الجيوش العظمى. ويقول الناس فيما ذكرنا كلاماً كثيراً، وقد ذكرنا من ذلك أفضل ما قيل فيه وأوجزه.

وتنوزع في أي يوم من شهر ربيع الأول كانت وفاته عليه الصلاة والسلام بعد إجماعهم

على أن وفاته يوم الاثنين في شهر ربيع الأول، فقال الأكثرون كانت وفاته لاثنتي عشرة ليلة خلت من هذا الشهر.

وقال آخرون بل ذلك لليلتين خلتا منه، وقال آخرون لتسع خلون منه وكان ذلك اليوم السادس عشر من شهر أسفندار ماه من شهور الفرس، سنة 1380 لبخت نصر، وهو اليوم الثالث من حزيران سنة 943 للإسكندر بن فيلبس الملك، وسنة 100 من ملك كسرى أنوشروان بن قباذ، وكانت شكاته أربعة عشر يوماً وقيل دون ذلك وكان الذي تولوا غسله صلّى الله عليه وسلّم علي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب وابناه الفضل وقثم وأسامة بن زيد وشقران مولى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وتنوزع فيما كفين به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فروى جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين قال لما فرغ من غسل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كفن في ثلاثة أثواب ثوبين صحاريين وقيل سحوليين وبرد حبرة أدرج فيها إدراجاً.

قال المسعودي: والثياب الصحارية مضافة إلى صحار وهي قصبة عمان والسحولية ثياب بيض من قطن تعمل بموضع من اليمن يعرف بسحولا. وإلى هذه الرواية يذهب أهل البيت وشيعتهم وذلك كفن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام غير أنه عمم بعمامة لأجل الضربة، فصارت عندهم سنة مأثورة معمولاً بها.

وليس تعد العمامة والمئزر من الكفن المفروض عندهم ثوب واحد إذا لم يوجد غيره وثلاثة وخمسة لمن وجد سعة، وروى بعضهم ما زاد على خمسة فبدعة يشق أحد هذه الأثواب في وسطه ويقمص به من غير خياطة فيسمى القميص لذلك وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كفن في ثلاثة أثواب كرسف ليس فيها قميص ولا عمامة وعنا في رواية أخرى أنه صلّى الله عليه وسلّم كفن في ثلاثة أثواب سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة، وحكي عن إبراهيم قال كفن النبي صلّى الله عليه وسلّم في حلة يمانية وقميص ثم صلي عليه وقيل إنه دفن بعد وفاته بثلاثة أيام، وكان الذين نزلوا قبره علي بن أبي طالب والفضل وقثم ابنا العباس وشقران ممن سمينا.

كتاب من حضر من الكتاب

وكان خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف يكتب بين يديه في سائر ما يعرض من أموره، والمغيرة بن شعبة الثقفي، والحصين ابن نمير يكتبان أيضاً فيما يعرض من حوائجه، وعبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث الزهري، والعلاء بن عقبة يكتبان بين الناس المداينات وسائر العقود والمعاملات، الزبير بن العوام، وجهيم بن الصلت يكتبان أموال الصدقات، وحذيفة بن اليمان يكتب خرص الحجاز، ومعيقيب بن أبي فاطمة الدوسي دوس الن عدثان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله ابن مالك بن نصر بن الأزد وكان حليفاً لبني أسد يكتب مغانم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وكان عليها من قبله وزيد بن ثابت الأنصاري ثم الخزرجي من بني غنم بن مالك بن النجار يكتب إلى الملوك ويجيب بحضرة النبي صلّى الله عليه وسلّم وكان يترجم للنبي صلّى الله عليه وسلّم بالفارسية والرومية والقبطية والحبشية، تعلم ذلك بالمدنية من أهل هذا الألسن، وكان حنظلة بن الربيع بن صيفي الأسيدي التميمي يكتب بين يديه صلّى الله عليه وسلّم في هذه الأمور إذا غاب من سمينا من سائر الكتاب ينوب عنهم في سائر ما ينفرد به كل واحد منهم، وكان يدعى حنظلة الكاتب، وكانت وفاته في خلافة عمر بن الخطاب بعد أن فتح الله على المسلمين البلاد وتفرقوا فيها فصار إلى الرها من بلاد ديار مضر فمات هناك فرثته امرأة من قومه فقالت

يا عجب الدهر لمحزونة ... تبكي على ذي شيبة شاحب

إن تسأليني الدهر ما شفني ... أخبرك قيلاً ليس بالكاذب

إن سواد الرأس أودى به ... حزني على حنظلة الكاتب

وكتب له عبد الله بن سعد بن أبي سرح من بني عامر بن لؤي بن غالب ثم لحق بالمشركين بمكة مرتداً، وكتب له شرحبيل به حسنة الطابخي من خندف حليف قريش، ويقال بل هو كندي، وكان أبان بن سعيد، والعلاء بن الحضرمي ربما كتبا بين يديه، وكتب له معاوية قبل

وفاته بأشهر، وإنما ذكرنا من أسماء كتابه صلّى الله عليه وسلّم من ثبت على كتابته واتصلت أيامه فيها وطالت مدته وصحت الرواية على ذلك من أمره دون من كتب الكتاب والكتابين والثلاثة إذ كان لا يستحق بذلك أن يسمى كاتباً ويضاف إلى جملة كتابه

ذكر خلافة أبي بكر الصديق

وبويع أبو بكر عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي، يلتقي مع النبي صلّى الله عليه وسلّم عند مرة بن كعب، وهما في القعدد واحد بين كل واحد منهما وبين مرة ستة آباء، وكان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة فلما أسلم سماه النبي صلّى الله عليه وسلّم عبد الله ولقبه عتيق قيل لجماله وقيل لعتقه من النار، ويقال إن ذلك كان سامه في الجاهلية وأمه أم الخير بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن سقيفة بني ساعدة بن كعب بن الخزرج – في اليوم الذي توفي فيه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة 11 من الهجرة، وقد كانت الأنصار نصبت للبيعة سعد بن عبادة بن دليم الأنصاري ثم الخزرجي فكانت بينه وبين من حضر من المهاجرين في السقيفة منازعة طويلة وخطوب عظيمة، وعلي وللعباس وغيرهم من المهاجرين مشتغلون بتجهيز النبي صلّى الله عليه وسلّم ودفنه، وكان ذلك أول خلاف حدث في الإسلام بعد مضي النبي صلّى الله عليه وسلّم، وارتد أكثر العرب بعد وفاة النبي صلّى الله عليه وسلّم، فمن كافر ومانع للزكاة والصدقة، وكان أعظمهم شوكة وأخوفهم أمراً مسيلمة الكذاب الحنفي باليمامة، وطليحة بن خويلد الأسدي ثم الفقعسي في أسد بن خزيمة، وقد عاضده عيينة بن حصن الفزاري في غطفان، فوجه أبو بكر إليهم وإلى جميع من ارتد من ضاحية مضر خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي فلقي طليحة فهزمه وفض جموعه وأسر عيينة وذلك في سنة 11 وسار إلى البطاح وأثخن في أرض تميم وقتل مالك بن نويرة اليربوعي وسار إلى اليمامة فقالته بنو حنيفة قتالاً شديداً إلى أن قتل مسيلمة وصالحه بقيتهم، وذلك في سنة 12 واستشهد

باليمامة من المسلمين ألف ومئتا رجل منهم من قريش ثلاثة وعشرون رجلاً، فيهم زيد بن الخطاب أخو عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ومن الأنصار سبعون وقيل دون ذلك، ولم يزل خالد يطأ فرقة فرقة ممن ارتد حتى رجعوا عن ردتهم وكانت سجاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان التميمية اليربوعية يربوع ابن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم قد تنبت وتبعها نفر كثير منهم الزبرقان ابن بدر، وعطارد بن حاجب بن زرارة، وشبث بن ربعي وكان مؤذنها، وعمرو ابن الهتم التميميون، وسارت إلى مسيلمة إلى اليمامة فتزوجها وأقامت عنده ثلاثاً وفي ذلك يقول الطرماح بن حكيم الطائي

لعمر لقد سارت سجاح بقومها ... فلما أتت عز اليمامة حلت

فدارسها البكري حتى استزلها ... فأضحت عروساً فيهم قد تجلت

فتلك بني الحنظليين أصحبت ... مضمخة في خدرها قد تظلت

وقال عطارد بن حاجب بن زرارة:

أمست نبيتنا أنثى نطيف بها ... وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا

ويريد بالأنبياء الأسود العنسي وطليحة بن خويلد ومسيلمة وجهز أبو بكر الجيوش لغزو الروم بالشأم، وأمر الأمراء، وهم يزيد بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، وأبو عبيدة بن الجراح، وشرحبيل بن حسنة، وكتب إلى خالد بن الوليد، وكان سار إلى ناحية العراق في الانضمام إليهم، فسار معهم فافتتحوا من الشأم بصرى وحوران والبثنية والبلقاء من أعمال دمشق، ولقيتهم الروم بأجنادين ثم بمرج الصفر، فهزموا وقتلوا قتلاً ذريعاً. وسار المسلمون إلى دمشق، فنزلوا عليها.

وتوفي أبو بكر وهم محاصروها، وكانت وفاته بالمدينة ليلة الثلاثاء لثمان خلون من جمادى الآخرة سنة 13 للهجرة، وهو ابن ثلاث وستين سنة. وقيل أكثر من ذلك ودفن مع النبي صلّى الله عليه وسلّم في حجرة عائشة، وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام، وقيل وعشرين يوماً، وكان طوالاً آدم نحيفاً خفيف العارضين غائر العينين مشرف الجبهة

ناتئ الوجنتين، يغير شبيه بالحناء والكتم.

وكان كتابه عثمان بن عفان وزيد بن ثابت وعبد الله بن الأرقم، ونقش خاتمه نعم القادر الله وقاضيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وحاجبه شديد مولاه وكان له من البنين ثلاثة عبد الله المقدم ذكره في سنة 8 في حصار النبي صلّى الله عليه وسلّم الطائف، وقد انقرض ولده، وكان آخرهم إسماعيل بن عبد الله ابن أبي بكر، وعبد الرحمن بن أبي بكر وله صحبة والعدد في ولده منهم الطلحيون بنو طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر أكثرهم بادية منازلهم جادة والصفينة بقفا من الأيم من جادة العراق حذاء المسلح واقيقية والغمرة لهم إلى هذا الوقت لهم عدد وقوة، محمد بن أبي بكر العقب له من القاسم بن محمد، وكان أحد فقهاء المدينة ومن خيار التابعين، وعقبه قليل من ولده محمد بن عبد الله ابن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد، ومن البنات ثلاث منهن عائشة زوجة النبي صلّى الله عليه وسلّم، وأسماء أم عبد الله بن الزبير، ولم يل الخلافة منذ عهد النبي صلّى الله عليه وسلّم إلى وقتنا هذا أحد أبوه حي إلا أبو بكر، وكان أبوه أبو قحافة في الوقت الذي توفي فيه أبو بكر مقيماً بمكة، فلما نعي إليه قال: رزء جليل وورثه السدس وتوفي بعده بسبعة أشهر، وقيل بستة مكفوفاً وله سبع وتسعون سنة.

وكان إسلامه يوم فتح مكة، وكانت وفاته ووفاة هند ابنة عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف أم معاوية بن أبي سفيان في يوم واحد، وتوفيت فاطمة ابنة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان سنة 11، وقيل إنها توفيت بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بثلاثة أشهر وقيل بستة، وقيل بسبعين يوماً وغير ذلك من الأقاويل.

ثم تنوزع في سنها، فقال فريق منهم توفيت ولها ثلاث وثلاثون سنة، وقال آخرون بل ثلاثون، وقال آخرون بل تسع وعشرون سنة، وهذا قول أكثر البيت وشيعتهم وقيل دون ذلك، وتولى غسلها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ودفنها ليلاً بالبقيع وقيل غيره، ولم يؤذن بها أبو بكر وكانت مهاجرة له منذ طالبته بإرثها من أبيها صلّى الله عليه

وسلّم من فدك وغيرها وما كان بينهما من النزاع في ذلك إلى أن ماتت ولن يبايع علي عليه السلام أبا بكر رضي الله عنه إلى أن توفيت، وتنوزع في كيفية بيعته إياه، وقد أتينا على ما قيل في ذلك في كتاب الاستذكار لما جرى في سالف الأعصار

ذكر خلافة عمر بن الخطاب

وبويع عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط ابن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي ويكنى أبا حفص وأمه حنتمة ابنة هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم في الوقت الذي كانت فيه وفاة أبي بكر ففتح الله على يديه أكثر البلاد فجند الأجناد ومصر الأمصار ودون الدواوين وفرض العطاء وكتب التاريخ وسن صلاة التراويح في شهر رمضان، وقتل بالمدينة يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة سنة 23 وهو ابن ثلاث وستين سنة وقيل أقل من ذلك والأول أشهر، قتله أبو لؤلؤة الفارسي عبد المغيرة بن شعبة ودفن مع النبي صلّى الله عليه وسلّم وأبي بكر في حجرة عائشة، وقد تنوزع في كيفية قبورهم وصفاتها فروى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت لما توفي أبو بكر دفن إلى جانب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم رأسه بين كتفي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ثم توفي عمر فدفن إلى جانب أبي بكر رأسه بين كتفي أبي بكر وذكر القاسم بن محمد بن أبي بكر قال دخلت على عائشة فقلت يا أماه اكشفي لي عن قبر النبي صلّى الله عليه وسلّم وصاحبيه فكشفت لي عن قبور ثلاثة ليست بالمشرف ولا هي باللاطئة بالأرض مسطوحة ببطحاء العرصة الحمراء، قال فرأيت قبر النبي صلّى الله عليه وسلّم مقدماً، ورأيت أبا بكر رأسه عند رجلي النبي صلّى الله عليه وسلّم من خلفه، ورأيت عمر رأسه عند رجلي أبي بكر.

وذكر أبو عبد الله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عن أبيه رضي الله عنهما قال رفعت القبور من الأرض قدر شبر مربعة مدكنة.

وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وثمانية عشر يوماً وكان آدم مشرفاً على الناس من

طوله كأنه راكب أعسر يسراً كث اللحية، وكان كاتبه زيد بن ثابت، وعبد الله بن الأرقم، ونقش خاتمه كفى بالموت واعظاً يا عمر وقيل آمنت بالذي خلقني وحاجبه يرفى مولاه: وقاضيه أبو أمية شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم بن معاوية بن عامر بن الرائش بن الحارث بن معاوية ابن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندة، وهو ثور بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب ابن يعرب بن قحطان، وقيل إن أول من قضى لعمر بالعراق سلمان بن ربيعة الباهلي، وقيل إنه قضى بالمدينة في أيامه، وبعد ذلك السائب بن يزيد بن أخت النمر الكندي.

وكان لعمر من البنين تسعة، عبد الله وعبد الرحمن الأكبر وزيد الأكبر وعبيد الله المقتول بصفين وعاصم وزيد الأصغر وعبد الرحمن الأصغر وعياض وعبد الله الأصغر، المعقبون منهم أربعة عبد الله الأكبر وعاصم وعبيد الله وعبد الرحمن الأصغر، ومن البنات أربع منهن حفصة زوجة النبي صلّى الله عليه وسلّم.

وكان عمر شاور الناس في التأريخ لأمور حدثت في أيامه، لم يعرف لها وقت تؤرخ به، فكثر منهم القول، وطال الخطب في تواريخ الأعاجم وغيرها، فأشار عليه علي بن أبي طالب أن يؤرخ بهجرة النبي صلّى الله عليه وسلّم، وتركه أرض الشرك، فجعلوا التأريخ من المحرم، وذلك قبل مقدم النبي صلّى الله عليه وسلّم إلى المدينة بشهرين واثني عشر يوماً لأنهم أحبوا أن يبتدئوا بالتاريخ من أول السنة، وكان ذلك في سنة 17 أو 18 يتنازع الناس في ذلك.

قال المسعودي: وقد روى الزهري محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لما قدم المدينة مهاجراً أمر بالتأريخ، وهذا خبر مجتنب من حيث الآحاد، ومرسل من عند من لا يرى قبول المراسيل، وما حكيناه أولاً هو المتفق عليه إذ كان ليس في هذا الخبر وقت معلوم أرخ به ولا نقل كيفية ذلك.

وجعل عمر الأمر بعده شورى في ستة نفر على وعثمان وطلحة، وكان غائباً، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص، وجعل معهم ابنه عبد الله ابن عمر مشيراً ومؤامراً وحاكماً، وليس له من الأمر شيء وأمهلهم ثلاثة أيام، وأمر أني صلى بالناس فيها أبو يحيى صهيب الروم مولى عبد الله بن جدعان التيمي، وكان يقول إنه من النمر بن قاسط، وإنه صهيب بن سنان، ووكل بهم أبا طلحة زيد بن سهل الأنصاري، ثم الخزرجي من بني عدي بن مالك بن النجار وهو زوج أم سليم أم أنس بن مالك في خمسين رجلاً من الأنصار، وأمره باستحثاثهم وأن لا تمضي الثلاثة أيام إلا وقد أبرموا أمرهم، وأجمعوا على رجل منهم، وقال إن اجتمع خمسة وخالف واحد فاقتلوه، وكذلك إن خالف اثنان واجتمع أربعة نفر، فإن افترقوا فرقتين فكونوا في الفرقة التي فيها عبد الرحمن بن عوف، وإن أبت الفرقة الأخرى الدخول فيما اجتمع عليه المسلمون فاقتلوهم، فعرض عليهم عبد الرحمن أن يخرج أحدهم نفسه ويختار من الباقين واحداً،فأحجموا عن ذلك. فأخرج نفسه من الأمر على أن يختار أحدهم مكثوا ثلاثة أيام يتراضون، ثم بايع عبد الرحمن لعثمان، وكان صهره واستوسق الأمر له بعد خطب طويل، ومنازعة كانت بينهم، وفي ذلك يقول الفرزدق:

صلى صهيب ثلاثاً ثم أرسلها ... إلى ابن عفان ملكاً غير مقسور

ذكر خلافة عثمان بن عفان

وبويع عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، ويكنى أبا عبد الله، وأبا عمرو، وأمه أروى ابنة كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف يوم الجمة غرة المحرم سنة 24 وقتل بالمدينة يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة سنة 35 وهو ابن اثنتي وثمانين سنة وقيل ثمان وثمانين وذهب قوم من أهل السير والآثار إلى أن قتله كان يوم الأضحى، واستشهدوا على ذلك بقول الفرزدق.

عثمان إذ قتلوه وانتهكوا ... دمه صبيحة ليلة النحر

وبقول أيم بن خريم بن فاتك الأسدي وكان عثمانياً

تعاقد الذابحوا عثمان ضاحية ... فأي ذبح حرام ويحهم ذبحوا

ضحوا بعثمان في الشهر الحرام ولم ... يخشوا على مطمح الكفر الذي طمحوا

وبقول حسان بن ثابت الأنصاري.

ضحو بأشمط عنوان السجود به ... يقطع الليل تسبيحاً وقرآنا

ودفن بموضع من المدينة يعرف بحش كوكب بضم الحاء، يضاف إلى رجل من الأنصار يعرف بكوكب والحش هو البستان فكانت خلافته إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهراً واثنين وعشرين يوماً، وكان مربوعاً حسن الوجه أسمر وافر اللحية يصفرها مشدود الأسنان بالذهب، وكان كاتبه مروان بن الحكم، وحاجبه حمران مولاه، وقاضيه زيد بن ثابت الأنصاري، وقد كتب له وقيل إنه قضى بالمدينة في أيام عمر السائب بن يزيد ابن أخت النمر الكندي، وقيل إنه كان على شرطه والأول أثبت قال المسعودي: حدثنا أبو بكر محمد بن خلف وكيع قال حدثنا محمد بن أحمد ابن الجنيد قال حدثنا أبو أحمد الزبيري قال حدثنا مسعر عن محارب بن دثار قال لما استخلف أبو بكر قال له عمر بن الخطاب أنا أكفيك القضاء، فمكث عمر سنة لا يختلف إليه أحد قال وكيع فأما أيام عمر فإن الصغاني حدثني عن عفان عن عبد الواحد ابن زياد عن حجاج عن نافع أن عمر استعمل زيد بن ثابت على القضاء وفرض له أجراً، وقال يونس عن الزهري ما اتخذ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قاضياً ولا أبو بكر ولا عمر، وقال محمد بن يحيى أبو غسان لم أسمع أحداً من أهل العلم يذكر أن عثمان استقضى أحداً حتى مات وكان نقش خاتمه آمن بالله مخلصاً وقيل آمن بالله العظيم وقيل لتصبرن أن لتندمن ولم يزل خاتم النبي صلّى الله عليه وسلّم باقياً إلى أيامه فسقط من يده فنقش له على هيئته، فكان خاتم الخلافة متداولاً ولكل واحد ممن طرأ بعد خاتم مفرد ينقش عليه ما أحب على ما نحن ذاكروه إلى خلافة المطيع فيما يرد من هذا الكتاب.

وقد روى عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر أن النبي صلّى الله عليه وسلّم اتخذ خاتماً من ورق، فكان في يده ويد أبي بكر ويد عمر ويد عثمان، حتى وقع في بئر أريس.

وكان له من البنين تسعة عبد الله الأكبر توفي وله من العمر ست سنين أمه رقية بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على ما قدمنا وعبد الله الأصغر وعمرو وعمر وخالد وأبان والوليد وسعيد وعبد الملك، المعقبون منهم خمسة عمرو وكان أكبر ولده والذين أعقبوا من ولده محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان الملقب بالديباج لحسنه، أمه فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب وعمر وأبان والوليد وسعيد، ومن البنات ثمان وفي السنة التاسعة من خلافته وهي سنة 32 توفي العباس بن عبد المطلب وله ثمان وثمانون سنة، وكان مولده قبل عام الفيل بثلاث سنين، وفيها مات عبد الرحمن بن عوف الزهري وهو ابن خمس وسبعين سنة، وعبد الله بن مسعود ابن غافل بن حبيب بن شمخ بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث ابن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار وله بضع وستون سنة وفي سنة 31 كانت وفاة أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف وقد استوفى سن العباس ثمانياً وثمانين سنة.

ذكر خلافة علي بن أبي طالب

وبويع علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، ويكنى أبا الحسن وأمه فاطمة ابنة أسد بن هاشم بن عبد مناف في اليوم الذي قتل فيه عثمان قال المسعودي:

وكان بين بيعته إلى وقعة الجمل بالبصرة خمسة أشره واحد وعشرون يوماً، وقتل من أصحاب الجمل ثلاثة عشر ألفاً من الأزد أربعة آلاف وقيل دون ذلك، ومن ضبة ألف ومائة، وباقيهم من سائر الناس، وقتل من أصحاب علي رضي الله عنه نحو ألف، وقيل دون ذلك أو أكثر.

وكانت الوقعة يوم الخميس لعشر ليال خلون من جمادى الآخرة سنة 36، وبين وقعة الجمل والتقائه مع معاوية للقتال بصفين سبعة أشهر وثلاثة عشر يوماً وكان أول يوم وقعت الحرب بينهم بصفين يوم الأربعاء غرة صفر سنة 37 وتنوزع في عدة من كان مع علي عليه السلام فمكثر ومقلل والمتفق عليه من تنازعهم أنه كان في تسعين ألفاً وكان معاوية في مائة

ألف وعشرين ألفاً، وقيل دون ذلك وأكثر منه، وقتل بصفين سبعون ألفاً من أصحاب علي رضي الله عنه منهم خمسة وعشرون ألفاً، منهم خمسة وعشرون بدرياً من الصحابة.

منهم عمار بن ياسر العنسي، عنس بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب ابن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وكان حليفاً لبني مخزوم، وقتل من أصحاب معاوية خمسة وأربعون ألفاً وقيل في عدة من قتل بينهما دون ذلك أو أكثر.
وكان المقام بصفين مائة يوم وعشرة أيام والوقائع بينهم تسعون وقيعة وبين وقعة صفين والتقاء المحكمين ابي موسى الأشعري وعمرو بن العاص بدومة الجندل في شهر رمضان سنة 38 سنة وخمسة أشهر وأربعة وعشرون يوماً، وبين والتقائهما، وخروج علي إلى الخوارج بالنهروان وقتله إياهم سنة وشهران.
وكانت الخوارج أربعة آلاف عليهم عبد الله بن وهب بن الراسبي، راسب ابن ميدعان بن مالك بن نصر بن الأزد، وليس براسب بن الخزرج بن جدة بن جرم بن ربان بالراء بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، ولا راسب في العرب من معد وقحطان غير هذين فتفرقوا عند نزول علي رضي الله عنهم بإزائهم ودعائه إياهم وبقي عبد الله بن وهب في ألف وثمانمائة وقيل ألف وخمسمائة، وقيل ألف ومائتين فقتلوا إلا نفراً قليلاً، وقيل إن السبب في تفرق من تفرق عنه أن الخوارج تنادوا عند إحاطة أصحاب علي عليهم السلام بهم وإسراعهم فيهم يا إخوتنا أسرعوا بنا الروحة إلى الجنة فقال عبد الله بن وهب: فلعلها إلى النار فقال من فارقه مرائياً: نقاتل مع رجل شاك. ففارقوه، وبين خروجه إلى الخوارج وقتل عبد الرحمن بن ملجم اليحصبي وعداده في مراد إياه سنة وخمسة أشهر وخمسة أيام، وكثير من الخوارج لا يتولى ابن ملجم لقتله إياه غيلة، وبين ذلك وبين أول الهجرة تسع وثلاثون سنة وثمانية أشهر وعشرون يوماً.
واستشهد بالكوفة في أول العشر الأواخر من شهر رمضان سنة 40 وتنوزع في مقدار عمره فذهب قوم إلى أن استشهد وله ثمان وستون سنة.

هذا قول من يذهب إلى أنه أسلم وله خمسة عشرة سنة، وقال آخرون استشهد وله ست وستون سنة، هذا قول من يذهب إلى أنه أسلم وله ثلاث عشرة سنة. وقال آخرون استشهد وله ثلاث وستون سنة، هذا قول من يرى أنه أسلم وله عشر سنين.

وقد ذكرنا فيما تقدم من هذا الكتاب عند ذكرنا مبعث النبي صلّى الله عليه وسلّم وهجرته التنازع في أول من أسلم، وقول من قال إنه أسلم وله دون ذلك إلى خمس سنين، وهؤلاء يذهبون إلى أن استشهد وله ثمان وخمسون سنة.

وهذا أقل ما قيل في مقدار عمره وبينا أغراضهم في ذلك وقصدهم لإزالة فضائله ودفع مناقبه، وتنوزع في موضع قبره، فمنهم من قال دفن بالغري وهو الموضع المشهور في هذا الوقت على أميال من الكوفة، ومنهم من قال دفن في مسجد الكوفة، ومنهم من قال بل في رحبة القصر بها، ومنهم من قال بل حمل إلى المدينة فدفن بها مع فاطمة، وغير ذلك من الأقاويل مما قد أتينا على ذكره.

وقد ذكرنا مقاتل آل أبي طالب وأنسابهم ومواضع قبورهم ومصارعهم في كتابنا في أخبار الزمان ومن أباده الحدثان، من الأمم الماضية والأجيال الخالية، والممالك الداثرة وفي رسالة البيان من أسماء الأئمة وما قالته الإمامية في ذلك ومقادير أعمارهم وكيفية أعدادهم.

وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر وثمانية أيام، وكان أسمر عظيم البطن، أصلع أبيض الرأس واللحية، أدعج عظيم العينين، ليس بالطول ولا بالقصير، تملأ لحيته صدره لا يغير شيبه

وكان كاتبه عبيد الله بن أبي رافع مولى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ونقش خاتمه الملك لله وقاضيه شريح وحاجبه قنبر مولاه، وكان له من البنين أحد عشر، الحسن والحسين أمهما فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ومحمد بن الحنفية، وأمه خولة ابنة جعفر بن قيس بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع ابن ثعلبة بن الدؤل بن حنيفة بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، وعمر أمه أم حبيب الصهباء بنت ربيعة بن بجير بن

العبد بن علقمة بن الحارث بن عتبة ابن سعد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن تغلب بن وائل، والعباس أمه أم البنين ابنة حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد وهو عامر بن كعب ابن عامر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن وعبد الله جعفر وعثمان ومحمد الأصغر ويكنى أبا بكر، وعبيد الله ويحيى، والمعقبون منهم خمسة، الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية وعمر والعباس، ومن البنات ست عشرة، منهن زينب وأم كلثوم وأمهما فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؛ فالعقب للحسن بن علي بن أبي طالب بن زيد والحسن، والعقب لزيد بن الحسن بن زيد، والعقب للحسن بن الحسن من جعفر وداود وعبد الله والحسن ومحمد وإبراهيم والعقب للحسين بن علي بن أبي طالب من علي الأصغر ابن الحسين، والعقب لعلي بن الحسين من محمد وعبد الله وعمر وزيد والحسين بن علي، والعقب لمحمد بن الحنفية من جعفر وعلي وعون وإبراهيم، والعقب لجعفر ابن محمد من عبد الله ولعلي بن محمد من عون ولعون بن محمد من محمد ولإبراهيم بن محمد من محمد فأما أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية وهو أكبر ولده فقد ظن قوم أن له عقبا ولم يعقب، والعقب لعمر بن علي بن أبي طالب من محمد بن عمر، والعقب لمحمد بن عمر من عمر وعبد الله وعبيد الله وجعفر،والعقب للعباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام من عبيد الله بن العباس، والعقب لعبيد الله من الحسن بن عبيد الله وكان العقب لأبي طالب بن عبد المطلب من ثلاثة عقيل وجعفر وعلي لأن طالباً الذي به كان يكنى لا عقب له وبين كل واحد من الأخوة عشر سنين أكبرهم طالب ثم يليه عقيل ثم يلي عقيلاً جعفر ويلي جعفراً علي، وكان له من البنات اثنتان أم هانئ وجمانة.

قال المسعودي: فإذ قد بينا ولد أمير المؤمنين علي وعقبه فلنذكر ولد جعفر وعقيل والمعقبين منهم ولد جعفر بن أبي طالب عبد الله وعون ومحمد المقتول بصفين التقى وعبيد الله بن عمر بن الخطاب فقتل كل واحد منهما صاحبه وإلى هذا ذهب نساب آل أبي طالب وإن كانت ربيعة تنكر ذلك، وتذكر أن بكر بن وائل قتلت عبيد الله بن عمر المعقب منهم

عبد الله. وبه كان يكنى وقيل بأبي الفضل والأول أشهر، والعقب لعبد الله من علي واسحق ومعاوية وإسماعيل.

وولد عقيل بن أبي طالب يزيد وبه كان يكنى ومحمداً وسعيداً وجعفراً الأكبر، وأبا سعيد الأحول، ومسم بن عقيلن وعبد الله الأكبر، وعبد الله الأصغر، وجعفراً الأصغر، وحمزة وعيسى وعثمان وعلياً الأصغرن المعقب منهم محمد والعقب لمحمد من عبد الله بن محمد.

وما ذكرنا من أنساب آل أبي طالب، فمن كتاب أنسابهم الذي حدثنا به طاهر بن يحيى بن حسن بن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن علي بن أبي طالب عن أبيه، ومما أخذناه من ذوي المعرفة منهم بأنسابهم.

وما ذكرنا من عقب أبي بكر وعمر وعثمان فمن كتاب أنساب قريش للزبير ابن بكار: وما حدثنا به أبو بكر عبد الله بن محمد المعري القاضي بمكة، وأبو الحسن أحمد بن سعيد الدمشقي الأموي، وأبو الحسين الطوسي وحرمي وغيرهم بمدينة السلام، ومما أخذناه عن ذوي الدراية منهم بأنسابهم.

ذكر خلافة الحسن بن علي عليه السلام

وبويع الحسن بن علي بن أبي طالب، ويكنى أبا محمد وأمه فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم - بعد وفاة أبيه بيومين، وذلك لسبع بقين من شهر رمضان سنة 40، ثم صالح معاوية في شهر ربيع الأول سنة 41، وقد رأى قوم أن ذلك كان في جمادى الآخرة أو الأولى من هذه السنة، والأول أشهر وأصح عندما من مدة أيامه.

وكانت خلافته إلى أن صالحه ستة أشهر وثلاثة أيام، وهو أول خليفة خلع نفسه وسلم الأمر إلى غيره.

وتوفي بالمدينة مسموماً فيما ذكر في شهر ربيع الأول سنة 49، وله ست وأربعون سنة، ودفن ببقيع الغرقد مع أمه فاطمة عليها السلام.

وهناك إلى هذا الوقت رخامة مكتوب عليها الحمد لله مبيد الأمم ومحيي الرمم، هذا قبر فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، سيدة نساء العالمين والحسن بن علي بن أبي طالب، وعلي بن الحسين بن علي. ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، رضوان الله عليهم أجمعين.

وكان الحسن أحد المشبهين برسول الله صلّى الله عليه وسلّم على ما ذكرنا من صفته ومن أشبهه في كتاب الاستذكار.

وكان كاتبه عبيد الله بن أبي رافع، وقاضيه شريح، وحاجبه سالم مولاه. وقيل قنبر.

ذكر أيام معاوية بن أبي سفيان

وبويع معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، ويكنى أبا عبد الرحمن، وأمه هند ابنة عتبة بن ربيعة بن عبد شمس – في شهر ربيع الأول سنة 41.

وتوفي بدمشق في رجب سنة 60 وله ثمانون سنة، ودفن بدمشق في الموضع المعروف بباب الصغير. وقبره مشهور في تلك المقبرة، وقيل بل في الدار المعروفة بدمشق الخضراء، إلى هذا الوقت في قبلة المسجد الجامع، وفيها الشرطة والحبوس. وكان بها ينزل ومن ولي الأمر بعده من بني أمية ممن سكن بدمشق وإن الذي في مقبرة باب الصغير قبره قبر معاوية بن يزيد بن معاوية.

وكانت أيامه تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وأياماً، وكان طويلاً مسمناً أبيض كبير العجيزة، قصير الهامة، جهم الوجه، جاحظ العينين، عريض الصدر، وافر اللحية، يخضب بالحناء والكتم.

وكان داهية ذا مكر، وذا رأي وحزم في أمر دنياه، إذا رأى الفرصة لم يبق ولم يتوقف وإذا خاف الأمر دارى عنه، وإذا خصم في مقال ناضل عنه. وقطع الكلام على مناظره.

وكتب له عبيد بن أوس الغساني، وسرجون بن منصور الرومي. وعبد الملك ابن مروان فيما قيل؛ وعبد الرحمن بن دراج وسليمان بن سعيد مولى خشن.

وكان نقش خاتمه لا قوة إلا بالله وعلى قضائه فضالة بن عبيد الأنصاري وحاجبة صفوان مولاه، وقيل يزيد مولاه.

ومات عمرو بن العاص بن وائل السهمي بفسطاط مصر يوم الفطر سنة 43 وهو وال لمعاوية عليها، وله تسع وثمانون سنة. وقيل له تسعون سنة.

وإنما ذكرنا وفاته لأن كثيراً ممن لا علم له يقول أنه توفي بعد معاوية وتوفي أكثر أزواج النبي صلّى الله عليه وسلّم في أيامه، منهن أخته أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان في سنة44.

وحفصة بنت عمر بن الخطاب 45. وصفية بنت حيي ابن أخطب في سنة 50. وجويرية ابنة الحارث المصطلقية في سنة 56، وعائشة ابنة أبي بكر في سنة 58. وأم سلمة في سنة 59.

ذكر أيام يزيد بن معاوية

وبويع يزيد بن معاوية، ويكنى أبا خالد - وأمه ميسون ابن بحدل الكلبية من بني حارثة بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف ابن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب في رجب سنة 60 وامتنع من بيعته الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعبد الله بن الزبير حين أخذهما عامل المدينة بذلك، وخرجا إلى مكة فأقام ابن الزبير بها، وشخص الحسين يريد العراق، حين تواترت عليه كتبهم، وترادفت رسلهم ببيعته، والسمع والطاعة له، فلما قرب من الكوفة وقد قدم إليها ابن عمه مسلم ابن عقيل خذله أهل العراق، ولم يفول له بما كاتبوه به، ووافقوه عليه وانفضوا عن مسلم وأسلموه إلى عبيد الله بن زياد فقتله. وسير الجيوش إلى الحسين مع عمر بن سعد بن أبي وقاص، فقتل يوم الجمعة لعشر ليال خلون من المحرم سنة 61، وقيل إن قتله كان يوم الاثنين والأول أشهر وعليه الأكثر.

ودفن بكربلاء من أرض العراق وله سبع وخمسون سنة، وقتل معه من ولد أبيه ستة وهم العباس وجعفر وعثمان ومحمد الأصغر وعبد الله وأبو بكر ومن ولده ثلاثة علي الأكبر وعبد الله صبي وأبو بكر بنو الحسين بن علي، ومن ولد الحسن بن علي عبد الله والقاسم،

ومن ولد عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عون ومحمد ومن ولد عقيل بن طالب خمسة مسلم وجعفر وعبد الرحمن وعبد الله بنو عقيل ومحمد بن أبي سعيد بن عقيل.

وامتنع ابن الزبير من بيعة يزيد، وكان يسميه السكير الخمير. وأخرج عامله عن مكة وكتب إلى أهل المدينة ينتقصه، ويذكر فسوقه، ويدعوهم إلى معاضدته على حربه، وأخرج عامله عنهم. وإخراج أهل المدينة عامله ومروان بن الحكم وولده وغيرهم من بني أمية، وسيروهم إلى الشام فبعث إليهم يزيد مسلم ابن عقبة المري في أربعة آلاف، ومعه زفر بن الحارث الكلابي. وحبيش بن دلجة القيني، والحصين بن نمير الكندي، وعبد الله بن مسعدة الفزاري، وغيرهم من رؤساء الأجناد. وخرج يزيد مشيعاً لهم وموصياً. فقال لمسلم بن عقبة فيما وصاه به: أن حدث بك وحدث فالأمر إلى الحصين بن نمير، وإذا قدمت إلى المدينة فمن عاقك عن دخولها أو نصب لك حرباً فالسيف السيف ولا تبقى عليهم وانتهبها عليهم ثلاثاً وأجهر على جراحهم. واقتل مدبرهم. وإن لم يعرضوا لك، فامض إلى مكة فقاتل ابن الزبير. فأرجو أن يظفرك الله به، وأنشأ يزيد يقول والرايات تمر، وقد علا على نشر من الأرض، وأحاطت به الخيول:

أبلغ أبا بكر إذ الأمر انبرى ... وانحطت الرايات من وادي القرى

أجمع سكران من القوم ترى ... أم جمع يقظان نفي عنه الكرى

وكان ابن الزبير يكنى أبا بكر وأبا خبيب، وسار مسلم إلى المدينة وقد احتفر أهلها خندق رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الذي كان حفره يوم الأحزاب وشكوا المدينة بالحيطان، وقال شاعرهم مخاطباً ليزيد

إن بالخندق المكلل بالم ... د لضرباً بيدي عن النشوات

لست منا وليس خالك منا ... يا مضيع الصلوات للشهوات

فإذا ما قتلنا فتنصر ... واشرب الخمر واترك الجمعات

فالتقوا بالحرة لثلاث بقين من ذي الحجة سنة 63 وكان على قريش وحلفائهم ومواليهم

عبد الله بن مطيع العدوي ابن عم عمر بن الخطاب، وعلى الأنصار وسائر الناس عبد الله بن حنظلة الغسيل بن أبي عامر الأنصاري ثم الأوسي، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقتل عبد الله بن حنظلة في عدة من المهاجرين والأنصار وأبنائهم ومواليهم وحلفائهم وغيرهم من ذلك من قريش والأنصار نحو من سبعمائة رجل ومن سائر الناس من الرجال والنساء والصبيان نحو من عشرة آلاف فيما ذكر محمد بن عمر الواقدي صاحب المغازي الكبير، وقيل دون ذلك وأكثر ودخل مسلم المدينة فانتهبها ثلاثة أيام وبايع من بقي من أهلها على أنهم قن ليزيد والقن العبد الذي ملك أبواه، وعبد مملكة الذي ملك في نفسه وليس أبواه مملوكين غير علي بن أبي الحسين بن علي بن أبي طالب، لأنه لم يدخل فيما دخل فيه أهل المدينة وعلي بن عبد الله بن العباس، فإن من كان في الجيش من أخواله من كندة منعوه.

فكان ذلك من أعظم الأحداث في الإسلام وأجلها وأفظعها رزء بعد قتل الحسين بن علي بن أبي طالب.

وهناك يزيد بحوارين من أرض دمشق مما يلي قارا والقطيفة طريق حمص في البر لسبع عشرة ليلة خلت من صفر سنة 64 وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة.

وكانت أيامه ثلاث سنين وسبعة أشهر واثنين وعشرين يوماً، وكان آدم شديد الأدمة، عظيم الهامة، بوجهه أثر جدري بين، يبادر بلذته، ويجاهر بمعصيته، ويستحسن خطأه، ويهون الأمور على نفسه في دينه إذا صحت له دنياه.

وكتب له عبيد بن أوس الغساني، وزمل بن عمرو العذري، وسرجون ابن منصور.

وكان نقش خاتمه ربنا الله وقاضيه أبو إدريس الخولاني، وحاجبه خالد مولاه، وقيل صفوان.

ذكر أيام معاوية بن يزيد بن معاوية

وبويع معاوية بن يزيد بن معاوية ويكنى أبا عبد الرحمن، وإنما كني أبا ليلى تقريعاً له لعجزه عن القيام بالأمر، وكانت العرب تفعل ذلك بالعاج من الرجال وفيه قال الشاعر:

إني أرى فتنة تغلي مراجلها ... والملك بعد أبي ليلى لمن غلبا

وقيل بل الشعر قديم؛ تمثل به الشاعر في أيامه وأمه أم خالد ابنة أبي هاشم بن عتبة بن

ربيعة – في اليوم الذي هلك في أبوه يزيد وتوفي بدمشق في شهر ربيع الأول سنة 64، ودفن بها.

وكانت أيامه أربعين يوماً، وقيل أقل من ذلك، وأكثر، وكان ربعة من الرجال نحيفاً يعتريه صفار.

وكتب له زمل بن عمرو العذري، وسليمان بن سعيد الخشني، وسرجون النصراني، وكان نقش خاتمه بالله ثقة معاوية وقاضيه أبو إدريس الخولاني، وحاجبه صفوان مولاه.

ذكر أيام مروان بن الحكم

وبويع مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، ويكنى أبا عبد الملك وأبا الحكم وأمه آمنة ابنة علقمة بن صفوان بن أمية في رجب سنة 64 بعد تنازع طويل كان بين شيعة بني أمية، ومن يهوى هواهم في عقد الأمر له، أو لخالد بن يزيد بن معاوية، وذلك أن الأمر اضطرب بعد معاوية بن يزيد بن معاوية.

وبايع الضحاك بن قيس الفهري وهو أمير دمشق يومئذ عبد الله بن الزبير وكذلك النعمان بن بشير الأنصاري بمصر، زفر بن الحارث الكلابي بقنسرين وناتل بن قيس الجذامي بفلسطين، ودعي له على سائر منابر الحجاز ومصر والشأم والجزيرة والعراق وخراسان وسائر أمصار الإسلام إلا طبرية من بلاد الأردن، فإن حسان بن مالك بن بحدل الكلبي من بني حارثة بن جناب، وكان بها، امتنع من الدعاء لابن الزبير والدخول في طاعته واراد عقد الأمر لخالد ابن يزيد وكان ابن أختهم، واجتمع بنو أمية وشيعتهم، ومن يميل إليهم من رؤساء الشأم، فتشاوروا في عقد الأمر لخالد بن يزيد، وأبى آخرون إلا أن يعقدوا لمروان، إذ كان خالد صبياص لا يقاوم ابن الزبير ومروان شيخ مجرب بقية بني أمية في وقته، وكان تشاورهم بالجابية بين دمشق، وطبرية فأجمعوا على عقد الأمر له فبويع له بالخلافة، وجعل الأمر بعده لخالد بن يزيد بن معاوية، ولعمرو بن سعيد الأشدق بعده.

وخرج الضحاك عن مدينة دمشق فيمن معه من الزبيرية، واستمد من بالشأم على طاعة ابن

الزبير فأمدوه بالجيوش والمالولاسلاح، فصارى في ثلاثين ألفاً من قيس بن عيلان، وغيرهم من مضر وأكثرهم فرسان، وكان مروان في ثلاثة عشرة ألفاً من اليمن من كلب وسواهم، وأكثرها رجالة، وفي ذلك اليوم يقول مروان:

لما رأيت الناس مالوا جنباً ... والملك لا يؤخذ إلا غصبا

أعددت غسان لهم وكلباً ... والسكسكيين رجالاً غلبا

وطيئاً يأبون إلا ضرباً ... والقين تمشي في الحديد نكبا

ومن تنوخ مشمخراً صعباً ... بالأعوجيات يثبن وثبا

وإن دنت قيس فقل لا قربا

فالتقوا بمرج راهط، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقتل الضحاك في جمع كثير من القيسية، وانهزم الباقون، وقيل إنهم أقاموا بالمرج عشرين يوماً يقتتلون في كل يوم، والحرب بينهم سجال. وإن مروان كادهم، ودعاهم إلى الموادعة والصلح، فلما اطمأنوا إلى ذلك شد عليهم وهم غارون على غير عدة ولا أهبة، فكان ذلك سبب هزيمتهم، فكانت هذه الوقعة سبب رد ملك بني أمية، وقد كان زال عنهم إلى بني أسج بن عبد العزى، ولذلك رأى قوم أن مروان أول من أخذ الخلافة بالسيف، وهذه الوقعة من الوقائع المشهورة والأيام المذكورة، واليمانية تفتخر بها على النزارية، وقد أكثرت شعراؤها الافتخار بذلك، قال عمرو بن مخلاة الحمار الكلبي:

شفى النفس قتللم توسد خدودهاتلم بها طلس الذئاب وسودها

بايدي كماة في الحروب مساعر ... على ضامرات ما تجف لبودها

أبحنا حمى الحيين قيس براهط ... وولت شذاذاً واستبيح شريدها

قول أيضاً:

رددنا لمروان الخلافة بعد ما ... جرى للزبيريين كل بريد

فألا يكن منا الخليفة نفسه ... فما نالها إلا ونحن شهود

وقال زفر بن الحارث الكلابي يعتذر من فراره ذلك اليوم:

لعمري لقد أبقت وقيعة أرهط ... لمروان صدعاً بينا متنائيا

أتذهب كلب لم تنلها رماحنا ... وتترك قتلى راهط هي ما هيا

فقد ينبت المرعى على دمن الثرى ... وتبقى حزازات النفوس كما هيا

أريني سلاحي لا أبالك إنني ... أرى الحرب لا تزداد إلا تماديا

فلم تر مني نبوة قبل هذه ... فراري وتركي صاحبي ورائيا

ونجاك شدات الأغر كأنما ... يرى الأكم من أجبال سلمى صحاريا

فلما أمنت القوم وامتدت الضحى ... بسنجار أذريت الدموع الدواريا

فرد عليه جواس بن القعطل الكلبي فقال:

لعمري لقد أبقت وقيعة أرهط ... على زفر داء من الداء باقيا

مقيماً ثوى بين الضلوع محله ... وبين الحشا أعيا الطبيب المداويا

دعا بسلاح ثم أحجم إذ رأى ... سيوف جناب والطول المذاكيا

عليها كأسد الغاب فتيان نجدة ... إذا ما انتضوا عند النزال العواليا

وفي ذلك يقول الفرزدق:

وقد جعلت للحين في المرج والقنا ... لمروان أيام عظام الملاحم

رأيت بني مروان جلت سيوفهم ... عشي كان في الأبصار تحت العمائم

ولو رام قيس غيرهم يوم راهط ... للأقى المنايا بالسيوف الصوارم

ولكن قيساً روغمت يوم راهط ... بطود أبي العاص الشديد الدعائم

وقال كثير بن عبد الرحمن الخزاعي مخاطباً لعبد الملك:

أبوك حمى أمية حين زالت ... دعائمها وأصحر للضراب

وكان الملك قد وهيت قواه ... فرد الملك منها في النصاب

وقال عبد الرحمن بن الحكم أخو مروان بن الحكم:

أرى أحاديث أهل المرج قد بلغت ... أقصى الفرات وأهل الفيض والنيل

أموالهم حرة في الأرض تلقطها ... فرسان كلب على الجرد الهذاليل

ثم سار مروان بعقب ذلك إلى مصر، وهم في طاعة ابن الزبير، وكانت له معهم حروب عظيمة قتل فيها خلق كثير من الفريقين إلى أن استوسقوا على طاعته، وأخرجوا عبد الرحمن بن جحم الفهري عامل ابن الزبير عنهم.

واستخلف مروان عليها ابنه عبد العزيز وذلك في سنة 65 وعاد إلى دمشق، وسرح عبيد الله بن زياد في جيوش كثيفة للغلبة على الجزيرة والعراق، وولاه كل بلد يغلب عليه، فسار في نحو من ثمانين ألفاً، فلما صار ببلاد الجزيرة بلغه مسير سليمان بن صرد الخزاعي والمسيب بن نجبة وغيرهما في نحو من أربعة آلاف يطلبون بدم الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وكانوا يسمون جيش التوابين حتى صاروا إلى عين الوردة، وهي رأس العين فسرح إليهم عبيد الله ابن الحصين بن نمير وغيرهم من رؤساء الشأم، فالتقوا بها فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقتل سليمان بن صرد والمسيب بن نجبة وأكثر ذلك الجيش، وتحمل من بقي في أول الليل راجعين إلى الكوفة. وذلك في السنة وهي سنة 65 وكانت وفاة مروان بن الحكم بدمشق لثلاث خلون من شهر رمضان من هذه السنة ودفن بها، وله إحدى وستون سنة.

وكانت ولايته تسعة أشهر وأياماً، وكان طوالاً أزرق بعيد الغور يركب الأمور بغير رهبة ويمضي للتدبير على غير روية وكتب له أبو الزعيزعة مولاه، وابن سرجون النصراني، سليمان بن سعيد الخشني، وعبيد بن أوس الغساني.

وكان نقش خاتمه العزة لله وقيل آمن بالله وقيل آمنت بالله العزيز الحكيم وقيل آمن بالعزيز الحكيم وقاضيه أبو إدريس الخولاني وحاجبه أبو سهيل الأسود مولاه، وقيل أبو المنهال مولاه.

ذكر أيام عبد الملك بن مروان

وبويع عبد الملك بن مروان ويكنى أبا الوليد وأمه عائشة ابنة معاوية بن المغيرة ابن أبي العاص بن أمية في رجب سنة 65 والحجاز والعراق وفارس وخراسان وما يلي ذلك من

البلاد بيد ابن الزبير، وغلب المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي على الكوفة، وأظهر الدعاء إلى ابن الحنفية، وتجرد لقتلة الحسين فأباد، منهم خلقاً كثيراً.
وسار عبيد الله بن زياد إلى الموصل، وسير المختار إبراهيم بن الأشتر مالك ابن الحارث النخعي للقائه في اثني عشر ألفاً، فالتقوا بالزاب من أرض الموصل، فاقتتلوا قتالاً شديداً. فقتل عبيد الله بن زياد، والحصين بن نمير السكوني، وشرحبيل بن ذي الكلاع الحميري في خلق عظيم من أهل الشأم، وذلك يوم عاشوراء سنة 67 وفي قتل عبيد الله يقول ابن مفرغ الحميري:
إن الذي عاش ختاراً بذمته ... ومات عبداً قتيل الله بالزاب
ولم يزال المختار مقيماً بالكوفة إلى أن سار مصعب بن الزبير في أهل البصرة ومعه المهلب بن أبي صفرة الأزدي، ثم العتيكي وغيره من الرؤساء، فهزمه وحصره في قصر الإمارة بالكوفة، إلى أن خرج مستميتاً في نفر من أصحابه، فجالد حتى قتل. وذلك للنصف من شهر رمضان من هذه السنة، وهي سنة 67، ونزل من بقي من أصحاب المختار وهم نحو من ستة آلاف على حكم مصعب فقتلهم جميعاً، وكانوا يسمون الخشبية

قال المسعودي: وسار عبد الملك إلى العراق، فالتقى مع مصعب بن الزبير بمسكن من أرض العراق، فقتل مصعب في جمادى الأولى سنة 72. وفي ذلك يقول عبيد الله بن قيس الرقيات، وكان من شيعة آل الزبير:
إن الرزية يوم مس ... كن والمصيبة والفجيعة
بابن الحواري الذي ... لم يعده يوم الوقيعة
غدرت به مضر العرا ... ق وأمكنت منه ربيعة
ووجه بالحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف، واسم ثقيف قسي ابن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر في عساكره إلى عبيد

الله بن الزبير بن العوام، فحصره بمكة ثم بالمسجد الحرام، وقتل به يوم الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة 73 وله ثلاث وسبعون سنة، وأمر به الحجاج فصلب، وأمه أسماء ابنة أبي بكر ذات النطاقين أخت عائشة لأمها، وأبيها وهي يومئذ باقية قد بلغت من السن مائة سنة لمي قع لها سن ولا ابيض لها شعر ولا أنكر لها عقل، غير أنها ذاهبة البصر، وكانت مدة أيامه وفتنته مذ مات معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان إلى أن قتل ثمان سنين وتسعة أشهر.

ومما كان في أيام عبد الملك بن مروان من الحوادث العظيمة والأنباء الجليلة في الملك خلع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس بن معدي كرب الكندي في سنة 81، وكان الحجاج وجهه في جيش كثيف حسن العدة، وكان يسمى جيش الطواويس إلى سجستان لغزو رتبيل ملك زابلسنان، ففتح كثيراً من بلادهم، وكتب إليه الحجاج يستعجزه ويغلظ له، فدعا من معه من رؤساء أهل العراق إلى خلع الحجاج، فأجابوه إلى ذلك؛ لبغضهم الحجاج، وخوفهم سطوته، فخلعوه.

وسار عبد الرحمن راجعاً لإخراج الحجاج من العراق، ومسألة عبد الملك إبدالهم به، فلما عظمت جموعه ولحق به كثير من أهل العراق ورؤسائهم وقرائهم ونساكهم عند قربه منها خلع عبد الملك، وذلك بإصطخر فارس وخلعه الناس جميعاً وسمى نفسه ناصر المؤمنين وذكر أنه القحطاني الذي ينتظره اليمانية وأنه يعيد الملك فيها، فقيل له إن القحطاني على ثلاثة أحرف، فقال اسمي عبد وأما الرحمن فليس من اسمي، وسار الحجاج للقائه حتى لقيه دون تستر من كور الأهواز بسبعة فراسخ، فهزم أصحاب الحجاج، وقتل منهم نحو من ثمانية آلاف. وسار الحجاج إلى البصرة، فنزل الراوية وسار ابن الأشعث حتى نزل الخريبة، وذلك في سنة 83. فأقاموا يقتتلون نحواً من شهرين، ثم خرج ابن الأشعث إلى الكوفة ليلاً ليتغلب عليها في نفر يسير وأصبح أصحابه، فبايعوا عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، فلقيهم الحجاج فهزمهم، ولحقوا بابن الأشعث، فخرج ابن الأشعث من الكوفة حتى نزل دير الجماجم، وسار الحجاج حتى نزل دير قرة، وكان كتب

إلى عبد الملك يستمده فأمده بابنه عبد الله بن عبد الملك وأخيه محمد بن مروان، فاقتتلوا بدير الجماجم نحواً من أربعة أشهر، فكانت الوقائع بينهم فيما قبل نحواً من ثمانين وقعة، وابن الأشعث في نحو من ثمانين ألفاً، وقيل أكثر من ذلك. والحجاج في دون جمعه ولم يكن بعد وقائع صفين أعظم من هذه الحروب ولا أهول من هذه الزحوف، ثم انهزم ابن الأشعث وأهل العراق، وقتل منهم جمع كثير، وسار ابن الأشعث إلى البصرة، وتبعه الحجاج فخرج عنها، فكان التقاؤهم بمسكن من أرض العراق، فهزم أهل العراق وقتلوا قتلاً ذريعاً، ومضى ابن الأشعث فيمن تبعه حتى صار إلى سجستان، وكاتب رتبيل وصار إليه فوجه الحجاج بجيش كثيف إلى سجستان. وكتب إلى رتبيل بتسليم ابن الأشعث فيمن تبعه، ورغبه إن فعل ذلك في مال جزيل ورفع الأتاوة عنه ويخوفه إن أبى ذلك بقصده وتسرية الجيوش إليه، فغدر به رتبيل وسلمه إلى صاحب الحجاج فسار به يريده فألقى ابن الأشعث نفسه من فوق قصر من قصور الرخّج فمات، فأخذ رأسه وصير به إلى الحجاج، وذلك في سنة 84. فوجه به الحجاج إلى عبد الملك فوجه به عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز بمصر وفي ذلك يقول الشاعر:

يا بعد مصرع جثة من رأسها ... رأس بمصر وجثة بالرخّج

قتلوه بغياً ثم قالوا بايعوا ... وجرى البريد برأس أروع بلج

وتوفي عبد الملك بدمشق لعشر خلون من شوال سنة 86، ودفن بها وله اثنتان وستون سنة، وقيل أكثر من ذلك، فكانت أيامه إحدى وعشرين سنة وشهرين وعشرة أيام، وكان أسمر مربوعاً، طويل اللحية، يباشر الأمور بنفسه، متيقظاً في سلطانه، حازماً في رأيه، لا يكل الأمور في أعدائه وأهل حربه إلى غيره حتى يباشرها بنفسه، يركب الخطأ في كثير من أموره فتغره السلامة وكتب له قبيصة بن ذؤيب الخزاعي، وأبو الزعيزعة، وعمرو بن الحارث مولى بني عامر بن لؤي، وسرجون بن منصور الرومي وكان نقش خاتمه آمنت به مخلصاً وعلى قضائه أبو إدريس الخولاني، وعبد الله بن قيس بن عبد مناف وحاجبه يوسف مولاه،

وقد حجبه أبو الزعيزعة وفي أيامه كانت وفاة عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بالطائف ذاهب البصر سنة 68، وله إحدى وسبعون سنة، وكان مولده قبل الهجرة بثلاث سنين، وصلى عليه محمد بن الحنفية أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب، وتوفي محمد بن الحنفية بالمدينة في المحرم سنة 81 وله خمس وستون سنة، وصلى عليه أبان بن عثمان، وهو يومئذ والي المدينة لعبد الملك، وللكيسانية من الشيعة فيه خطوب كثيرة طويلة ودعاوى كثيرة.

ذكر أيام الوليد بن عبد الملك

وبويع الوليد بن عبد الملك بن مروان، ويكنى أبا العباس وأمه ولادة ابنة العباس بن جزء بن الحارث العبسي بدمشق في اليوم الذي توفي فيه عبد الملك، وتوفي بها للنصف من جمادى الآخرة سنة 96، وهو ابن ثلاث وأربعين سنة ودفن بها. وكانت مدته تسع سنين وثمانية أشهر وخمسة أيام، وكان طويلاً أسمر أفطس به أثر جدري، بمقدم لحيته شيب لم يغيره، وكان لحانة، شديد السطوة لا يتوقف عند الغضب، ولا ينظر في عاقبة، ولا يكلم عند سطوته، تهون عليه الدماء وكتب له عبد الله بن هلال الثقفي، وصالح بن عبد الرحمن مولى بني مرة بن عبيد، والقعقاع بن خليد العبسي، وسليمان بن سعد الخشني، وكان نقش خاتمه يا وليد إنك ميت وقاضيه أبو بكر محمد بن حزم، وحاجبه يزيد مولاه.

قال المسعودي: وكانت وفاة الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل عامله وعامل أبيه على العراق بواسط العراق في شهر رمضان سنة 95 قبل وفاة الوليد بتسعة أشهر، وكانت ولايته على العراق عشرين سنة. وترك في بيت المال مائة ألف ألف وبضعة عشر ألف ألف درهم، وتولى العراق وخراجها مائة ألف ألف درهم، فلم يزل بعنته وسوء سياسته حتى صار خراجها خمسة وعشرين ألف ألف درهم، ونظرت هند ابنة أسماء بن خارجة الفزاري إلى الحجاج مسجى، وكانت امرأته فطلقها فقالت:

ألا يا أيها الجسد المسجى ... لقد قرت بمصرعك العيون

وكنت قرين شيطان رجيم ... فلما مت سلمك القرين

وكان عدة من قتله الحجاج صبراً سوى من قتل في زحوفه وحروبه مائة ألف وعشرين ألفاً، منهم سعيد بن جبير صاحب عبد الله بن العباس، ويكنى أبا عبد الله مولى لبني والبة بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة، وكان أسود قتله في سنة 94 لخروجه مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، وكميل بن زياد النخعي من بني صهبان صاحب علي بن أبي طالب، وتوفي وفي محبسه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة، وكان حبسه حائراً لا شيء فيه يكنهم فيه من حر ولا برد، ويسقون الماء مشوباً بالرماد.

ذكر أيام سليمان بن عبد الملك

وبويع سليمان بن عبد الملك بن مروان ويكنى أبا أيوب في اليوم الذي توفي فيه أخوه الوليد، وأمه ولادة أم أخيه الوليد وهلك وهو معسكر بمرج دابق من أعمال قنسرين، ممداً لأخيه مسلمة، وهو على حصار القسطنطينية يوم الجمعة لعشر ليال بقين من صفر سنة 99 وله تسع وثلاثون سنة، وكانت ولايته سنتين وثمانية أشهر وخمس ليال، وكان طويلاً أبيض، جميلاً قضيفاً، جعد الشعر لم يشب، فصيح اللسان، كثير الأدب، لين الجانب، شديد العجب بشبابه وجماله، أكولاً، نهماً، نكاحاً، لا يعجل إلى سفك الدماء، ولا يستنكف عن مشورة النصحاء، فيه حسد شديد وكتب له عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص، وسليمان بن نعيم الحميري، وابن بطريق النصراني.

وكان نقش خاتمه آمنت بالله وعلى قضائه محمد بن حزم وحاجبه أبو عبيدة مولاه وقيل مسلم مولاه.

ذكر خلافة عمر بن عبد العزيز رحمه الله

وبويع عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، ويكنى أبا حفص وأمه أم عاصم ابنة عاصم بن عمر بن الخطاب في اليوم الذي توفي فيه سليمان، فوجه إلى مسلمة فأقفله عن حصار القسطنطينية، وقد ذكرنا مدة ما أقام عليها محاصراً لها فيما سلف من هذا الكتاب في أخبار الروم بعد ظهور الإسلام في ملك تيدوس المعروف بالأرمني وتوفي عمر بدير سمعان

من أعمال حمص مما يلي قنسرين مسموماً فيما قيل من قبل أهله يوم الجمعة لعشر بقين من رجب سنة 101 وله تسعة وثلاثون سنة وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وخمسة أيام، وكان أسمر، حسن الوجه، نحيف الجسم، حسن اللحية، غائر العينين، بوجهه أثر من نفح دابة رمحته في صباه قد وخطه الشيب، ومات ولم يخضب.

وكان فاضلاً يؤثر الدين على الدنيا، ويعمل عمل من يخاف يومه ويرجو غده ويقر بتدينه لما يجري أهله عليه وكان كاتبه ليث بن أبي رقية وتقش خاتمه لكل عمل ثواب وقيل عمر يؤمن بالله مخلصاً وعلى قضائه عبد الله بن سعد الأيلي، وحاجبه مزاحم مولاه، وقيل حسين.

ذكر أيام يزيد بن عبد الملك

وبويع يزيد بن عبد الملك بن مروان، ويكنى أبا خالد، وأمه عاتكة ابنة يزيد بن معاوية في اليوم الذي توفي فيه عمر، وتوفي بأرض البلقان من أعمال دمشق يوم الجمعة لخمس ليال بقين من شعبان سنة 105، وهو ابن تسع وثلاثين سنة، فكانت أيامه أربع سنين وشهراً. وكان طويلاً جسيماً أبيض مدور الوجه لم يشب، فتى الشباب شديد الفخر ظاهر الكبر، يحب اللهو، ويستعمل الحجاب، لا يعرف صواباً فيأتيه، ولا خطأ فيدعه وكتب له أسامة بن زيد السليحي وزيد بن عبد الله وكان نقش خاتمه قنى الحساب وحاجبه سعيد مولاه، وقيل خالد.

وكان في أيامه من الكوائن العظيمة في الملك خلع يزيد بن المهلب بن أبي صفرة إياه، واسم أبي صفرة ظالم بن سراق بن صبح بن كندي بن عمرو بن عدي بن وائل بن الحارث بن العتيك بن الأسد بن عمران بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن ثعلبة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن ابن الأزد، واسمه دراء بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ.

وكان يزيد في سجن عمر بن عبد العزيز يطالبه بالأموال التي كان يزيد كتب بها إلى سليمان بن عبد الملك، أنها صارت إليه عند فتحه جرجان وطبرستان، فلما مات عمر وذلك في

رجب سنة 101، هرب يزيد من السجن وصار إلى البصرة، وعليها عدي بن أرطاة الفزاري، وكان قد سجن عدة إخوة ليزيد حين بلغه مسيره إليه فسامه يزيد تخليتهم فأبى، واجتمع إلى يزيد جمع عظيم وبذل الأموال فكثر تبعه، وسار إلى عدي فقبض عليه وسجنه وغلب على البصرة والأهواز وفارس وكرمان، وخلع يزيد بن عبد الملك، فندب يزيد للقائه أخاه مسلمة بن عبد الملك، وابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك في جيوش كثيفة، وخرج يزيد بن المهلب عن البصرة في جموع كثيفة عظيمة، فالتقوا بالعقر من أرض بابل فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقتل يزيد وعدة من إخوته في جمع من أهل العراق وانهزم الباقون، وذلك في سنة 102، وقيل إن الذي تولى قتل يزيد القحل بن عياش بن حسان بن سمير بن شراحيل بن عرين بن أبي جابر بن زهير بن جناب، وفي ذلك يقول المسيب بن الرفل الكلبي مفتخراً:

قتلنا يزيد بن المهلب بعد ما ... تمنيتم أن يغلب الحق باطله

فما كان من أهل العراق منافق ... عن الدين إلا من قضاعة قاتله

وقال رفيع بن أزير الأسدي في مقتله مخاطباً يزيد بن عبد الله بن مروان:

إليك أمير المؤمنين مسيرنا ... على المقربات والمحذفة والبتر

نزيد أمير المؤمنين بأرضه ... رءوساً جناها بين بابل والعقر

ولاقى يزيد بن المهلب باكراً ... من الموت ساقته الحتوف وما يدري

وركب من بقي من آل المهلب وأتباعهم السفن حتى صاروا إلى قندابيل من أرض السند فوجه مسلمة هلال بن أحوز المازني لأتباعهم، فلحقهم بها، فقتل منهم جمعاً وأسر الباقين، فكان المهلب عند وفاته استخلف يزيد بن المهلب على عمله وأمر سائر إخوته بالسمع والطاعة له.

وكانت وفاة المهلب بمرو الروزمن أرض خراسان في ذي الحجة سنة 83 وهو على إمرتها يومئذ، وفيه يقول نهار بن توسعة التميمي:

ألا ذهب العز المقرب للتقى ... ومات الندى والجود بعد المهلب

أقاما بمرو الروز وهني ضريحه ... فقد غيبا عن كل شرق ومغرب

ذكر أيام هشام بن عبد الملك

وبويع هشام بن عبد الملك بن مروان، ويكنى أبا الوليد وأمه أم هشام بنت هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي في اليوم الذي توفي فيه يزيد، وتوفي بالرصافة من أرض قنسرين مما يلي البر يوم الأربعاء لست ليال خلون من شهر ربيع الآخر سنة 125، وله ثلاث وخمسون سنة وكانت ولايته تسع عشرة سنة وسبعة أشهر وإحدى عشرة ليلة، وكان أبيض إلى الصفرة ما هو، أحول شديد انقلاب العين، يخضب لحيته بالسواد، ربعة من الرجال، حسن البدن خشن الجانب، شكس الأخلاق، دقيق النظر، جامعاً للأموال، قليل البذل للنوال، متيقظاً في سلطانه، سائساً لرعيته، مباشراً للأمور بنفسه، لا يغيب عنه شيء من أمر مملكته وكتب له محمد بن عبد الله بن حارثة الأنصاري، وأسامة بن زيد السليحي، وسالم مولى سعيد بن عبد الملك وكان نقش خاتمه الحكم الحكيم وعلى قضائه محمد بن صفوان الجمحي، ونمير بن أوس الأشعري، وحاجبه غالب مولاه.

وفي السنة السابعة عشرة من ولايته وهي سنة 122، كان ظهور زيد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب بالكوفة في نفر يسير، وعليها يوسف بن عمر الثقفي، وقد كان بايعه خلق كثير، ثم قعدوا عنه ولم يفوا له، فلقيه يوسف ابن عمر في جموع عظيمة، فقاتلهم زيد قتالاً شديداً إلى أن قتل ومن معه في صفر من هذه السنة وصلب بالكناسة.

ذكر أيام الوليد بن يزيد بن عبد الملك

وبويع الوليد بن يزيد بن عبد الملك، ويكنى أبا العباس، وأمه أم الحجاج ابنة محمد بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي في الوقت الذي هلك فيه هشام فقدم نزار واستبطنها، وجفا اليمن وأطرحها، واستخف بأشرافها، وعمد إلى خالد القسري، وهو خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز بن عامر بن عبد الله ابن عبد شمس بن غمغمة

بن جرير بن شق الكاهن بن صعب بن يشكر بن رهم ابن أفرك بن أفصى بن نذير بن قسر بن عبقر بن أنمار، وكان رئيس اليمينية في وقته المنظور إليه منهم، وكان على العراق وما يليه من الأهواز وفارس والجبال وأخوه أسد بن عبد الله على خراسان، فدفعه إلى يوسف بن عمر الثقفي عامله على العراق، فحمله إلى الكوفة وعذبه حتى قتله.

وقال الوليد: عند ذلك يوبخ اليمن ويقرعها ويذكر خالداً ويفتخر بنزار في قصيدة له طويلة أولها:

ألم تهتج فتذكر الوصالا ... وحبلاً كان متصلاً فزالا

وهذا خالد فينا أسيراً ... ألا منعوه إن كانوا رجالا

عميدهم وسيدهم قديماً ... جعلنا المخزيات له ظلالا

وتتابعت من الوليد فعال أنكرها الناس عليه، فدب يزيد بن الوليد في الدعاء إلى خلعه فأجابته اليمن بأسرها، وعاضدوه ووثبوا معه على عامل الوليد بدمشق فأجابوه وبايعوا يزيد، ثم ساروا إلى الوليد وهو في الحصن المعروف بالبخراء مما يلي البر بين حمص ودمشق فقتلوه، وذلك يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة 126 وله اثنان وأربعون سنة، فأخذوا بنيه وليي عهده الحكم، وعثمان، فقتلا بعد ذلك بدمشق مع يوسف بن عمر الثقفي. فقال الأصبغ بن ذؤالة الكلبي في ذلك:

من مبلغ قيساً خندف كلها ... وساداتها من عبد شمس وهاشم

قتلنا أمير المؤمنين بخالد ... وبعنا وليي عهده بالدراهم

وقال خلف بن خليفة البجلي:

تركنا أمير المؤمنين بخالد ... مكباً على خيشومه غير ساجد

وإن سافر القسري سفرة هالك ... فإن أبا العباس ليس بعائد

أقرى معه الهوان فإننا ... قتلنا أمير المؤمنين بخالد

ذكر أيام مروان بن محمد

وبويع مروان بن محمد بن مروان بن الحكم، ويكنى أبا عبد الله وأبا عبد الملك وأمه أم ولد، يقال لها زبادة، كانت لإبراهيم بن الأشتر النخعي، فصارت إلى محمد ابن مروان يوم قتل إبراهيم، وإبراهيم على مقدمة مصعب بن الزبير، ومحمد على مقدمة أخيه عبد الملك بن مروان، وقيل إنها كانت حاملاً من إبراهيم، فجاءت بمروان على فراش محمد بن مروان، وكانت بنو أمية تكره أن تولي الخلافة أبناء أمهات الأولاد لأنها كانت ترى أن ذهاب ملكها على يدي ابن أمة فكان ذلك مروان بن محمد، وكانت البيعة له يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة خلت من صفر سنة 127، ونزل حران من أرض الجزيرة.

وكان جميع من ملك من قبله من بني أمية ينزلون دمشق، ومنهم من كان يتبدى، وكانت أيامه كلها فتناً وحروباً، ولم تصف له الأمور، وخالفه أهل حمص وخلعوا طاعته، فحصرهم وحاربهم دفعة بعد أخرى، وخلعه أهل مصر إلى أن سير إليهم الجنود، فعادوا إلى طاعته، وخالفه بنو هشام بن عبد الملك سليمان وأبان وغيرهما مع من انضاف إليهم من بني أمية وحاربوه مرة بعد أخرى، وخالفه ثابت بن نعيم الجذامي، وأجابه كثير من أجناد الشأم كفلسطين وغيرها.

وغلب الضحاك بن قيس الشيباني من بني المحلم بن ذهل بن شيبان الخارجي الصفري على العراق، ولم يغلب أحداً من الخوارج قبله ولا بعده عليهما، وسار للقاء مروان في جيوش عظيمة ومعه سليمان بن هشام بن عبد الملك في جمع مواليه ورجاله مؤتماً بالضحاك تابعاً له، وفي ذلك يقول بعض شعراء الخوارج مفتخراً:

ألم تر أن الله أنزل نصره ... وصلت قريش خلف بكر بن وائل

فالتقيا بكفر توثا من بلاد الجزيرة، وأقاموا يقتتلون أياماً كثيرة في سنة 129 وسارت الخوارج الإباضية من اليمن من قبل عبد الله بن يحيى الكندي الملقب طالب الحق، عليهم أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي، وبلج بن عقبة، فنزلوا مكة يوم عرفة من هذه السنة، ووادعهم عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان عامله مكة إلى انقضاء الحج ثم هرب وخلاها وسار إلى المدينة، ودخلت الخوارج مكة فجهز عبد الواحد للقائهم جيشاً، أمر

عليهم عبد العزيز بن عبد الله ابن عمرو بن عثمان، وخرجت الخوارج من مكة، فالتقوا بقديد في صفر سنة 130 فقتل عبد العزيز في جمع كثير منهم، من أهل المدينة سبعمائة أكثرهم من قريش، ولم ينج إلا الشريد، فقالت نائحتهم:

ما للزمان وماليه ... أفنت قديد رجاليه

فلأبكين سريرة ... لأبكين علانية

ودخلت الخوارج المدينة، فغلبوا عليها ثلاثة أشهر، فوجه مروان للقائهم عبد الملك بن محمد بن عطية السعدي، سعد بن بكر بن هوازن في أربعة آلاف فالتقوا بوادي القرى، فقتل بلج وأكثر الخوارج، ونجا أبو حمزة، فصار إلى مكة، ولحقه عبد الملك فقتله بها وجمعاً من أصحابه، ولحق بقيتهم بعبد الله بن يحيى، وسار عبد الملك إلى اليمن، فلقيه عبد الملك بن يحيى بنواحي صنعاء فاقتتلا قتالاً شديداً، فقتل عبد الله وأكثر من كان معه، وذلك في هذه السنة.

واشتد أمر أبي مسلم الخراساني، وأخرج نصر بن سيار عامل مروان عنها، وسير قحطبة بن شبيب الطائي في جيوش كثيفة، فقتل نباتة بن حنظلة الكلابي عامل مروان على جرجان في نحو من ثلاثين ألفاً، وعامر بن ضبارة المري بأصبهان في نحو من أربعين ألفاً، وسار في جيوشه نحو العراق، وسار يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري عامل مروان للقائه، فالتقيا بالفرات مما يلي الكوفة، فهزم ابن هبيرة وغرق قحطبة وسارت المسودة إلى الكوفة فبايعوا لأبي العباس السفاح.

وسار عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس عم السفاح في جمع غفير عظيم للقاء مروان. وسار مروان في جيوش عظيمة وجموع مهولة وعدد كثيرة، فالتقيا بالزاب من أرض الموصل يوم السبت لإحدى عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة 132، فهزم مروان واستولى على عسكره، وقتل من أصحابه جمع عظيم، فسار حتى أتى الشأم والجيوش تتبعه، فصار إلى مصر فقتل ببوصير الأشمونين من صعيدها ليلة الأحد لثلاث بقين من ذي الحجة من

هذه السنة وله سبعون سنة، وقيل أقل من ذلك.
وكانت أيامه إلى أن قتل خمس وسنين وعشرة أشهر وأحد عشر يوماً.

وكان شديد الشهلة، أبيض مشرباً حمرة، ضخم الهامة، والمنكبين، كبير اللحية، وكان مجرباً صابراً على التعب والنصب، يغري بين القبائل، ويغضب بين العشائر، يلقي أموره وهي مدبرة، ويريد أن يجعلها مقبلة. واصطفى قيس عيلان وانحرف عن اليمن، وبادأها العداوة فصارت عليه إلباً، وله حرباً وكان كاتبه عبد الحميد بن يحيى بن سعد بن عبد الله بن جابر بن مالك بن حجر بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب.
وكان مفوهاً بليغاً له رسائل مجموعة متناقلة يقتدى بها ويعمل عليها، ورأيت له عقباً بفسطاط مصر، يعرفون ببني مهاجر، وقد كان منهم عدة يكتبون لآل طولون.
ونقش خاتمه فوضت أمري إلى الله، وعلى قضائه عثمان بن عمرو البتي، وحاجبه صقلاب مولاه.
قال المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين بن علي: وكانت مدة ملك بني أمية على ما قدمنا من التاريخ منذ صالح الحسن بن علي معاوية، وسلم له الأمر إلى أن قتل مروان بن محمد آخر ملوكهم إحدى وتسعين سنة وسبعة أشهر وسبعة وعشرين يوماً، وتنازع أصحاب السير والتواريخ ومن عني بأخبار ملوك العالم في زيادة شهور وأيام في مدتهم ونقصانها عما ذكرنا والأشهر من ذلك ما قدمنا وكذلك باين هؤلاء أصحاب كتب الزيجة في النجوم فيما ذكروه في كتب زيجاتهم ورسموه من مقادير أيامهم، وقد أتينا على ما قاله كل فريق منهم في مقادير أيامهم وأيام من كان من بعدهم إلى وقتنا هذا وهو سنة 345 في كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر، في تحف الأشراف من الملوك وأهل الدرايات وفي كتاب فنون المعارف، وما جرى في الدهور السوالف وفي كتاب الاستذكار، لما جرى في سالف الأعصار الذي كتابنا هذا تال له ومبني عليه وإنما الغرض من هذا الكتاب إيراد لمع من ذلك دون الشرح والإيضاح ليسهل درسه على قارئه ويقرب حفظه على راويه

ذكر ما جرت عليه أحوال بني أمية

بعد قتل مروان بن محمد وتفرقهم في البلاد، وسبب تملك عبد الرحمن ابن معاوية بن هشام على بلاد الأندلس وولده إلى وقتنا هذا وما اتصل ذلك

لما قتل مروان بن محمد بن مروان، تفرقت بنو أمية في البلاد، هرباً بأنفسهم، وقد كان عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب قتل منهم على نهر أبي فطرس، من بلاد فلسطين، نحواً من ثمانين رجلاً مثلة، واحتذى أخوه داود بن علي بالحجاز فعله، فقتل منهم نحواً من هذه العدة بأنواع المثل، وكان مع مروان حين قتل ابناه عبد الله وعبيد الله، وكانا وليي عهده فهربا فيمن تبعهما من أهلهما ومواليهما وخواصهما من العرب، ومن انحاز إليهم من أهل خراسان من شيعة بني أمية فساروا إلى أسوان من صعيد مصر، وساروا على شاطئ النيل إلى أن دخلوا أرض النوبة وغيرهم من الأحابش، ثم توسطوا أرض البجة ميممين باضع من ساحل بحر القلزم، فكانت له من مروا به من هذه الأمم، حروب ومغاورات، ونالهم جهد شديد وضر عظيم، فهلك عبيد الله بن مروان في عدة من كان معهم قتلاً وعطشاً وضراً، وشاهد من بقي منهم أنواع الشدائد وضروب العجائب ووقع عبد الله بن مروان في عدة ممن نجا معه إلى باضع من ساحل المعدن وأرض البجة، وقطع البحر إلى جدة من ساحل مكة، وتنقل فيمن نجا معه من أهله ومواليه في البلاد متسترين راضين أن يعيشوا سوقةً بعد أن كانوا ملوكاً، فظفر بعبد الله أيام أبي العباس السفاح فأودع السجن، فلم يزل فيه بقية أيام أبي العباس وأيام المنصور والمهدي والهادي، فأخرجه الرشيد، وهو شيخ ضرير، فسأله عن خبره. فقال: يا أمير المؤمنين، حبست غلاماً بصيراً، وأخرجت شيخاً ضريراً، فقيل إنه هلك في أيام الرشيد وقيل بل في أيام الأمين.

كان عامل إفريقية لمروان عبد الرحمن بن حبيب الفهري، وكان كاتب مروان وهو بمصر ورغبه في المصير إليه وذكر له كثرة جنوده وعدده ومنعة بلاده ثم تعقب الرأي فعلم أن مروان إن قدم صار كأحد أتباعه وجنوده وأن من وراءه المسودة يتبعونه، فكتب إلى مروان يعرفه كراهية من قبله من الجنود لذلك فعوجل، فقطع النيل ومضى إلى الصعيد فقتل هناك،

وقيل إن كتاب عبد الرحمن الذي يستدعيه فيه جاءه، وقد قطع النيل إلى الجانب الغربي لمعاجلة المسودة إياه، ودخولهم فسطاط مصر، فمضى إلى بوصير الأشمونين من صعيد مصر ليصير إلى إفريقية على طريق الواحات، فبادرته المسودة بالعبور إليه.

وقدم على عبد الرحمن بن حبيب بعد قتله جماعة من بني أمية يرجون الأمر في بلاده منهم عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، ولؤي، والعاص ابنا الوليد بن يزيد فبلغ عبد الرحمن عن ابني الوليد شيء أنكره، ففتك بهما فاشتد خوف عبد الرحمن بن معاوية منه فهرب وقطع المجاز الذي بين أفريقية والأندلس، الآخذ من بحر أوقيانس المحيط إلى بحر الرومي وصار إليها وعاملها يوسف بن عبد الرحمن الفهري وقد عظم الخطب من العصبية بين من بها من اليمانية والنزارية، ودامت عدة سنين، فطمع في الغلبة عليها، وكاتب اليمانية ودعاهم إلى نفسه، وسير بدراً مولاه إليهم، فبايعوه وسارعوا إلى طاعته وسرّوا بقدومه وبلغ يوسف بن عبد الرحمن أمره فسار إليه في النزارية وغيرهم من أنصاره فاقتتلوا قتالاً شديداً، فهزم يوسف بن عبد الرحمن وقتل أصحابه قتلاً ذريعاً وذلك في سنة 139 واستولى عبد الرحمن على بلاد الأندلس، وهو صقع جليل، ومملكة عظيمة، يكون مسيرته نحواً من أربعين يوماً في مثلها، فيه مدن كثيرة وعمائر متصلة واستقام له الأمر بعد أن بذل السيف في مخالفته، فاستوسق الجميع على طاعته، لم يكن خطب لأحد من بني العباس بالأندلس إلى ذلك الوقت، ولأجل ذلك أفردنا هذا الباب لتسمية ملكها إذ كانت مملكة مفردة لبني أمية، ورسوماً قائمة إلى هذا الوقت ويم يتبدل ولم ينتقل، فملك عبد الرحمن بلاد الأندلس ثلاثاً وثلاثين سنة وأربعة أشهر.

وكانت وفاته غرة جمادى الأولى سنة 172 فولى بعده ابنه هشام بن عبد الرحمن بن معاوية، سبع سنين وتسعة أشهر، وكانت وفاته في صفر سنة 180.

فولي بعده الحكم بن هشام بن عبد الرحمن، سبعاً وعشرين سنة وشهراً وخمسة وعشرين يوماً، وتوفي لثلاث بقين من ذي الحجة سنة 206.

فولي بعده ابنه عبد الرحمن بن الحكم بن هشام، اثنتين وثلاثين سنة، وأربعة أشهر، وتوفي في ربيع الآخر سنة 238 فولي بعده ابنه محمد بن عبد الرحمن بن الحكم، أربعاً وثلاثين سنة وعشرة أشهر وعشرين يوماً، وتوفي لليلة بقيت من صفر سنة 273 فولي بعده ابنه المنذر بن محمد بن عبد الرحمن سنة وأحد عشر شهراً وثلاثة عشر يوماً. وتوفي للنصف من صفر 275 فولي بعده أخوه عبد الله بن عبد الرحمن، خمساً وعشرين سنة، وخمسة عشر يوماً، وتوفي مستهل ربيع الأول سنة 300.

فولي بعده ابن ابنه عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ابن مروان إلى وقتنا هذا وهو سنة 345 خمساً وأربعين سنة، وبلده عامر، والعدل فيه شامل ولم يكن فيمن سمينا من آبائه ممن ملك الأندلس أحد يسمى بأمرة المؤمنين وكانوا يسمون بني الخلائف إلى أن ملك هو فخوطب بها، وصدرت عنه الكتب بذلك ووردت، وخطب له به على المنابر، وجعل ولاية العهد بعده لابنه الحكم بن عبد الرحمن دون سائر إخوته، لما تخيل فيه من النجابة، وتبين من اضطلاعه بالملك وقيامه به قال المسعودي وقد ذكرنا في الأخبار المعروفة بالمسعوديات التي نسبت إلينا وفي كتاب وصل المجالس جملاً من أخبار من سمينا من ولاة الأندلس وسياستهم وحروبهم مع من يجاورهم من الجلالقة والناسقس والوشكنش وقرمانيش وغوطس وغيرهما من الإفرنجية براً وبحراً.

وما كان من الأندلس من الحروب والفتن مذ افتحها طارق مولى موسى ابن نصير في سنة 92 في أيام الوليد بن عبد الملك إلى وقتنا هذا، وعبور طارق مولى موسى إليها، وقتله لذريق ملك الإشبان الذين كانوا بالأندلس، وعبور موسى بن نصير بعده، وما لقي من الأمم، وشاهد من العجائب وخبر المائدة الذهب، والبيت الذي كان فيه تيجان ملوكهم السالفة.

وذكرنا في كتاب فنون المعارف وما جرى في الدهور السوالف ما كان ببلاد أفريقية من الحروب والوقائع والزحوف منذ افتتحت، وخبر موسى بن نصير، ومن بها كان بعده من

الأمراء إلى أن أفضى أمر تملكها في أيام الرشيد إلى إبراهيم بن الأغلب بن سالم بن تميم بن سوادة التميمي، وخبره وخبر ولده من بعده إلى أن زال الأمر عنهم باستيلاء أبي عبد الله الشيعي الداعية المعروف بالمحتسب على مملكتهم، وخروجه في كتامة من البربر، وما كان بينه وبين آل الأغلب من الوقائع والزحوف، وتسليمه الأمر إلى عبيد الله، وقتل عبيد الله إياه.

وما كان من خبره بعد ذلك وبنائه مدينة المهدية وتسييره الجيوش إلى بلاد مصر للاستيلاء عليها مرة بعد أخرى، وذلك في سنة 302، ووفاته ومصير الأمر بعده إلى أبي القاسم عبد الرحمن وخروج أبي زيد مخلد بن كيداد البربري الزناتي من بني يفرن الإباضي، ثم النكاري في الإباضية وغيرهم، وما كان بينهم وبين جيوش أبي القاسم من الوقائع والحروب ومن قتل منهم إلى أن غلب على أكثر إفريقية، وحصاره أبا القاسم في المهدية إلى أن مات بها.
وخروج ابنه إسماعيل بن أبي القاسم ومواقعته أبا يزيد، وما كان بينهم من الحروب، وانفضاض الجيوش عن أبي يزيد وحصره إياه، إلى أن قتل أبو يزيد لخمس ليال بقين من المحرم سنة 336، وإن عدة من وقع عليه الإحصاء ممن قتل في تلك الحروب نحو من أربعمائة ألف ووفاة إسماعيل ومصير الأمر بعده إلى ابنه أبي تميم معد بن إسماعيل إلى هذا الوقت، وغير ذلك من الأخبار مما شرحناه وبينها في كتاب تقلب الدول، وتغير الآراء والملل وإنما نذكر في هذا المختصر لمعاً وجوامع، استذكاراً لما تقدم تأليفه من كتبنا في هذه المعاني، وتنبيهاً عليه.
وقد رأينا بعض المتأخرين ممن ينحرف عن الهاشميين الطالبيين منهم والعباسيين، ويتحيز إلى الأمويين، ويقول بإمامتهم، يذكر أنه كانت لمن ملك من بني أمية ألقاب كألقاب خلفاء العباسيين، وذكر في ذلك روايتين إحداهما قال روى محمد بن عبد الله بن محمد القرشي، قال حدثنا مصعب بن عبد الله عن أبيه عن جده. قال حدثني سابق مولى عبد الملك بن مروان. قال سمعت أمير المؤمنين عبد الملك يقول: تلقب أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان بالناصر لحق الله ويزيد بن معاوية بالمستنصر على الربيع ومعاوية ابن يزيد بالراجع إلى الله

ومروان بالمؤمن بالله والثانية. وقال حدثنا أبو مطرف عن أبيه عن جده. قال: تلقب عبد الملك بالمؤثر لأمر الله والوليد ابن عبد الله بالمنتقم لله ولقب سليمان بن عبد الملك بالمهدي لما أحدث من قطع ما كان على المنبر، وعهده إلى عمر بن عبد العزيز، وتلقب هو بالداعي إلى الله وعمر بن عبد العزيز بالمعصوم بالله ويزيد بن عبد الملك بالقادر بصنع الله وسمي هشام بن عبد الملك بالمنصور وذلك أنه ولد في الساعة التي ورد الكتاب فيها بما كان من مقتل مصعب بن الزبير، فلما قدم أبوه جيء به إليه وخبر باسمه، فقال ليس هذا من أسمائنا بل سموه باسم جده لأمه من آل الله وتلقب الوليد بن يزيد بالمكتفي بالله ويزيد بن الوليد بالشاكر لأنعم الله وإبراهيم بن الوليد بالمتعزز بالله ومروان بن محمد بالقائم بحق الله وكان عبد العزيز بن مروان إذ كان ولي عهد يدعى له على المنابر بالمعظم لحرمات الله وكان مسلمة بن عبد الملك لما بنى مدينته التي على خليج القسطنطينية سماها مدينة القهر، وتسمى القاهر بعون الله قال المسعودي: وهو إن جاء بهاتين الروايتين فإن الكافة على خلافه، فلو كان الأمر على ما ذكر لظهر واشتهر واستفاض، وجاء في الأخبار المنقولة القاطعة للعذر والأعمال الموروثة، فلما لم يذكره الجمهور من جملة الأخبار ونقلة السير والآثار، ولا دونه مصنفو الكتب في التواريخ والسير ممن ذكر أخبارهم ووصف أيامهم ممن تولاهم وانحرف عنهم علم أن ذلك لا أصل له ورأيت في سنة 324 بمدينة طبرية من بلاد الأردن من أرض الشأم عند بعض موالي بني أمية ممن ينتحل العلم والأدب ويتحيز إلى العثمانية كتاباً فيه نحو من ثلاثمائة ورقة بخط مجموع مترجم بكتاب البراهين في إمامة الأمويين ونشر ما طوي من فضائلهم أبواب مترجمة ودلائل مفصلة يذكر فيه خلافة عثمان ابن عفان ومعاوية ويزيد ومعاوية بن يزيد ومروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان ومن تلاه من بني مروان إلى مروان بن محمد بن مروان بن الحكم، ثم يذكر عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك، وأن مروان بن محمد نص عليه وعهد بالأمر بعده إليه، وينسق سائر من تملك الأندلس من بني أمية من ولد عبد الرحمن المقدم ذكرهم، إلى سنة 310.

وذكر عبد الرحمن بن محمدالوالي عليها في هذا الوقت، وهو سنة 345 ووصف لكل واحد منهم فضائل ومناقب وأموراً استحق بها الإمامة، ونصوصاً على أسمائهم وأعيانهم، وادعى الأخبار المتواترة الجائية مجيء الاستفاضة، وعزى ذلك إلى شيعة العثمانية ورجال السفيانية وأنصار المروانية، معارضاً لأهل الإمامة وهم جمهور الشيعة في المنصوص والنقل، ومستدلاً على فساد أقاويل أصحاب الاختيار من المعتزلة والزيدية والخوارج والمرجئة والحشوية والنابتة، ومناقضاً لأصحاب النص على أبي بكر من أصحاب الحديث، وأتى بمسائل ومعارضات على من ذكرنا وإلزامات.

وذكر من بعد ذلك أخباراً من أخبار الملاحم الآتية والأنباء الكائنة مما يحدث في المستقبل من الزمان والآتي من الأيام من ظهور أحدهم ورجوع دولتهم، وظهور السفياني في الوادي اليابس من أرض الشأم فيغسان وقضاعة ولخم وجذام وغاراته وحروبه ومسير الأمويين من بلاد الأندلس إلى الشأم، وأنهم أصحاب الخيل الشهب والروايات الصفر،وما يكون لهم من الوقائع والحروب والغارات والزحوف ولم يذكر في هذا الكتاب هذه الألقاب ولا شيئاً منها.

ذكر أيام ولد العباس

خلافة أبي العباس السفاح

وبويع أبو العباس السفاح عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ابن عبد المطلب، وأمه ريطة ابنة عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان بن الديان ابن قطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب ابن عمرو بن علة بن جلد بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وقد كان لقب أولاً بالمهدي ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة 132 بالكوفة.

وكان مبدأ الدعوة العباسية بالكوفة وخراسان وغيرها من الأمصار في سنة 100 للهجرة، وذلك أن أبا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية، كان قدم على سليمان بن عبد الملك سنة 98 فأعجب به، وقضى حوائجه وصرفه وضم إليه من سمه في الطريق، فلما أحس بذلك غدا إلى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ابن عبد المطلب، وهو يومئذ

بالحميمة، وقيل بكرار من جبال الشراة والبلقاء من أعمال دمشق، فأفضى إليه بسرائر الدعوة، وعرف بينه وبين الدعاة، وأعلمه أن الخلافة صائرة إلى ولده، وأن الأمر إلى ابن الحارثية منهم، وأمر ببث الدعوة عند تمام المائة سنة للهجرة.

فلما حضرت محمداً الوفاة أوصى إلى ابنه إبراهيم، فكانت الدعوة إليه، وسمي الإمام، وإليه دعا أبو مسلم بخراسان، فلما وقف مروان بن محمد الجعدي على ذلك كتب إلى عامله بدمشق، وهو الوليد بن معاوية بن مروان بن الحكم يأمره بتوجيه بعض ثقاته إلى الحميمة أو كرار فيأتيه بإبراهيم الإمام، فحمله إلى مروان فحبسه في المحرم من هذه السنة وهي سنة 132، فقتل في محبسه بعد شهرين، وعهد بالأمر بعده إلى أخيه أبي العباس عبد الله بن محمد وهو ابن الحارثية.

وتوفي أبو العباس بالأنبار في مدينته التي بناها وسماها الهاشمية يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة 136 وله ثلاث وثلاثون سنة، وكانت خلافته أربع سنين وثمانية أشهر ويوماً وكان طويلاً أبيض أقنى، حسن الوجه، جعد الشعر، له وفرة، سديد الرأي، ماضي العزيمة، كريم الأخلاق، متألفاً للرجال، سمحاً بالأموال، يهون عليه أن يأمر بسفك دماء عالم من أعدائه من غير أن يعاين ذلك قال المسعودي: وكان أول من وقع عليه اسم الوزارة في دولة بني العباس أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال، مولى السبيع من همذان وزر لأبي العباس السفاح، وكان يقال له وزير آل محمد، وفيه يقول بعض الشعراء

إن المساءة قد تسر وربما ... كان السرور بما كرهت جديرا

إن الوزير وزير آل محمدٍ ... أودى فمن يشتاك كان وزيرا

وقد أتينا على أخباره وسبب قتله في كتاب مروج الذهب، ومعادن الجوهر وهو أول وزير وزر لبني العباس، وأبوه حي

وكانت ملوك بني أمية تنكر أن تخاطب كاتباً لها بالوزارة وتقول الوزير بدمشق من الوزارة، والخليفة أجل من أن يحتاج إلى الموازرة، وكانت العرب تسمي وزير الملك من ملوك اليمن

والشأم والحيرة الراهن والزعيم والكافي والكامل تريد بذلك أنه مرتهن بالتدبير زعيم بصواب الرأي كاف للملك مهمات الأمور كامل الفضائل، وكانت العجم تسمي وزير الملك من ملوكها حامل الثقل ووساد العضد ورئيس الكفاة ومدبر الأمور العظام إذ بهم نظام الأمور وجمال الملك وبهاء السلطان وهم الألسن الناطقة عن الملوك وخزان أموالهم وأمناؤهم على رعيتهم وبلادهم، وأعظم الناس غناء عن الملوك والرعية وأولاهم بالحياء والكرامة وكذلك كان اليونانيون والروم يسمون وزير الملك الذي يدور عليه أمره ويرجع إلى رأيه وتدبيره فلما جاء الله بالإسلام ونزل القرآن فيما قص الله من خبر نبيه موسى عليه السلام في قوله " واجعل لي وزيراً من أهلي هرون أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري " استخارت بنو العباس تسمية الكاتب وزيراً فلم يكن الخلفاء والملوك تستوزر إلا الكامل من كتابها، والأمين العفيف من خاصتها والناصح الصدوق من رجالها، ومن تأمنه على أسرارها وأموالها، وتثق بحزمه وفضل رأيه، وصحة تدبيره في أمورها واستوزر أبو العباس بعد أبي سلمة أبا العباس خالد بن برمك وكان نقش خاتمه الله ثقة عبد الله وبه يؤمن وقاضيه ابن أبي ليلى الأنصاري ثم الأوسي ويحي بن سعيد الأنصاري، وحاجبه أبو غسان صالح بن الهيثم مولاه

ذكر خلافة أبي جعفر المنصور

وبويع أبو جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وأمه سلامة ابنة بشير، مولدة البصرة، وقيل بربرية – في اليوم الذي توفي فيه السفاح، وقتل أبا مسلم القائم بدولتهم، والمنتقم لهم من عدوهم برومية المدائن في شعبان سنة 137 وكان ظهور محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب بالمدينة لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة 145 وبايعه خلق كثير من الحاضرة والبادية، وتسمى بالمهدي، فوجه إليه المنصور عيسى بن موسى في أربعة آلاف فالتقوا بظاهر المدينة فقتل محمد في عدة ممن كان معه، وذلك في شهر رمضان من هذه السنة.

وكان ظهور أخيه إبراهيم بالبصرة مستهل شهر رمضان، فغلب عليها وعلى الأهواز،

وواسط، وكسكر، وعظمت جموعه، وسار يريد الكوفة فوجه المنصور عيسى بن موسى في العساكر، فالتقوا بباخمري على ستة عشر فرسخاً من الكوفة يوم الاثنين لأربع بقين من ذي القعدة، من هذه السنة أيضاً فقتل إبراهيم في جمع كثيف ممن كان معه، وانهزم الباقون وبعقب قتل محمد وإبراهيم لقب بالمنصور وكانت وفاة المنصور ببئر ميمون على أميال من مكة يوم السبت لست ليال خلون من ذي الحجة سنة 158 وله ثلاث وستون سنة، ودفن بالحرم، وكانت خلافته إحدى وعشرين سنة، وأحد عشر شهراً، وعشرين يوماً وكان طويلاً، أسمر، نحيفاً، خفيف العارضين يخضب بالسواد، محنك السن، حازم الرأي، قد عركته الدهور، وحلت الأيام سطوته، وروى العلم وعرف الحلال والحرام، لا يدخله فتور عند حادثة، ولا تعرض له ونية عند مخوفة، يجود بالأموال حتى يقال هو أسمح الناس، ويمنع في الأوقات حتى يقال هو أبخل الناس ويسوس سياسة الملوك، ويثب وثوب الأسد العادي، لا يبالي أن يحرس ملكه بهلاك غيره، وخلف من الأموال ما لم يجتمع مثله لخليفة قبله ولا بعده، وهو تسعمائة ألف ألف وستون ألف ألف ففرق المهدي جميع ذلك حين أفضى الأمر إلهي واستوزر خالد بن برمك مديدة، ثم غلب عليه أبو أيوب المورياني الخوزي فاستوزره، وقد أتينا بخبر مقتله وخبر من طرأ بعده من الوزراء فيما سلف من كتبنا، ثم استوزر مولاه الربيع، وكتب له عدة غير هؤلاء منهم سليمان بن مجالد وعبد الحميد بن عدي، وابن أبي عطية الباهلي وكان نقش خاتمه الله ثقة عبد الله وبه يؤمن وعلى قضائه يحيى ابن سعيد الأنصاري، وأبان بن صدقة، وعثمان بن عمرو البتي، وعبد الله بن محمد بن صفوان، وحاجبه عيسى بن روضة، وأبو الخطيب مرزوق مولاه، والربيع مولاه قبل أن يستوزره

ذكر خلاف المهدي محمد بن عبد الله المنصور

وبويع المهدي محمد بن عبد الله المنصور ويكنى أبا عبد الله وأمه أم موسى ابنة منصور بن عبد الله بن شهر الحميري ثم الرعيني في الوقت الذي توفي فيه المنصور، وتوفي بالرذ والراق

من أرض ماسبذان من الجبال، لسبع بقين من المحرم سنة 169، وله اثنتان وأربعون سنة أسمر طوالاً، بعينه اليمنى نكتة بياض، كريماً حبيباً، بذولاً للأموال، حسن العفو، كريم الظفر، لا يدخله غفلة عند مخوفة، ولا يتكل في الأمور على غير ثقة، وصولاً لأرحامه، براً بأهله، فيه لين جانب، كثير الولاية والعزل لغير سبب، واستوزر أبا عبيد الله معاوية بن عبيد الله الأشعري الطبراني من مدينة طبرية من بلاد الأردن من أرض الشأم ثم يعقوب بن داود مولى بني سيم، ثم أبا صالح الفيض.

وكان نقش خاتمه الله ثقة محمد وبه يؤمن وعلى قضائه عافية بن يزيد الأزدي، وابن علاثة العقيلي. وحجبه الربيع، والخضر بن سليمان، والفضل ابن الربيع

ذكر خلافة موسى الهادي بن محمد المهدي

وبويع موسى الهادي بن محمد المهدي، يكنى أبا جعفر، وأمه أم ولد يقال لها الخيزران ابنة عطاء مولدة جرش من أرض اليمن في الوقت الذي توفي فيه المهدي، وتوفي بعيساباذ نحو مدينة السلام لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة 170 وله خمس وعشرون سنة وكانت خلافته سنة وشهراً وخمسة وعشرون يوماً، وكان طوالاً جسيماً، أبيض، أفوه، بشفته العليا بياض، شجاعاً بطلاً، أشد الناس بدناً، وأجرأه مقدماً في تسرع، وجبرية ينسب بهما إلى الهوج وكان كاتبه عبيد الله بن زياد بن أبي ليلى، ثم استوزر الربيع مولاه واستكتب عمر بن بزيع، وإبراهيم بن ذكوان الحراني قال المسعودي: هذا قول الأكثر ممن عني بأخبار حلفاء بني العباس ووررائهم وكتابهم وقد ذكر أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح عم أبي الحسن علي بن عيسى الوزير في كتابه في أخبار الوزراء مما شرحه وزاد فيه أبو العباس أحمد بن عبيد الله بن محمد بن عمار أن موسى الهادي استوزر إبراهيم بن ذكروان الحراني الأعور صاحب طاق الحراني ببغداد من الجانب الغربي مولى الربيع الأزمة والخاتم وذكر أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري في كتابه في أخبار الوزراء والكتاب أن الهاد لما قدم مدينة السلام استوزر الربيع مولاه، ثم صرفه عن الوزارة، وقلدها إبراهيم بن ذكوان الحراني، وأقر الربيع على دواوين الأزمة ولم يزل عليها حتى توفي في سنة 169 وله ثمان

وخمسون سنة فقلد موسى ديوان الأزمة إبراهيم بن ذكوان وأبو عبد الله محمد بن عبدوس أحد المتأخرين ممن صنف في أخبار الوزراء والكتاب، وكذلك المعروف بابن الماشطة الكاتب، وأبو بكر محمد بن يحيى الصولي الجليس وعلي بن الفتح المعروف بالمطوق صنف من أخبارهم إلى سنة 320 وكان نقش خاتم الهادي الله ربي وعلى قضائه أبو يوسف صاحب الرأي حنيفة النعمان بن ثابت، وهو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب من أنمار بن إراش ابن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان، وعداده في الأنصار ثم في بني عمرو بن عوف من الأوس، وسعيد بن عبد الرحمن الجمحي، وحاجبه الفضل بن الربيع

ذكر خلافة الرشيد

وبويع الرشيد هارون بن المهدي، ويكنى أبا جعفر وأمه الخيزران أم أخيه الهادي في الوقت الذي توفي فيه الهادي، وبايع لابنه محمد بن زبيدة بالعهد بعده ثم لعبد الله المأمون بعد محمد، وولاه الري وخراسان، وما اتصل بذلك، وأخذ عليهما العهود والمواثيق بالوفاء، وكتب عليهما بذلك كتابين علقهما في الكعبة، ثم بايع لابنه القاسم بولاية العهد بعد المأمون، وجعل أمر القاسم للمأمون إذا صار الأمر إليه، فإن رأى إقراره أقره وإن رأى خلعه خلعه وتوفي بقرية يقال لها سناباذ من طوس من أرض خراسان يوم السبت لأربع خلون من جمادى الآخرة سنة 193، وهو ابن أربع وأربعين سنة وأربعة أشهر، فكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وشهرين وستة عشر يوماً.

وكان تام الخلقة جميلاً، طويلاً أبيض مسمناً، قد وخطه الشيب، له وفرة إذا حج حلقها.

وكان كامل الأخلاق سمحاً شجاهاً كثير الحج والجهاد، وحج في خلافته ثماني حجج وغزا ثماني غزوات، وتسلط على الأمور بعد مدة من خلافته، فأفسد الصنائع، وأحب جمع الأموال واستوزر البرامكة يحيى بن خالد بن برمك وابنيه جعفر والفضل، ثم نكبهم في صفر سنة 187، وقتل جعفراً، وذلك لسبع عشرة سنة خلت من خلافته. ودفع خاتم الخلافة بعد إيقاعه بهم إلى علي بن يقطين، وغلب عليه الفضل بن الربيع، وإسماعيل بن صبيح إلى

أن مات.

وكان صبيح أبو إسماعيل مولى عتاقة لسالم الأفطس، وسالم الأفطس مولى عتاقة لبني أمية واختلت أموره بعد البرامكة، وبان للناس قبح تدبيره وسوء سياسته.

وكان نقش خاتمه بالله يثق هارون وقضى له عهده منهم علي بن حرملة، وعون بن عبد الله المسعودي، وحفص بن غياث، وشريك بن عبد الله بن أبي شريك النخعي، ومحمد بن سماعة الحنفي، وحجبه بشر بن ميمون، ثم محمد بن خالد بن برمك، ثم الفضل بن الربيع.

ذكر خلافة الأمين

وبويع الأمين محمد بن هارون الرشيد ويكنى أبا موسى وأمه زبيدة أم جعفر ابنة جعفر بن أبي جعفر المنصور يوم السبت للنصف من جمادى الآخرة سنة 193، وبايع له المأمون بخراسان، وكتب إليه بالطاعة والخضوع وامتثال أمره ونهيه، انقيادًا إلى ما تقدم به العهد فعمل الأمين في خلعه والاحتيال لذلك وكتب إليه يأمره بتسليم بعض أعماله إلى من يرسم له، فامتنع من ذلك، فكتب إليه يأمره بالمصير إليه لمعاونته على تدبير ملكه، فاعتل بأمور ذكرها، فوجه إليه يسأله تقديم ابنه عليه بولاية العهد، ويرغبه في ذلك ويرهبه، فأبى وقوّى الفضل بن سهل ذو الرئاستين عزمه على محاربته.

فلما عادت الرسل إلى الأمين بذلك بايع لابنه موسى ولقبه الناطق بالحق وهو يومئذ صبي صغير وسرح علي بن عيسى بن ماهان في خمسين ألفاً بأعظم ما يكون من القوة والعدد ليجيئه بالمأمون، فندب المأمون للقائه طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق بن حمزة الرستمي من ولد رستم بن دستان الشديد وهم موالي خزاعة في الإسلام وإليهم ينتمون فنزل الري وسار علي بن عيسى حتى قرب منهما فالتقيا فاقتتلا قتالاً شديداً، فقتل علي بن عيسى وفضت جموعه واحتوى على عسكره وذلك لعشر خلون من شعبان سنة 195 فحينئذ سلم على المأمون بأمرة المؤمنين وسمي طاهر ذا اليمينين، وسار طاهر يفتح بلداً بلداً ويكسر من تلقائه الجيوش إلا أن نزل حلوان فلحق به هرثمة بن أعين في جيش كثيف، وكتب إليه المأمون أن يخلي بين هرثمة وبين المسير إلى مدينة السلام ويسير هو إليها على

طريق الأهواز فسار هرثمة حتى نزل ظاهر الجانب الشرقي من مدينة السلام وسار طاهر فافتتح الأهواز وواسط والمدائن واحتوى على الكوفة والبصرة ونزل بظاهر الجانب الغربي من مدينة السلام وذلك في سنة 196 فحاصرها و غادوهم القتال وراوحوهم وقد كان الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان قدم من الرقة قبل وصول طاهر وهرثمة مدينة السلام في جيش كثيف، وكان مع عبد الملك بن صالح ابن علي بن عبد الله بن العباس، فلما مات عبد الملك سار إلى مدينة السلام لثلاث خلون من رجب من هذه السنة فخلع محمداً ودعا إلى المأمون، فأجابه الناس إلى ذلك وسجن محمداً وأمه وولده في مدينة أبي جعفر، وطلب منه الجند أرزاقهم فلم يكن عنده ما يعطيهم ومناهم قدوم هرثمة فأخرجوا محمداً بعد حبس يومين وأعادوه إلى حاله وجددوا له البيعة يوم الجمعة لست عشرة ليلة خلت من رجب من هذه السنة وجاءوه بالحسين بن علي فصفح عنه وولاه أمره ودفع إليه خاتمه فغدر وهرب يريد هرثمة فلحق فقتل على فرسخ من بغداد على الطريق النهروان وأتى محمد برأسه ودخل هرثمة الجانب الشرقي وطاهر الجانب الغربي في المحرم سنة 198 وجد طاهر في القتال إلى أن استولى على أكثر الجانب الغربي وحصر محمدا بمدينة أبي جعفر المنصور. فراسل الأمين هرثمة خفية في المصير إليه، وكان أوثق عنده من طاهر، فتأهب هرثمة لذلك، وصار في حراقة له إلى بعض المشارع، وركب معه الأمين وعلم طاهر بذلك، فوجه بعضاً من خاصته، فرجموا الحرافة، ونجا محمد الأمين سباحة إلى الشط، وصار في يد بعض أصحاب طاهر، فقبض عليه، وعرف ظاهر خبره، فوجه من قتله، وجاءوه برأسه، فأنفذه إلى المأمون إلى خراسان.

وكان مقتله يوم الأحد لخمس ليال بقين من المحرم من هذه السنة، وهي سنة 198، وله ثلاث وثلاثون سنة.

وكانت خلافته أربع سنين وسبعة أشهر وعشرة أيام، وكان حسن الوجه، تام القامة، أبيض مسمناً، صغير العينين، بعيد ما بين المنكبين، شديداً في بدنه، باسطاً يده بالعطاء، قبيح

السيرة، ضعيف الرأي، سفاكاً للدماء، يركب هواه ويهمل أمره، ويتكل في جليلات الخطوب على غيره، ويثق بمن لا ينصحه، واستوزر الفضل بن الربيع إلى أن استتر الفضل لما تبين من اختلال أمر محمد، ووهاء أمره، فقام بوزارته من حضر من كتابه، كإسماعيل بن صبيح، وغاب عليه عدة من الأولياء، منهم محمد بن عيسى بن نهيك، والسندي بن شاهك، وسليمان بن أبي جعفر المنصور.

وكان نقش خاتمه نعم القادر الله، وقيل سائل الله لا يخيب، وقضاته محمد بن سماعة، ومحمد بن حبيب، وإسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة، وأبو البختري وهب بن وهب القرشي، وحاجبه العباس بن الفضل بن الربيع.

ذكر خلافة المأمون

وبويع المأمون عبد الله بن هارون، ويكنى أبا جعفر، وأمه أم ولد باذغيسية تسمى مراجل – البيعة العامة بعد قتل المخلوع يوم الأحد لخمس ليال بقين من المحرم سنة 198 وبايع للرضا علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب بالعهد بعده، وأزال لبس السواد ولبس بدله الخضرة وأخذ الناس بذلك فاضطرب من بمدينة السلام من الهاشميين، وعظم ذلك على أهل بغداد عامة وعلى الهاشميين خاصة لزوال الملك عنهم ومصيره إلى ولد أبي طالب فأخرجوا الحسن بن سهل أخاذي الرئاستين، وكان خليفة المأمون على العراق وبايعوا المنصور بن المهدي فلم يتم له أمر، وكان مضعفاً فبايعوا أخاه إبراهيم ابن المهدي بالخلافة لخمس خلون من المحرم سنة 202 ودعي له على المنابر بمدينة السلام وغيرها فوجه الجيوش لمحاربة الحسن بن سهل وهو بناحية المدائن فكانت الحروب بينهم سجالاً وسار المأمون عن مرو يريد بغداد ومعه علي بن موسى الرضا وزيره القائم بدولته الفضل بن سهل ذو الرئاستين، وقتل الفضل بن سهل غيلة في حمام بسرخس يوم الاثنين لخمس خلون من شعبان من هذه السنة، فقتل الرضا في طوس في أول صفر سنة 203 ولما قرب المأمون من بغداد اضطرب على إبراهيم من كان يعتمد على نصرته، وقعد عنه أكثر من بايعه من الهاشميين وغيرهم فاستتر لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة

من هذه السنة، وقال معاتباً للعباسيين

فلا جزيت بنو العباس خيراً ... على رغمي ولا اغتبطت بري

أتوني مهطعين وقد أتاهم ... بوار الدهر بالخبر الجلي

وقد ذهل الحواضن عن بنيها ... وصد الثدي عن فم الصبي

وحل عصائب الأملاك منها ... فشدت في رقاب بني علي

فضجت أن تشد على رءوس ... تطالبها بميراث النبي

وكانت أيامه منذ بويع إلى أن استتر سنة وإحدى عشر شهراً وأياماً، ودخل المأمون مدينة السلام يوم السبت لثمان عشرة ليلة خلت من صفر سنة 204 وأمر بإعادة لبس السواد وتخريق الخضرة بعد ثمانية أيام من قدومه ولم يزل إبراهيم مستتراً منتقلاً بمدينة السلام إلى أن ظفر به في استتاره ليلة الأحد لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة 210 فعفا عنه المأمون واعتقل مديدة ثم أطلقه ورد عليه نعمته، وأعاده إلى رتبته وتوفي المأمون على عين البدندون من أرض الروم مما يلي طرسوس لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب سنة 218 وله تسعة وأربعون سنة ودفن بطرسوس فكانت خلافته عشرين سنة وخمسة أشهر وثمانية عشر يوماً، وكان أبيض يعلوه صفرة أجنى طويل اللحية ضيق الجبين كاملاً عالماً، جواداً، عظيم العفو، كريم المقدرة، ميمون النقيبة، حسن التدبير، جليل الصنائع، لا تخدعه الأماني، ولا تجوز عليه الخدائع، علمه بما بعد عنه من ملكه كعلمه بما حضره، وربما حرك منه الغضب فعجل بالعقوبة واستوزر الفضل بن سهل، ثم أخاه الحسن بن سهل. فلما أظهر العجز عن الخدمة لعوارض من العلل، ولزم منزله، عدل المأمون إلى استكتاب كتاب لعلمه بكتابتهم وجزالتهم، وأنه ليس في عصرهم من يوازيهم ولا يدانيهم، فاستوزرهم واحداً بعد واحد

أولهم أحمد بن أبي خالد الأحول. وكان ينوب عن الحسن بن سهل لما تخلف في منزله، فلما دعاه المأمون إلى أن يستوزره قال يا أمير المؤمنين اجعل بيني وبين الناس منزلة يرجوني لها

صديقي، ويخافني بها عدوي، فمابعد الغايات إلا الآفات ثم أحمد بن يوسف، ثم أبا عباد ثابت بن يحيى، وعمرو ابن مسعدة بن صول. وكان يجري مجراهم، ولا يعده كثير من الناس في الوزراء ثم استوزر بعد هؤلاء محمد بن يزداد بن سويد. وتوفي المأمون، وهو على وزارته، ولم يملأ المأمون بعد الفضل بن سهل كتابه أمره لقيامه بالملك واضطلاعه به، ولم ير أحمد أنه مفتقر إلى وزير يشركه في تدبيره، ولم يكن يسمي بين يديه أحد من كتابه وزيرا، ولا يكاتب بذلك، فلأجل ذلك ترك كثير من الناس، أن يعد من ذكرنا في الوزراء، ورأيت من صنف كتاباً في أخبار الوزراء والكتاب، كأبي عبد الله محمد بن داود بن الجراح، ومحمد ابن يحيى الصولي الجليس، ومحمد بن عبدوس الجهشياري، والمعروف بابن الماشطة الكاتب منهم من عدهم في الوزراء، ومنهم من لم يعدهم للسبب الذي بيننا.

وكان نقش خاتمه الله ثقة عبد الله، وبه يؤمن وقاضيه محمد بن عمر الواقدي، ويحيى بن أكثم وحجابه شبيب بن حميد بن قحطبة، ثم علي بن صالح صاحب المصلى، ثم محمد بن حماد بن دنقش.

ذكر خلافة المعتصم

وبويع المعتصم محمد بن هارون الرشيد، ويكنى أبا إسحاق، وأمه أم ولد تسمى رمادة – في الوقت الذي توفي فيه المأمون.

وكان قدومه إلى مدينة السلام، غرة شهر رمضان سنة 218، وبعث بالأفشين، وغيره من الأمراء، وقواد العساكر، لحرب بابك الخرمي بآذربيجان في سنة 220.

وكان الفتح قد أسر بابك في شهر رمضان، وقيل شوال سنة 222، وحمل إلى سر من رأى، فقتل بها في صفر سنة 223.

فكان من أدركه الإحصاء ممن قتله بابك في اثنتين وعشرين سنة، من جيوش المأمون والمعتصم من الأمراء والقواد وغيرهم من سائر طبقات الناس في القول المقلل خمسمائة ألف، وقيل أكثر من ذلك، وأن الإحصاء لا يحيط به كثرة.

وكان خروجه في سنة 200 في خلافة المأمون، وقيل سنة 201 بجبل البذّين من بلاد

آذربيجان في الجاوذانية أصحاب جاوذان بن شهرك الخرمي صاحب بابك وغيرهم.
قال المسعودي: وقد ذكرنا في كتابنا في المقالات في أصول الديانات وفي كتاب سر الحياة مذاهب الخرمية الكوذكية منهم والكوذشاهية وغيرهم ومن منهم بنواحي أصبهان والبرج وكرج أبي دلف والزّرّين زرّ معقل وزرّ أبي دلف ورستاق الورسنجان وقسم وكوذشت من أعمال الصيمرة من مهرجان قذق وبلاد السيروان وأربوجان من بلاد ماسبذان وهمذان وماه الكوفة وماه البصرة وآذربيجان وأرمينية وقم وقاشان والري وخراسان وسائر أرض الأعاجم وغيرها وما بينهم من التنازع، وما بين الفريقين وبين المحمرة والمزدقية والماهانية وغيرهم من الخلاف، وما جرى لنا من المناظرات مع من شاهدنا منهم في هذه المواطن وما ينتظره الجميع في المستقبل من الزمان الآتي من عود الملك فيهم، ومن خلع في الإسلام منهم وظهر منهم في عهد الهرمزان الذي قتله عبيد الله بن عمر بن الخطاب عند وفاة أبيه عمر إلى وقتنا هذا وغير ذلك، واستقصينا الكلام على هؤلاء وغيرهم من أصحاب الاثنين وجميع من قال بالقدم على تباينهم وسائر من خالف التوحيد وباين ملة الإسلام في كتاب الإبانة في أصول الديانة وكتابنا هذا كتاب خبر، لا كتاب بحث ونظر وخرج المعتصم إلى أرض الروم غازياً فافتتح أنقرة ومدينة عمورية في شهر رمضان سنة 223، وكان سخطه على الأفشين حيذر بن كاوس الأشروسني سنة 225 وتوفي المعتصم بسر من رأى الخميس لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة 227 وله ست وأربعون سنة وعشرة اشهر وكانت خلافته ثماني سنين وثمانية أشهر ويومين، وكان أصهب أبيض حسن الجسم جميل الوجه مربوعاً، مشرباً حمرة عريض الصدر، شديد البدن، طويل اللحية لم يشب، وكان الرجل الذي لا يقاس به الرجال قوة بدن، وشدة بأس، وشجاعة قلب، وكرم أخلاق، آثر من استحدث من غلمانه الأتراك على المتقدمين من أوليائه ونصحاء آبائه وكان يسمى الخليفة المثمن، لأنه الثامن من خلفاء بني العباس، وكان مولده سنة 178 وولي الخلافة سنة 218 وملك ثماني سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام

وفي قول بعضهم أنه مات عن ثمانية بنين، وثماني بنات وخلف في بيت المال ثمانية آلاف ألف دينار، وثمانية آلاف ألف درهم وكانت له ثمانية فتوح عظام منها أسر بابك والمازيار بن قارن صاحب جبال طبرستان، وقهره المحمرة من الخرمية، وكانوا مائتي ألف قد غلبوا على بلاد الماهات والجبال، وعظمت شوكتهم، واشتد أمرهم، وأسره البوارج، وهي مراكب الهند.

وكان فيها منهم عسكر عظيم، قد غلبوا على ساحل فارس وعمان وناحية البصرة، ثم إخلاؤه الزط عن البطائح، وما كانوا غلبوا عليه مما دون البصرة ومما بين البصرة وواسط، وقطعهم السبيل، وسفكهم الدماء.

وكانوا خلقاً عظيماً كثيراً ناقلة عن ناحية الهند لغلاء وقع هناك، فتنقلوا في بلاد كرمان وفارس وكور الأهواز إلى أن صاروا إلى هذه المواضع، فسكنوها، وغلبوا عليها، وعظم أمرهم، واشتد بأسهم، فأنزلهم بلاد خانقين وجلولاء من طريق خراسان وبلاد عين زربة من الثغر الشأمي، ومذ يومئذ صارت الجواميس بالشأم ولم تكن تعرف هنالك.

وقيل إن الجواميس بالثغر الشأمي وسواحل الشأم من جواميس كانت لآل المهلب ببلاد البصرة والبطائح والطفوف، فلما قتل يزيد بن المهلب نقل يزيد بن عبد الملك بن مروان كثيراً منها إلى هذه النواحي، ثم قتله جعفر بن مهرجيش الكردي.

وكان ذا عدة عظيمة بين الموصل وآذربيجان وأرمينية، قد تغلب على البلاد وأخاف السبيل، وبسط يده في القتل. ثم هزيمة الأفشين لتوفيل ملك الروم، ثم فتحه عمورية، وأسره ياطس بطريقها وهي أعظم مدنهم بعد القسطنطينية، وقد أتينا على شرح هذه الحروب والوقائع في كتابنا في أخبار الزمان ومن أباده الحدثان من الأمم الماضية والأجيال الخالية والممالك الدائرة واستوزر الفضل بن مروان، وكان كاتبه قبل الخلافة، ثم أحمد بن عمار ابن شاذي الصري، وقيل بل كان خاصاً به يتولى عرض الكتب عليه، ولم يكن وزيراً، واستوزر محمد بن عبد الملك الزيات.

وكان نقش خاتمه الحمد لله الذي ليس كمثله شيء، وهو خالق كل شيء وقضاته جعفر

بن عيسى الحسني من ولد الحسن بن أبي الحسن البصري، وشعيب ابن سهل، ومحمد بن سماعة، وقاضي القضاة أحمد بن أبي دؤاد الأيادي.

وكان يذهب في الفقه مذاهب البصريين، وهي طريقة الحسن البصري وعبيد الله بن الحسن العنبري، وعثمان البتي والأصم وغيرهم، وتخلفه أبو الوليد إبنه وحاجباه محمد بن حماد بن دنقش، وبغا الكبير.

وهو أول خليفة من خلفاء بني العباس انتقل عن مدينة السلام منذ بناها المنصور.

وكان السبب في ذلك، أن أهلها كرهوه وتأذوا بجواره حين كثر عبيده الأتراك، وغيرهم من الأعاجم، لما كانوا يلقون منهم ومن غلظتهم، وربما وثبت العامة على بعضهم، فقتلوه لصدمهم إياهم في حال ركضهم، فأحب التنحي بهم، والانفراد عن مدينة السلام، فخرج في آخر سنة 220 إلى ناحية القاطول، فنزل قصراً كان للرشيد هناك، وهمّ أن يبني في ذلك الموضع مدينة، ثم بدا له ولم يزل ينتقل في تلك النواحي حتى وقع اختياره على موضع سامرا، وهو في بلاد كورة الطيرهان، فابتدأ ببنائها في سنة 221، وسماها سر من رأى، وكملت في أسرع مدة وعظمت عمائرها، واتصلت أسواقها وقصورها، ونقلت إليها الدواوين والعمال وبيوت الأموال، وقصدها الناس لنزول الخليفة بها وطيبها وحسن موقعها وعمارتها وصنوف مكاسبهم.

وقد ذكر أنها قديمة مسماة بهذا الاسم، سميت بسام بن نوح، وأنها كانت آهلة عظيمة عامرة، فلم تزل تتناقص على مر الزمان وكان آخر خرابها في أيام فتنة الأمين والمأمون، وأن موضع قصر المعتصم، كان ديراً للنصارى وأراضي، فابتاعها منهم، وسر من رأى آخر المدن العظيمة، التي أحدثت في الإسلام، وهي سبع ونحن ذاكروها في هذا الموضع لما تقتضيه الحال من ذكرها وحسن موقعها عند جمعها واتصال نظمها.

فالأولى منها البصرة، وكان تمصير عتبة بن غزوان أحد بني مازن بن منصور إخوة سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر البصرة في المحرم ستة 17 للهجرة، وبنى مسجدها.

ومن الناس من يرى أنها مصرت في أحد شهري ربيع سنة 16، وأن عتبة ابن غزوان، إنما خرج إليها من المدائن بعد فراغ سعد بن أبي وقاص من حرب الفرس بجلولاء الوقيعة، وأن عتبة قدم البصرة وهي يومئذ تدعى أرض الهند فيها أحجار بيض فنزل موضع الخريبة

وذهب أبو مخنف لوط بن يحيى الغامدي، وأبو الحسن علي بن محمد المدائني والهيثم بن عدي وغيرهم، إلى أن نزل عتبة بن غزوان موضع البصرة كان في سنة 14. وأن عمر كان أنفذ عتبة إلى ما هنالك، لقطع مواد الفرس عن المدائن وما حولها.

قال المسعودي: ومن ههنا أغفل من ذهب إلى أن البصرة مصرت في هذه السنة.

والثانية الكوفة، تنوزع في تمصير سعد بن أبي وقاص الكوفة، فمنهم من قال كان ذلك في سنة 17 أيضاً، وإلى هذا ذهب الواقدي في آخرين، وذهب آخرون إلى أنها مصرت سنة 15.

وأن عبد المسيح بن بقيلة الغساني دل سعداً على موضعها، وقال أدلك على أرض ارتفعت عن البق وانحدرت عن الفلاة.

ولا خلاف بينهم جميعاً أن البصرة والكوفة بنيتا بعد فتح المدائن، دار مملكة فارس، وخروج الملك يزدرجرد بن شهريار بن كسرى ابرويز عنها إلى حلوان ووقعة جلولاء الوقيعة.

والثالثة فسطاط مصر، كان تمصير عمرو بن العاص فسطاط مصر سنة 20 وكان مسيره إليه وحروبه مع أهلها سنة 19 على ما في ذلك من التنازع.

كذلك ذكر أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري في كتابه في فتوح البلدان، وأن اسم الحصن الذي كان قتالهم عليه وهو وسط مدينة الفسطاط، واليوم يعرف بقصر الشمع بابليون وقيل أليونة، فسماها المسلمون فسطاطاً لأنهم قالوا هذا فسطاط القوم ومجمعهم وذكر عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم المصري في كتابه في فتوح مصر والإسكندرية والمغرب والأندلس وأخبارها، أن عمراً أقام محاصراً لهم لسبعة أشهر إلى أن افتتحها، وسار إلى الإسكندرية، فلما فرغ من فتحها، ورأى منازلها وأبنيتها مفروغاً منها همّ أن يسكنها، وقال

مساكن قد كفيناها فكتب إلى عمر يستأذنه في ذلك، فسأل عمر الرسول هل يحول بيني وبين المسلمين ماء؟ قال " نعم يا أمير المؤمنين النيل " ، فكتب عمر إلى عمرو إني لا أحب أن ينزل المسلمون منزلاً يحول الماء بيني وبينهم في شتاء ولا صيف فتحول عمرو من الإسكندرية إلى الفسطاط.

قال عبد الرحمن وغيره، وإنما سميت الفسطاط لأن عمرو بن العاص لما أراد التوجه إلى الإسكندرية لقتال من بها من الروم أمر بنزع فسطاط، فإذا فيه يمام قد فرخ فقال عمرو لقد تحرم بمتحرم، فأمر به فأقر كما هو، وأوصى به صاحب قصر الشمع فلما قفل المسلمون من الإسكندرية قالوا أين ننزل، فقال بعضهم الفسطاط لفسطاط عمرو الذي كان خلفه، فنزلوا ووضعوا أيديهم في البناء، ولم يزل عمرو قائماً حتى وضعوا قبلة المسجد والرابعة الرملة لما ولي الوليد بن عبد الملك أخاه سليمان جند فلسطين نزل لدّ، ثم أحدث مدينة الرملة ومصرها.

وكان أول ما بنى قصره والدار التي تعرف بدار الصباغين إلى هذا الوقت وأذن للناس فبنوا واحتفر لهم القناة التي تدعى بردة، وآباراً كثيرة، واختط للمسجد خطة وبناه، فولى الأمر قبل استتمامه، وبنى قبة في أيامه وأتمه عمر ابن عبد العزيز بعده غير أنه نقص من الخطة، وقال أهل الرملة يكتفون بهذا المقدار الذي اقتصرت عليه كذلك ذكر أحمد بن يحيى البلاذري.

والخامسة واسط العراق، كان بناء الحجاج مدينة واسط العراق سنة 83 أو 84 فيما ذكر أحمد بن يحيى وبنى مسجدها وقصرها والقبة الخضراء بها وكانت أرض قصب، وبينها وبين البصرة والكوفة والأهواز وبغداد مقدار واحد، وهو خمسون فرسخاً

ذكر خلافة الواثق

وبويع الواثق هارون بن محمد المعتصم ويكنى أبا جعفر، وأمه أم ولد تسمى قراطيس – في الوقت الذي توفي فيه المعتصم،وهو يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الول سنة 227 وتوفي بسر من رأى يوم الأربعاء لست بقين من ذي الحجة سنة 232

وهو ابن اثنتين وأربعين سنة، وكانت خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وستة أيام وكان أبيض مشرباً حمرة، حسن الجسم، عريض الصدر، كث اللحية في عينيه نكتة بياض، يذهب في كثير من أموره مذاهب المأمون، شغل نفسه بمحنة الناس في الدين فأفسد قلوبهم، وأوجدهم السبيل إلى الطعن عليه وكان وزيره محمد بن عبد الملك الزيات على ما كان عليه في أيام المعتصم ونقش خاتمه الله ثقة الواثق وقاضيه أحمد بان دؤاد، وحاجبه حماد بن دنقش، وإيتاخ، ووصيف

ذكر خلافة المتوكل

وبويع المتوكل جعفر بن محمد المعتصم، ويكنى أبا الفضل، وأمه أم ولد طخارستانية تسمى شجاع – في اليوم الذي توفي فيه الواثق

وبايع لبنيه الثلاثة بولاية العهد بعده: المنتصر، وأبي عبد الله المعتز، وإبراهيم المؤيد. وجفا الموالي من الأتراك وأطرحهم، وحط مراتبهم، وعمل على الاستبداد بهم والاستظهار عليهم. وضم إلى وزيره عبيد الله بن يحيى بن خاقان نحواً من اثني عشر ألفاً من العرب والصعاليك وغيرهم برسم المعتز، وكان في حجره وضاق عليهم المال بشركة هؤلاء معهم فيه، وجعل يجيل الآراء في استئصالهم، ونال ابنه محمداً بأنواع الذلة والهوان، فأجمع على قتله، فواطأ وصيفاً وبغا وغيرهم من الموالي على الفتك به، فأعدوا لذلك عدة من أصاغر الموالي منهم باغر وغيره فقتلوه بمدينته المسماة الجعفرية من سر من رأى ليلة الأربعاء لثلاث ليال خلون من شوال سنة 247، وله إحدى وأربعون سنة، وكانت خلافته أربع عشرة سنة وتسعة أشهر، وتسعة أيام وكان أسمر رقيق البشرة، يضرب لونه إلى الصفرة حسن الوجه، خفيف العارضين، كبير العينين، وكان وسيماً مهيباً إلى الغاية، رفع المحنة، ومنع الجدل في الدين، وصفت له الدنيا فنال منها أعظم الحظ على إيثاره الهزل والمضاحك والأمور التي تشين الملوك واستوزر محمد بن عبد الملك الزيات نحواً من أربعين يوماً من خلافته، ثم قتله استوزر محمد بن الفضل الجرجرائي، ثم استوزر عبيد الله بن يحيى بن خاقان المروزي، ووزر أبوه يحيى

بن خاقان حي وكان نقش خاتمه جعفر على الله يتوكل وعلى قضائه يحيى بن أكثم، وجعفر بن محمد البرجمي، وعلى حجابته وصيف، وبغا، وزرافة

ذكر خلافة المنتصر محمد

وبويع المنتصر محمد بن جعفر المتوكل، ويكنى أبا جعفر، وأمه أم ولد رومية تسمى حبشية – صبيحة الليلة التي قتل فيها المتوكل وتوفي بسر من رأى، لأربع خلون من شهر ربيع الآخر سنة 248 وله ثمان وعشرون سنة مسموماً فيما قيل، وأن الموالي لما علموا سوء نيته فيهم، وأنه على التدبير عليهم بادروه بذلك، فكانت خلافته ستة أشهر ويوماً وكان مربوعاً، حسن الوجه، أسمر مسمناً، ذا شهامة ومعرفة وإمساك للمال، وحفظ له حتى أنكر الناس عليه البخل، وشدة المنع واستوزر أحمد بن الخصيب إلى أن مات، وكان نقش خاتمه محمد بالله ينتصر وقاضيه جعفر بن محمد، وقيل جعفر بن عبد الواحد الهاشمي، وحاجباه وصيف، وبغا

ذكر خلافة المستعين

وبويع المستعين أحمد بن محمد بن محمد المعتصم، ويكنى أبا عبد الله، وأمه أم ولد يقال لها مخارق – في اليوم الذي توفي فيه المنتصر، وغلب على التدبير والأمر والنهي، أوتامش ابن أخت بغا الكبير، وكاتبه شجاع بن القاسم إلى أن شغب الموالي فقتلوه، وكاتبه للنصف من شهر ربيع الأول سنة 249 ولم يزل مقيماً بسر من رأى إلى أن قتل وصيف وبغا باغر التركي أحد المتقدمين في قتل المتوكل، فشغب الموالي وتحزبوا، فانحدر ومعه وصيف وبغا إلى مدينة السلام لثلاث خلون من المحرم سنة 251 وبايع الأتراك بسر من رأى أبا عبد الله المعتز لحرب من بمدينة السلام، فكانت الحروب بينهم سنة إلا أياماً يسيرة والقيم بأمر المستعين محمد بن عبد الله بن طاهر إلى أن خلع المستعين نفسه، وسلم الخلافة إلى المعتز لليلتين خلتا من المحرم سنة 252، وقتل بقادسية سر من رأى يوم الأربعاء لثلاث ليال خلون من شوال في هذه السنة، وهو ابن خمس وثلاثين سنة فكانت خلافته منذ بويع إلى أن خلع ثلاث سنين وثمانية أشهر وثمانية وعشرين ويوماً، ومنذ خلع إلى أن قتل تسعة

أشهر.

وكان مسمناً، حسن الوجه، أسود اللحية، لين الجانب منقاداً لاتباع مهملات الأمور، شديد الخوف على نفسه، فأداء خوفه، وقلة أمنه إلى الهرب عن دار ملكه، وقرار عزه، وأدبرت الأمور عنه.

واستوزر أحمد بن الخصيب ثم سخط عليه فكانت الوزارة مرسومة بأوتامش التركي، وكاتبه شجاع بن القاسم يدبر الأمور، ثم استوزر بعد قتل أوتامش وشجاع؛ أحمد بن صالح بن شيرزاد وكان نقش خاتمه في الفص المعروف بالجبل أحمد بن محمد وقاضيه الحسن بن أبي الشوارب الأموي، وحاجباه وصيف وبغا.

ذكر خلافة المعتز

وبويع المعتز الزبير بن جعفر المتوكل، ويكنى أبا عبد الله، وأمه أم ولد رومية تسمى قبيحة – البيعة العامة يوم الخميس لثلاث ليال خلون من المحرم سنة 252 بعد خلع المستعين نفسه. وصار إليه وصيف وبغا. فردهما إلى مراتبهما، ولم يزل يعمل في الحيلة عليهما إلى أن شغب الموالي فقتلوا وصيفاً يوم الجمعة سلخ شوال سنة 253.

ثم ركب المعتز في بعض الليالي، وقد بلغته عن بغا غرة ليوقع به، فهرب بغا إلى نواحي الموصل، ثم عاد متخفياً في زورق صغير منحدراً في دجلة لتدبير يوقعه على المعتز فعلم فظفر به بجسر سر من رأى، وعرف المعتز خبره فأمر بقتله فقتل سلخ ذي القعدة سنة 254 وحمل رأسه إليه، فغلب على الأمر وتفرد بالتدبير صالح بن وصيف، وكانت نيته للمعتز فاسدة، وبلغ صالحاً التدبير عليه فقبض عليه وخلع لثلاث ليال بقين في رجب سنة 255 وقتل بسر من رأى لثلاث خلون من شعبان من هذه السنة، وله أربع وعشرون سنة، وكانت خلافته منذ خلع المستعين إلى أن خلع هو ثلاث سنين وستة أشهر وأربعة وعشرين يوماً وكان أبيض الوجه، أسود الشعر، حسن العينين، لم ير في الخلفاء مثله جمالاً، يؤثر اللذات، ويعدم الرأي، تدبره أمه قبيحة وغيرها وغلب على أموره وقهر في سلطانه،

واستوزر جعفر بن محمود الإسكافي ثم عيسى بن فرّخانشاه، ثم أحمد بن إسرائيل وكانت الكتب تخرج باسم صالح بن وصيف. كأنه مرسوم بالوزارة لغلبته على الأمر، وكان نقش خاتمه المعتز بالله وقاضيه الحسن بن أبي الشوارب الأموي، وعلى حجبته صالح بن وصيف، وبايكباك

ذكر خلافة المهتدي محمد بن هارون

وبويع المهتدي محمد بن هارون الواثق ويكنى أبا عبد الله وأمه أو لد رومية تسمى قرب – يوم الأربعاء لثلاث ليال بقين من رجب سنة 255، والغالب على الأمر والقيم بالتدبير صالح بن وصيف إلى أن قدم موسى بن بغا الكبير من الري – وكان هناك عاملاً – منكراً ما جرى على المعتز وكتب إليه المهتدي في الرجوع من حيث أقبل، ووجه إليه رسلاً في ذلك فأبى، وكانت موافاته سر من رأى في المحرم سنة 256 ولما قرب منها اختفى صالح بن وصيف، وأطلق المهتدي لسانه في موسى بن بغا، ونسه إلى المعصية لمجيئه بغير إذن، إلى أن أخذ كل واحد منها على صاحبه الأيمان والمواثيق بالوفاء والمناصحة، وطلب صالحاً طلباً حثيثاً فظفر به، وقتل لثمان بقين من صفر من هذه السنة، وغلظ أمر مساور بن عبد الحميد الشاري مولى بجيلة ببلاد الموصل، وشهر زور والجبال وغيرها من البلاد، فتجهز موسى بن بغا للخروج إليه، ومعه بايكباك في جيش عظيم فخرجا إليه فلقياه وهزماه وقتلا من أصحابه جمعاً فكتب المهتدي إلى بايكباك بالتفك بموسى، وتسلم العسكر، فأطلع بايكباك موسى على الكتاب، وسار إلى سر من رأى، لمواقفة المهتدي على كتابه، فلما حصل عنده قبض عليه، وشغب أصحابه فرمى إليه برأسه، وذلك في رجب من هذه السنة وخرج أبو نصر بن بغا أخو موسى فخرج فعسكر بخارج سر من رأى في جمع من الموالي، فوجه إليه المهتدي فأعطاه الأمان، فلما صار إليه قتله، فتنكر له الموالي وشغبوا عليه، فخرج لحربهم في المغاربة والفراعنة والأشروسنية واستنصر بالعامة فهزموه وأسر وبه ضربات مثخنة وقتل بسر من رأى لأربع عشرة ليلة بقيت من رجب سنة 256 وله أربعون سنة وأربعة أشهر، وكانت خلافته أحد عشر شهراً وثمانية عشر يوماً، وكان مربوعاً، حسن الجسم،

رحب الجبهة، أشهل العينين، عظيم البطن، طويل اللحية، أجلح وكان ورعاً، كاد أن يكون في بني العباس مثل عمر بن عبد العزيز في بني أمية هدياً وفضلاً وقصداً وديناً فصادف أقواماً لا يجوز عندهم أخلاق الدين ولا يريدون إلا أمر الدنيا، فسفكوا دمه، وتشتت أمورهم بعده واستوزر في أيامه على قصرها جماعة كل سلم عليه الوزارة منهم جعفر بن محمود الإسكافي، ومحمد بن أحمد بن عمار، وسليمان بن وهب، وكان نقش خاتمه محمد أمير المؤمنين وقاضيه الحسن بنمحمد بن أبي الشوارب، وحجابه صالح ابن وصيف، ثم موسى بن بغا، وعبد الله بن دكين

ذكر خلافة المعتمد

وبويع المعتمد أحمد بن جعفر المتوكل، ويكنى أبا العباس، وأمه أم ولد تسمى فتيان – يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة بقيت من رجب سنة 256 فأهمل أمور رعيته وتشاغل بلهوه ولذاته حتى أشفى الملك على الذهاب، فغلب على أمره وتدبير ملكه وسياسة سلطانه أخوه أبو أحمد الموفق طلحة بن جعفر المتوكل، ويسمى بالناصر لدين الله وصيره كالمحجور عليه ولا أمر ينفذ له ولا نهي، فقام بأمر الملك أحسن قيام، وقمع من قرب من الأعداء، واستصلح من نأى، على كثير ما كان يلقى من اعتراض الموالي وسوء طاعتهم وتشغبهم، فلم تزل أمور الموفق جارية على ذلك إلى أن توفي بمدينة السلام في صفر سنة 278 قال المسعودي: وكان خروج المعتمد من سر من رأى إلى مدينة السلام يوم السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة 262 في جيوشه للقاء الصفار فاجتاز بها وصار إلى الموضع المعروف باضطربذ بين السيب ودير العاقول من شاطئ دجلة فكانت الواقعة هناك مع يعقوب بن الليث الصفار يوم الأحد لسبع خلون من رجب من هذه السنة، فهزم الصفار واستبيحت عساكره، وعاد المعتمد إلى سر من رأى في شعبان من هذه السنة، وسار الصفار إلى جنديسابور من كور الأهواز، فتوفي بها في شوال سنة 265 وكان مقتل علي بن محمد صاحب الزنج، المنتمي إلى آل أبي طالب في صفر سنة 270 وكان ظهوره

بالموضع المعروف ببر نخل ناحية المفتح من أعمال البصرة للنصف من شوال سنة 254 في خلافة المهتدي وغلب على البصرة، وأكثر كور الأهواز وما يلي أرجان من أرض فارس وواسط إلى الموضع المعروف بالنعمانية وجرجرايا من شاطئ دجلة إلى الطفوف ونواحي الكوفة، وغير ذلك من النواحي، وكانت أيامه مذ نجم إلى أن قتل أربع عشرة سنة وأربعة أشهر وتنوزع في عدة من قتل من أصحاب السلطان وغيرهم من الرجال والنساء والصبيان بالسيف والحرق والغرق والجوع، فمنهم من يقول إن ذلك ألف ألف وأكثرهم يرى أن ذلك لا يحيط به الإحصاء، ولا يحصره العدد كثرة عظما، وأدخل رأسه بغداد بين يدي المعتضد، وقد زينت له الطرق وعقدت له القباب، ويم الاثنين لأربع ليال بقين من جمادى الآخرة سنة 270 وتوفي المعتمد ببغداد لإحدى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة 279 وله خمسون سنة وأشهر، وقيل ثمان وأربعون سنة، فكان خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وثلاثة أيام. وكان حسن الجسم، كبير العينين طويلاً جسيماً، طويل اللحية، عظيم الهامة وولي الخلافة على وجل من أوليائه وحذر من مواليه فرد الأمور إليهم حتى قام بالأمر أخوه أبو أحمد الموفق على ما قدمنا، واستوزر عبيد الله بن يحيى بن خاقان، ثم الحسن بن مخلد بن الجراح، ثم سليمان بن وهب، ثم الحسن بن مخلد ثانية، ثم أبا الصقر إسماعيل بن بلبل، ثم الحسن بن مخلد ثانية، ثم أبا بكر بن صالح ابن شيرزاد، ثم إسماعيل بن بلبل ثانية وكان نقش خاتمه المعتمد على الله يعتمد وقاضيه الحسن بن محمد بن أبي الشوارب، ثم أخوه علي بن محمد، وحجبته يارجوخ التركي، وكيغلغ، وحسنج وهو الحسن بن ترتنك، وخطارمش، وبكتمر

ذكر خلافة المعتضد

وبويع المعتضد أحمد بن طلحة الموفق ويكنى أبا العباس وأمه أم ولد تسمى حقير – يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب سنة 279 وتوفي بمدينة السلام ليلة الأحد وقيل الثلاثاء لثمان بقين وقيل لست ليال بقين من شهر ربيع الآخر سنة 289 وله سبع وأربعون سنة فكانت خلافته تسع سنين وتسعة أشهر واثنين وعشرين يوماً وكان نحيفاً ربعة من الرجال حسن اللحية خفيف العارضين يخضب بالسواد سريع النهضة عند الحادثة قليل

الفتور، يتفرد بالأمور ويمضي تدبيره بغير توقف، ولي الأمر بضبط وحركة وتجربة، وكف من كان يتوثب ويتشغب من الموالي واستوزر بعد القبض على الوزير إسماعيل بن بلبل، عبيد الله بن سليمان بن وهب، ثم القاسم بن عبيد الله وكان نقش خاتمه الحمد لله الذي ليس كمثله شيء وهو خالق كل شيء وقاضيه أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد مولى الجهاضم من الأزد، وكان مالكي المذهب، ثم يوسف بن يعقوب، وهو ابن عم إسماعيل وأبو خازم عبد الحميد بن عبد العزيز الحنيفي البصري على قضاء الشرقية. وحاجبه صالح الأمي، ثم خفيف السمرقندي. ولم يل الخلافة من بني العباس بعد السفاح والمنصور إلى وقتنا هذا من لم يكن أبوه خليفة إلا المستعين والمعتضد

ذكر خلافة المكتفي

وبويع المكتفي علي بن أحمد المعتضد، ويكنى أبا محمد وأمه أم ولد يقال لها خاضع وتلقب جيجق في الوقت الذي توفي فيه المعتضد، وتوفي بمدينة السلام ليلة الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة 295 وله إحدى وثلاثون سنة وستة أشهر، وقيل أكثر من ذلك؛ وكانت خلافته ست سنين وتسعة عشر يوماً وكان دقيقاً أسمر اللون أعين قصيراً حسن الشعر واللحية كبيرهما، حسن الوجه والبدن، أفضى الأمر إليه بعد توطئة أبيه الأمور له، فبلي بكثرة الفتوق عليه واضطراب الأطراف. وكان ماله جماً، جيوشه كثيفة، فقام بتلك الأمور مقتفياً فعال أبيه، محتذياً طرائقه، ولمي كن ممن يوصف بشجاعة ولا جبن وكان نقش خاتمه كنقش خاتم أبيه المعتضد الحمد لله الذي ليس كمثله شيء وهو خالق كل شيء وعلى قضائه يوسف بن يعقوب وابنه محمد بن يوسف، وأبو خازم، ثم صير مكانه عبد الله بن علي بن أبي الشوارب الأموي، وحاجبه خفيف السمرقندي، ثم سوسن مولاه ومما كان في أيام المكتفي من الحوادث العظيمة التي يجب ذكرها خروج القرمطي صاحب الشأم المكنى أبا القاسم، المنتمي إلى آل أبي طالب، وليس منهم في قبائل الكلبيين مما يلي السماوة سنة 289 وسار إلى ناحية الرقة من بلاد مضر فلقيه سبك الديلمي عاملها

فاصطلمه القرمطي، ومن معه من الجنود، وسار إلى نواحي دمشق فلقيه طغج بن جف الفرغاني عامل دمشق وحمص والأردن لهارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون صاحب مصر والشأم بالموضع المعروف بوادي القردان والأفاعي من أعمال دمشق سلخ رجب سنة 289 وأول ... أن معه من القواد ... لموضع المعروف بالكده ... من شهر ربيع الأول سنة 290 فهزمه أيضاً قتل خلقاً من أصحابه، وحصره بدمشق ثلاثة أشهر وعشرين يوماً يقاتله أشد قتال والحرب بينهما سجال وتقرمط أكثر من حول دمشق من الغوطة وغيرها وعاضدوه فوافت عساكر المصريين وانضم إليه طغج فواقعوه بالموضع المعروف بكناكر وكوكبا على يوم من دمشق غرة رجب من هذه السنة، فقتل القرمطي في المعركة وانهزم المصريون بعقب ذلك.

فبايع القرامطة أخاً له يكنى أبا الحسن، وعاودوا حصار دمشق، يغادون أهلها القتال، ويراوحونهم.

وقد أسلمه سلطانهم، وخرج منهم، ورحل القرمطي عنهم إلى حمص يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب من هذه السنة.

فأقام بها، ووجه إلى مدينة بعلبك من أعمال دمشق. فأباد أهلها، فنهض المكتفي حينئذ عن مدينة السلام في عساكره، وقدم أبا الأغر خليفة من المبارك ابن خليفة السلمي أمامه، فنزل أبو الأغر بظاهر مدينة حلب.

واجتاحت ما بين حمص وحلب وأنطاكية ... المكتفي، وأنهض الجيوش ... بنواحي البر مما يلي شيزر ... من المحرم سنة ... من أصحابه، وأسر جمع كثير، ووقع بين من بقي منهم تحزب، ففارقهم القرمطي مختفياً، وعمل بالمصير إلى ناحية الكوفة، فظفر به وإلى الدالية من أعمال الرحبة، وسقى الفرات ومعه أربعة نفر أو خمسة.

فقبض عليه وحمل إلى المكتفي بالرقة، فأدخل يوم الاثنين لأربع ليال بقين من المحرم من هذه السنة.

ثم دخل المكتفي مدينة السلام في أحسن زي وأكمل عدة، والقرمطي ومن أسر من

أصحابه بين يديه يوم الاثنين مستهل شهر ربيع الأول من هذه السنة.

ودخل بعده محمد بن سليمان في بقية الجنود، ومعه جمع من الأسارى من أصحاب القرمطي ممن تتبع بالشأم.

ثم قتل القرمطي وأصحابه بالدكة التي بنيت لهم في المصلى العتيق ظاهر الجانب الشرقي من مدينة السلام لسبع بقين من شهر ربيع الأول من هذه السنة.

فكان ذلك من أجل الفتوح وأعمها سروراً بخواص الناس وعوامهم، لما أبادوا من الخلق.

وكان ظهوره بالشأم، وما أباد من عساكر الطولونية، سبب خروج محمد بن سليمان إلى مصر، وفتحه إياها وتشتيت أمر آل طولون وانحلال دولتهم وزوال مدتهم، وكان دخوله إياها يوم الخميس مستهل شهر ربيع الأول سنة 292 فكانت مدة دولة بني طولون سبعاً وأربعين سنة وخمسة أشهر وسبعة أيام.

ثم خرج قرمطي آخر، يكنى أبا غانم في جمع من كلب أيضاً بنواحي الشأم في سنة 293.

وقوي أمره وكثر أتباعه، وصار إلى نواحي أذرعات وبصرى من حوران والبثنية من أعمال دمشق.

وعاث وقتل وسبى وصار إلى مدينة طبرية من بلاد الأردن، فدخلها بالسيف، وقتل أميرها جعفر بن ناعم، وكثيراً من الجند والعوام

فجرد السلطان للقائه الحسين بن حمدان التغلبي، فلقيه بالموضع المعروف بخندف من أعمال دمشق.

فجرت بينهما وقعة تكافآ فيها، ثم كانت للحسين عليهم، فانكشف القرمطي منهزمها في البرية، وذلك في شعبان من هذه السنة، وفي ذلك يقول بعض بني كلاب:

لولا حسين يوم وادي خندف ... وخيله ورجله لم تشتف

نفس أمير المؤمنين المكتفي

في كلمة له طويلة يصف صاحب هذه الوقعة، وما كان فيها، وأفعال القرامطة بالشأم وسار

القرمطي إلى هيت، فقتل من أهلها وضربها بالنار، وارتحل عنها متوجهاً إلى ناحية البر.
وأنفذ المكتفي عدة قواد لطلبه منهم محمد بن إسحاق بن كنداجيق، ومؤنس الخازن المعروف بالفحل، وغيرهما، فاختلفت كلمة من كان معه من الكلبيين وخافوا الفناء لإحاطة العسكر بهم.
فقتله بعضهم غيلة ودفن ليلاً، وتفرق من كان معه، وصار بعض زعماء كلاب ويكنى أبا الذئب برأس القرمطي وكيفه، إلى محمد بن إسحاق بن كنداجيق فأنفذه بما معه إلى الحضرة، وأظهر الرأس بها يوم الأربعاء لخمس خلون من شوال من هذه السنة.
وكان خروج ذكرويه بن مهرويه في الكلبيين، وغيرهم في هذه السنة أيضاً، وهي سنة 293.
وكان من أهل الموضع المعروف بالصوأر على أربعة أميال من القادسية عرضاً في البر.
وقيل إنه أبو من قدمنا ذكره من القرامطة الناجمين بالشأم، وقيل كان قبل خروج عبدان صاحب دعوة القرامطة بسواد الكوفة، وصار إلى مصلى الكوفة في يوم النحر من هذه السنة.
وعليها إسحاق بن إبراهين وإسحاقبن عمران، فقتل من أصحاب السلطان وغيرهم جماعة، وأثاب أصحاب السلطان والرعية فكشفوهم، واستمد إسحاق ابن عمران السلطان، فسار إلى الكوفة رائق المعتضدي، ومعه بشر الأفشيني وجنى الصفواني الخادمان فلقوه بالقرب من الصوأر، فكانت عليهم، وأتى على أكثر الجيش، وذلك في آخر ذي الحجة من هذه السنة.
وتلقى الحاج مرجعهم، فكان أول من لقي منهم قافلة الخراسانية، وكانت عظيمة بالمنزل المعروف بواقصة، فأتى عليهم.
ثم سار إلى المنزل الثاني من هذا المنزل، وهو المنزل المعروف بالعقبة، فأوقع بقافلة السلطان، وعليها مبارك القمي وأبو العشائر أحمد بن نصر العقيلي، وقد كان ولي الثغور الشأمية، فقتلهما وسائر من كان معهما من الأولياء والرعية، ثم لقي قافلة السلطان الثالثة التي فيها الشمسية في الموضع المعروف بالطليح من الهبير، وذلك بين الثعلبية والشقوق في الرمل،

فأتى على من كان فيها من الأمراء كنفيس المولدي وأحمد بن سيما وغيرهما من القواد والأولياء وسائر أصناف الناس من سائر الأمصار.

وكان عدة من قتل في هذه القافلة الأخيرة أكثر من خمسين ألفاً دون من قتل قبلها من أهل القوافل.

وسار وصيف بن صوارتكين الخزري، والقاسم بن سيما عن القادسية، لطلبه في جيش كثيف من بني شيبان، وغيرهم من الأولياء. فالتقوا بين الكوفة والبصرة على الماء المعروف باوم، يوم الأحد لست ليال بقين من شهر ربيع الأول سنة 294 فاقتتلوا قتالاً شديداً، فهزم أصحاب ذكرويه، وأخذهم السيف وأسر وبه ضربات، فمات من الغد، وأدخل إلى مدينة السلام ميتاً، قد شد على جمل، ومن أسر معه من أصحابه، ورؤوس من قتل منهم يوم الاثنين، لتسع خلون من شهر ربيع الأول من هذه السنة.

ذكر خلافة المقتدر

وبويع المقتدر جعفر بن أحمد المعتضد، ويكنى أبا الفضل، وقيل إن اسمه إسحاق، وإنه إنما اشتهر بجعفر لشبهه بالمتوكل، وأمه أم ولد رومية، تسمى شغب - يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة 295 ولأربعة أشهر من خلافته أجمع جماعة من قواده وكتابه، فيهم الحسين بن حمدان بن حمدون التغلبي ووصيف بن صوارتكين الخزري، ومحمد بن داود بن الجراح، وعلي بن عيسى وغيرهم، من رؤساء الأجناد، ووجوه الكتاب على خلعه، والبيعة لعبد الله بن المعتز.

ففتك الحسين بن حمدان بالعباس بن الحسن، وقتل معه فاتك المعتضدي لمنعه عنه، وخلعوا المقتدر، وبايعوا ابن المعتز، يوم السبت للنصف من شهر ربيع الأول سنة 296، وأقاموا على ذلك يوماً وليلة، ولم يزل المقتدر عن سرير ملكه، ولا أخرج من دار الخلافة.

ثم أناب عدة من خواص الغلمان، فحاربوا شيعة ابن المعتز، فشتتوهم وهربوا على وجوههم، وقتل منهم جمع كثير، وقبض على ابن المعتز، فقتل.

وصفا الأمر للمقتدر، ثم خلع بعد ذلك، وأزيل عن سرير ملكه، وأخرج عن دار الخلافة للنصف من المحرم سنة 317.

وبويع أخوه القاهر، وجلس على سرير الملك، وسلم عليه الخلافة.

وكان من الذين سعوا في خلعه أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون ونازوك المعتضدي، وغيرهما من رؤساء القواد، ووجوه الأجناد، وأدخلوا معهم في الأمر مؤنساً الخادم المظفر على كره منه، ثم أناب عدة من الرجال، ففتكوا بنازوك في الدار، ونادوا باسم المقتدر، وقتل أبو الهيجاء، وتبايع أشياع المقتدر وخواصه، فأعيد إلى سرير ملكه، وجددت له البيعة، وصفا له الأمر، وذلك في يوم الاثنين، لسبع عشرة ليلة خلت من المحرم من هذه السنة.

ثم فسدت الحال بينه وبين مؤنس الخادم، فخرج مؤنس إلى الموصل، ولحقه أكثر الجيش، فعاد إلى مدينة السلام.

وخرج المقتدر فيمن بايعه من الجيوش للقائه، فقتل بظاهر مدينة السلام، مما يلي الشماسية، يوم الأربعاء لثلاث ليال بقين من شوال سنة 330، وله ثمان وثلاثون سنة وشهر وسبعة عشر يوماً.

وكان ربع القامة إلى القصر ما هو، دري اللون، صغير العينين، أحور حسن الوجه واللحية أصهبها، أفضت الخلافة إليه، وهو صغير، غرٌّ ترف، لم يعان الأمور، ولا وقف على أحوال الملك. فكان الأمراء والوزراء والكتاب، يدبرون الأمور، ليس له في ذلك حل ولا عقد، ولا يوصف بتدبير ولا سياسة وغلب على الأمر النساء والخدم وغيرهم، فذهب ما كان في خزائن الخلافة من الأموال والعدد بسوء التدبير الواقع في المملكة، فأداه ذلك إلى سفك دمه، واضطربت الأمور بعده، وزال كثير من رسوم الخلافة.

قال المسعودي: ولم يتقلد الخلافة من أمية وبني العباس إلى وقتنا هذه وهو سنة 345، في خلافة المطيع من اسمه جعفر إلا جعفر المتوكل وجعفر المقتدر، وكان مقتلهما جميعاً في شوال قتل المتوكل على ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب ليلة الأربعاء لثلاث ليال

خلون من شوال سنة 247 ولم يهج لأجل ذلك فتنة ولا شهر لأجله سيف وقتل المقتدر بين خاصة وضائعه دون سائر من كان معه يوم الأربعاء لثلاث بقين من شوال على ما ذكرنا وتولى قتل المقتدر موالي أبيه المعتضد وكانت في أيامه أمور لم يكن مثلها في الإسلام منها أنه ولي الخلافة، ولم يل أحد قبله من الخلفاء وملوك الإسلام في مثل سنه، لأن الأمر أفضي إليه وله ثلاث عشرة سنة وشهران وثلاثة أيام ومنها أنه ملك خمساً وعشرين سنة إلا خمسة عشر يوماً، ومل يمتلك هذا أحد من الخلفاء وملوك الإسلام قبله ومنها أنه استوزر اثني عشر وزيراً فيهم من وزر له المرتين والثلاث، ولم يعرف فيما قبله أنه استوزر هذه العدة ومنها غلبة النساء على الملك والتدبير حتى أن جارية لأمه تعرف بثمل القهرمانة كانت تجل للنظر في مظالم الخاصة والعامة ويحضرها الوزير والكاتب والقضاة، وأهل العلم ومنها أن الحج بطل فلم يحج في سنة 317 لدخول أبي طاهر سليمان بن حسن ابن بهرام الجنابي القرمطي صاحب البحرين مكة، وكان دخوله إياها يوم الاثنين لسبع خلون من ذي الحجة، ولم يبطل الحج منذ كان الإسلام غير تلك السنة، وغير ذلك من الأحوال التي كانت في أيامه واستوزر العباس بن الحسن على ما كان عليه في أيام المكتفي فلما قتل العباس استوزر علي بن محمد بن موسى بن الفرات، ثم محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان الملقب بدق صدره، ثم علي بن عيسى بن داود بن الجراح، ثم علي بن محمد بن الفرات الوزارة الثانية، ثم حامد بن العباس ثم علي بن محمد بن الفرات الوزارة الثالثة، ثم عبد الله بن محمد بن عبيد الله الخاقاني وزر وأبوه محمد بن عبيد الله حي، وكانت وفاته بعد وزارة ابنه باثني عشر يوماً، وذلك يوم الاثنين وقت العصر لثمان بقين من شهر ربيع الآخر، وقيل الأول سنة 312وكان آخر من وزر وأبوه حي إلى وقتنا هذا وقد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب من وزر وأبوه حي مثل أبي سلمة حفص بن سليمان الخلال، وعبيد الله بن خاقان، والعباس بن الحسن ابن أيوب؛ ثم استوزر أحمد بن عبيد الله الخصيبي، ثم علي بن عيسى الوزارة الثانية ثم أبا علي محمد بن علي بن مقلد، ثم سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح، وهو ابن عم علي ابن عيسى، ثم عبيد الله بن محمد الكلواذاني، ثم

الحسين بن القاسم ابن عبيد الله بن سليمان بن وهب، ثم الفضل بن جعفر بن موسى بن الفرات

وكان نقش خاتمه المقتدر بالله؛ وقاضيه محمد بن يوسف بن يعقوب على الجانب الشرقي والكرخ، وقلد قضاء القضاة إلى أن توفي فقلت ابنه عمر بن محمد بن يوسف الجانب الشرقي والكرخ، وعلى مدينة المنصور وأعمالها عبد الله بن علي بن أبي الشوارب، وبعده محمد بن عبد الله وبعده عمر بن الحسن المعروف بالأشناني، وانتقض وبعده الحسن بن عبد الله بن أبي الشوارب، وبعده عمر بن محمد بن يوسف وحجبه سوسن مولاه، ثم نصر القشوري، ثم ياقوت وإبراهيم ومحمد ابنا رائق

قال المسعودي: ومن الكوائن العظيمة والأنباء الجليلة التي كانت في أيامه ما لم يتقدم مثلها في الإسلام مسير أبي طاهر سليمان بن الحسن بن بهرام الجنابي صاحب البحرين من الإحساء من بلاد البحرين إلى البصرة في أربعمائة فارس على أربع مائة حجرة لا حصان فيها وخمسمائة راجل ودخولهم إياه ليلاً وقتلهم سبكا المفلحي، ومن قدروا عليه من أصحابه، ومن ظهر لهم من الرعية، وذلك في ليلة الخميس لثلاث وقيل لخمس بقين من شهر ربيع الآخر سنة 311 وقيل بل ليلة الاثنين لست بقين منه، وكان مسيرهم من الإحساء إليها في ست ليال وتهارب الناس منهم إلى الأبلة والمفتح والشطوط والأنهار والجزائر، وغير ذلك وأقاموا في البلد سبعة عشر يوماً، ثم رحلوا عنها منقلبين بما احتملوا منها إلى بلدهم، ثم اعترضه الحاج في منصرفهم عن مكة بنواحي الهبير، مما يلي الثعلبية وهو في خمسمائة فارس وستمائة راجل وقتله من قتل من القواد وسائر الأولياء وغيرهم، وأسره أبو الهيجاء عبد الله بن حمادان بن حمدون أميرهم، وأحمد بن بدر العم، وأحمد بن محمد بن كشمرد، وغيرهم من الوجوه وسائر طبقات الناس من النساء والرجال، وأخذهم الشمسية وغيرها من صنوف الأموال التي لا يوقف على تحديدها ومبلغها، وذلك يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة 312، ثم اعتراضه الحاج في بدأتهم سنة 313 في

خمسمائة فارس وستمائة راجل أيضاً وظفره ببعضهم ورجوع الباقين إلى الكوفة ومدينة السلام، ومصيره إلى الكوفة ومواقفته من كان بها من الأولياء الذي جردوا من الحضرة للقائه وهم جعفر بن ورقاء الشيباني، وجنى الصفواني الخادم مولى ابن صفوان العقيلي، وثمل الخادم الدلفي، صاحب أنطاكية والثغور الشامية، وطريف السبكري الخادم وإسحاق بن شروين السبكري وغيرهم من رؤساء الأجناد وهزيمته إياهم وقتله من قتل منهم وأسره جنياً الصفواني وغيره، وذلك يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة من هذه السنة، ثم مسيره عن الكوفة إلى الإحساء بالذرية والثقلة وتسليمه البلد إلى إسماعيل بن يوسف بن محمد بن يوسف المعروف بالأخيضر صاحب اليمامة بن إبراهيم بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ومسير أبي القاسم يوسف بن أبي الساج عن واسط في عساكر للقائه، وكان السلطان أشخصه عما كان يليه من الأعمال من بلاد آذربيجان وأرمينية وأران والبيلقان وغيرها ليستعد من واسط وينفذ إلى بلاد البحرين، وكان مقيماً بواسط، مستمداً إلى أن جاءه الخبر بمسير صاحب البحرين إلى الكوفة، فخرج مبادراً له مسبقه أبو طاهر إليها ونزل الموضع المعروف بالخورنق وحازاها ونزل ابن أبي الساج في اليوم الثاني بالقرب منه في الموضع المعروف بين النهرين مما يلي القرية المعروفة بحروراء وإليها أضيفت الحرورية من الخوارج، وأبو طاهر بينه وبين الكوفة فكانت الوقعة بينهم يوم السبت لتسع خلون من شوال سنة 315 فأسر ابن أبي الساد واصطلم عسكره وأتى على أكثر من ثلاثين ألف فارس وراجل مع تفرق كثير من أصحابه عنه في الطريق وتأخرهم عنه، وصاحب البحرين في نحو من ألفين من المقاتلة أكثرهم رجالة، ثم مسيره عن الكوفة حتى جاز الأنبار وقطع عدة من أصحابه الفرات إلى الجانب الشرقي، فقتلوا من كان بالأنبار من القواد منهم المعروف بالحارثي، وبرغوث وابن بلال ومحمد بن يوسف الخزري وغيرهم من الأولياء، وذلك يوم الثلاثاء لثلاث خلون من ذي القعدة من هذه السنة، وعقد على الفرات جسراً، وخلف السواد والذرية، وعبر في جريدة وخيل من أصحابه إلى الأنبار، وسار عنها يريد الحضرة، حتى انتهى إلى النهير المعروف بزبارا فوق التل المعروف بعقرقوف

بفرسخ وذلك على بعض يوم من مدينة السلام وكان مؤنس الخادم نصر، ونصر الحاجب المعروف بالقشوري، وأبو الهيجاء عبد الله بن حمدان، وقد كان أطلقه وغيره ممن سمينا أنه أسر معه قبل رحيله لمواقعة ابن أبي الساج وسائر من كان بالحضرة من عساكر السلطان معسكرين على هذا النهر، فلما أحسوا بدنوه قطعوا القنطرة التي عليها وصار النهر حاجزاً بين الفريقين فشرع قوم من رجالته فرموا النشاب، وذلك في اليوم الثاني عشر والثالث عشر من ذي القعدة من هذه السنة ورجع يريد الأنبار

وبعث مؤنس غلامه يلبق في نحو من ثلاثة، وقيل من سبعة آلاف على طريق قصر بن هبيرة من طريق الكوفة فعبروا على جسر الفرات المعروف بجسر سورا وساروا في البر ليخالفوه إلى سوداه.

وقد كان قوم من الأولياء، شرعوا في الماء، فأحرقوا الجسر الذي عقده، فحصل في الجانب الشرقي وسواده في الجانب الغربي.

وقيل إنه قطع الجسر عند عبوره، وتأدى إليه خبر يلبق فعبر الفرات في زورق عشرة من أصحابه، فيهم ثلاثة إخوة له، وعبر خلق سباحة فسبق إلى سواده. وقتل أخواه أبو العباس الفضل وأبو يعقوب يوسف، وكانا في السواد بن أبي الساج حين بلغهما قرب يلبق منهم، فلقي يلبق. فأتى على أكثر من كان معه ونجا يلبق منكسراً. وذلك يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة من هذه السنة.

وسار إلى مدينة هيت في ثقله فنزل عليها وحصرها – وأنا يومئذ بها منحدراً من الشأم أريد مدينة السلام – وعبر أصحابه الذين كانوا في جانب الأنبار على أطواف اتخذوها في الموضع المعروف بفم بقة أسفل هيت، فاجتمعوا منه فواقع أهل هيت يوم الأحد لثمان خلون من ذي الحجة من هذه السنة.

وكان عبر إليها من المساء هارون بن غريب الخل، وأبو العلاء سعيد بن حمدان، ويونس غلام الأصمعي وغيرهم من الأولياء. فكان القتال بينهم فوق السور واحترقت له عدة

دبابات.

وعاد إلى معسكره وارتحل عنها يوم الاثنين صبيحة الوقعة إلى ناحية رحبة مالك بن طوق وارتفعت من معسكره نار عظيمة عند السحر قبل رحيله فظننا أنه يريد معاوية الحرب وإذا هو قد ضرب ثقلته بالنار لكثرة الذرية والثقلة وقلة الظهر، وصار إلى الرحبة وعليها يومئذ أبو جعفر محمد بن عمرون التغلبي فافتتحها عنوة ونزلها وهي من الجانب الشأمي، وقرقيسيا وهي من الجانب الخزري، وبث منها السوارب إلى النواحي، منها سرية إلى كفر توثا ورأس العين ونصيبين عليها الحسين بن علي بن سنبر الثقفي، ومعاذ الأعرابي الكلابي، فأوقعوا بالأعراب من تغلب والنمر وغيرهم من الحاضرة.

وقد كان أنفذ سليمان الجلي قبل ذلك إلى كفر توثا لحمل الزاد والميرة إلى معسكره، وكان من ذوي النسك منهم والدراية بمذهبهم. وقد كلمت غير واحد من دعاتهم، وذوي المعرفة منهم، فلم أر مثله دراية وتحصيلاً وتديناً بما هو عليه وحسن إتقان للسياسة التي تكون مع الدعاة.

وكان أولاً مع أبي زكريا البحراني، ثم صار مع أبي سعيد الجنابي وولده، ووجه بسرية له في نحو ألفين، وقيل دون ذلك إلى الرقة، وهي على ثلاثين فرسخاً من الرحبة.

وكان على السرية الحسين بن علي بن سنبر ومعاذ الكلابي أيضاً، وكان نزولهما عليها يوم الأحد، لثمان بقين من جمادى الأولى سنة 316، وأميرها نجم غلام جني الصفواني، فكان القتال بينهم يوم الثلاثاء والأربعاء، لخمس بقين من هذا الشهر، وانصرفوا في آخر يوم الأربعاء، وقد أصيب عدة من الفريقين، الأكثر منهم من السرية، راجعين إلى الرحبة.

وأقام صاحب البحرين بالرحبة يروّي في نزول مدينة الرملة من بلاد فلسطين أو مدينة دمشق فيما حكي، ثم عمل على الرجوع إلى بلده لأمور قد ذكرناها في غير هذا الموضع من أخبارهم، فسار عن الرحبة في أول شعبان سنة 316 في البر والماء منحدراً في الفرات. وكان مقامه بالرحبة، إلى أن خرج عنها نحواً من سبعة أشهر، فنزل على هيت ثانية فقاتلهم قتالاً شديداً في الماء والبر، ولم يكن معه في الأولى سفن، ثم انحدر عليهم، وسار إلى ناحية

الكوفة والقادسية. وامتار واجتاز بظاهر البصرة وعاد إلى البحرين، وذلك في آخر المحرم وأول صفر سنة 317.

ثم سار إلى مكة فدخلها يوم الاثنين لسبع خلون من ذي الحجة من هذه السنة في ستمائة فارس وتسعمائة راجل، وأميرها يومئذ محمد بن إسماعيل المعروف بابن مخلب بعد أن كان بها من الأولياء وغيرهم من عوام الناس من الحاج وغيرهم صافوه ثم انكشفوا من بين يديه عند قتل نطيف غلام ابن حاج. وكان من شحنة مكة وممن يعول عليه وأخذ الناس السيف وعاذوا بالمسجد والبيت. فاستحر القتل فيهم وعمهم. وقد تنوزع في عدة من قتل من الناس من أهل البلد وغيرهم من سائر الأمصار فمكثر ومقلل، فمنهم من يقول ثلاثين ألفاً ومنهم من يقول دون ذلك وأكثر. وكل ذلك ظن وحسبان إذ كان لا يضبط وهلك في بطون الأودية ورؤوس الجبال والبراري عطشاً وضراً مالا يدركه الإحصاء واقتلع باب البيت الحرام.

وكان مصفحاً بالذهب وأخذ جميع ما كان من البيت من المحاريب الفضة والجزع وغيره ومعاليق وما يزين به البيت من مناطق ذهب وأنازيرات ذهب وفضة وقلع الحجر الأسود مقدار موضعه ما يدخل فيه اليد إلى أقل من المرفق.

وجرد البيت مما كان عليه من الكسوة. وحمل ذلك على خمسين جملاً إلا ما أصابه الدم عند عوذ الناس به فإنه ترك. وذلك يوم السبت لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة 317.

وكان مقامهم بمكة ثانية أيام يدخلونها غدوة ويخرجون منها عشياً يقتلون وينهبون، ورحل عنها يوم السبت من هذا الشهر، وعرضت له هذيل بن مدركة ابن إلياس بن مضر وهم رجالة في المضايق والشعاب والجبال وحاربوه حرباً شديداً بالنبل والخناجر ومنعوه من المسير واشتبهت عليهم الطرق فأقاموا بذلك ثلاثة أيام حائرين بين الجبال والأودية.

وتخلص كثير من النساء والرجال المأسورين واقتطعت هذيل مما كان معهم ألوفاً كثيرة من

الإبل والثقلة. وكان ثقلته على نحو مائة ألف بعير عليها أصناف المال والأمتعة إلى أن دله عبد أسود من عبيد هذيل يقال له زياد استأمن إليه على طريق سلكه فخرج عن المضايق وسار راجعاً إلى بلده.

قال المسعودي: ونحن نذكر في أخبار الراضي فيما يرد من هذا الكتاب ما كان له من السرايا في أيامه وغير ذلك من أحواله.

وكان مقتل الحسين بن منصور المعروف الحلاج من أهل مدينة البيضاء من أرض فارس لست بقين من ذي القعدة سنة 309 ضرب ألف سوط وقطعت يداه ورجلاه، وضربت عنقه وأحرقت جثته، وذلك في مجلس الشرط ...... على سور السجن المعروف بالمترف من هذا الجانب، وكان يوماً عظيماً لمقالات حكيت عنه في الديانة كثر متبعوه عليها والمنقادون إليها، وكان يظهر التصوف والتأله، وقد ذكرنا فيما سلف من كتبنا ما صح عندنا من مذهبه، وذكره في كتبه عند ذكرنا مقالات أرباب النحل ورؤساء الملل

ذكر خلافة القاهر

وبويع القاهر محمد بن أحمد المعتضد، ويكنى أبا منصور، وأمه أم ولد، تسمى قبول، يوم الخميس لليلتين بقيتا من شوال سنة 320. ثم خلع وسملت عيناه يوم الأربعاء لخمس خلون من جمادى الأولى سنة 322 وله ست وثلاثون سنة وأشهر. ولم يسمل قبله أحد من الخلفاء وملوك الإسلام. وكانت خلافته سنة وستة أشهر وستة أيام وكان أبيض يعلوه حمرة، مربوعاً، حسن الجسم، أعين، وافر اللحية، ألثغ، شديد الإقدام على سفك الدماء، أهوج، محباً لجمع المال على قلته في أيامه قليل الرغبة في اصطناع الرجال، غير مفكر في عواقب أموره، راكباً ردعه، واطئاً عشواته يريد الشبه بمن تقدم من آبائه، فلا يمكنه ذلك لسوء تدبيره وقبح سياسته واستوزر أبا علي محمد بن مقلة ثم جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله، ثم أبا العباس أحمد بن عبيد الله الخصيبي.

وكان نقش خاتمه القاهر بالله وقاضيه عمر بن محمد بن يوسف بن يعقوب، وحاجبه علي بن يلبق، وبدر الخرشني، وفارس بن الزنداق، ومحمد ابن ياقوت، وسلامة المؤتمن المعروف

بأخي نجح

ذكر خلافة الراضي محمد

وبويع الراضي محمد بن جعفر المقتدر ويكنى أبا العباس، وأمه أم ولد تسمى ظلوم، يوم الخميس لست ليال خلون من جمادى الأولى سنة 322، وتوفي بمدينة السلام يوم السبت لست عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة 329 وله اثنتان وثلاثون سنة وأشهر، وكانت خلافته ست سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام. وكان أسمر، أعين، مسنون الوجه، خفيف العارضين، دحداحاً، نحيفاً، جواداً، محباً للأدب، حسن الشعر، شديد التضريب بين أوليائه، لاستبدادهم بالأمور دونه، وقصور يده عن تغيير ذلك، فاستوزر محمد ابن علي بن مقلة، وولده أبا الحسين علي بن محمد وكانا يخاطبان بالوزارة وتخرج الكتب بأسمائهما ثم استوزر أبا علي عبد الرحمن بن عيسى بن داود بن الجراح، ثم أبا جعفر محمد بن القاسم الكرخي. ثم أبا القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح، ثم أبا الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات، ثم أبا عبد الله أحمد بن محمد البريدي، ثم سليمان بن الحسن بن مخلد.

وكان نقش خاتمه الراضي بالله وقاضيه عمر بن محمد بن يوسف، ثم ابناه يوسف، والحسن وحاجباه محمد بن ياقوت، ثم مولاه ذكي

ومما ذكر في أيامه من الحوادث العظيمة مسير القرمطي سليمان بن الحسن صاحب البحرين عن الإحساء لاعتراض الحاج في بدأتهم لموسم سنة 323 خرج لست بقين من شوال في تسعمائة فارس وتسعمائة راجل، وقسم العسكر نصفين من الجابرية وهي من الإحساء على ثلاثة أيام، فجعل على أحد النصفين أبا عبد الله الحسين بن علي بن سنبر ومعاذاً الكلابي فساروا قاصدين طريق مكة لطلب أول الحاج وقصد القرمطي القادسية لاستقبال القافلة الشمسية مع لؤلؤ غلام المتهشم، فوقع ابن سنبر بالخوارزمية وغيرهم، وكان رؤساءهم شاذان وابن حاتم وغيرهما بناحية زبالة والعقبة، فأسرهما وغيرهما من أهل

القوافل وقتل، وذلك لسبع عشرة ليلة خلت من ذي القعدة من هذه السنة، وانهزم الباقون راجعين يريدون العذيب، ولا علم عندهم أن القرمطي أمامهم، وسار لؤلؤ غلام المتهشم بالناس، ولقيه القرمطي بالقادسية يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة من هذه السنة.

فقاتل لؤلؤ إلى أن نالته جراحات، وانكشف أصحابه عنه، وطرح نفسه بين القتلى. ودخل الكوفة في الليل مستخفياً، واستولى أبو طاهر على تلك القافلة بأسرها وكان من انقضاض الكواكب ليلة الأربعاء التي كانت الوقعة في صبيحتها ما لم ير مثله في الإسلام، والقرمطي حينئذ سائر من خفان يريد القادسية وبينهما ستة أميال.

ورجع القرمطي مستقبلاً للمنهزمين من ابن سنبر الراجعين يريدون الكوفة فلقيه بالعذيب، فاستأمنه قرة لقافلته، وبذل عنها مالاً فأطلقه، ولم يعرض له، وأوقع بالباقي، فقتل وسبى، وصار إليه من صنوف الأموال والأمتعة ما لا يوقف على تحديده ولا يحاط بمبلغه.

وكانت له بعد ذلك سريتان إلى الكوفة وناحية واسط في أيام الراضي أيضاً لم يلق فيهما حرباً أثر تأثيراً يذكر، ولم يزل مقيماً بالإحساء من بلاد البحرين إلى أن توفي يوم الاثنين لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة 332، وله ثمان وثلاثون سنة، لأن مولده في شهر رمضان سنة 94.

وقتل أبوه أبو سعيد الجنابي سنة 300، وله يومئذ ست سنين، وبقي العسكر تسع سنين إلى أن تسلمه أبو طاهر في شهر رمضان سنة 310.

قال المسعودي: وقد أتينا فيما سلف من كتبنا على شرح هذه الحروب والوقائع وما كان من أخباره فيها وأخبار القرامطة البقلية بسواد الكوفة وغلبتهم عليها، وذلك في سنة 316، والعلة في تسميتهم البقلية، وهو اسم دياني عندهم، وكان رؤساءهم مسعود بن حريث وعيسى بن موسى بن أخت عبدان بن الربيط الملقب قرميط والمعروف بابن أبي السيد وابن الأعمى، وأبو الذر والجوهري وغيرهم.

وكان جمهورهم بنو ذهل وبنو رفاعة وإيقاعهم ببني بن نفيس بناحية الطفوف، وجنبلاء،

وتل فخار، وهزيمتهم إياه واحتوائهم على عسكره، ومواقعة هارون بن غريب الخال، وصافي غلام نصر القشوري إياهم، ومن قتل منهم وأسر، ومن انضاف منهم إلى سليمان بن الحسن عبد رجوعه من هيت إلى بلد البحرين، وكانوا يعرفون في عسكره بالأجميين، لكني أكثرهم الآجام والطفوف من أعمال الكوفة وأخبار الغلام المعروف بالذكرى من أبناء ملوك الأعاجم من بلاد صبهان، ووروده إليهم في سنة 316، وتسيلم أبي طاهر الأمر إليه في سنة 319 وإجماعهم عليه، وما رسم من الرسوم والمذاهب التي أخذهم بها، وقتله لأبي حفص بن زرقان زوج أخت أبي طاهر.
وكان يدعي الشريك، وكان أكملهم عقلاً، وأوسعهم علماً، وأحسنهم أدباً، وبني سلمان وغيرهم من وجوه العسكر، وهم نحو من سبعمائة رجل، وما أظهر في العسكر من المذاهب الشنيعة، والسير القبيحة، التي لم تعهد، ولا عرفت في عسكر هؤلاء القوم منذ استولى أبو سعيد على هذه البلاد وولده وزوالها بزواله ورجوعهم عنها، واعتذارهم عنها، وما وقع عليها من التدبير إلى أن قتل فيما قيل.

وعاد الأمر إلى أبي طاهر، وغير ذلك من أخبار أصحاب الغرب وحروبهم ومن كان منهم باليمن واتفاق جميع من ذكرنا على سبب واحد وانقيادهم إليه، وقولهم به وانتظارهم له، وأخبار أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي، ونسبته واتصاله بملوك فارس، ومكانه من هذه الدعوة، وكيفية دخوله البحرين، وما كان من أمره بالقطيف مع بني مسيار، واتصاله ببادية بني كلاب، وكان أبو زكريا البحراني دعاهم، وما كان بين أبي سعيد وبين أبي زكريا، وقبض أبي سعيد عليه وهلاكه في يده وفتحه سائر مدن البحرين، وكان أهلها في نهاية العدة والقوة كالقطيف، وكان بها علي بن مسمار وإخوته، وهم من عبد القيس، وقتله علياً والزارة، وكان بها الحسن بن العوام من الأزد وصفوان، وكان بها بنو حفصن وهم من عبد القيس أيضاً والظهران والإحساء، وكان بها بنو سعد من تميم وجواثاً، وكان بها العريان بن الهيثم الربعي، وقد ذكره علي بن محمد المنتمي إلى أبي طالب صاحب الزنج الناجم بالبصرة عند

ظهوره بالبحرين في تميم وكلاب ونمير وغيرهم، وذلك قبل مصيره إلى البصرة، وكان العريان أوقع بهم في عبد القيس، وبني عامر بن صعصعة، ومحارب بن خصفة بن قيس ابن عيلان وغيرهم وقعات متتابعات، فأخرجه عن البحرين ونواحيها، وقتل من أصحابه خلقاً كثيراً، فلما وقع طرفه بالصمان على الطائر المعروف بالمكاء، قال كلمته التي أولها:

أيا طائر الصمان مالك مفرداً ... تأسيت بي أم عاق إلفك عائق

فقال فيها:

عدمت عتاق الخيل إن لم أزر بها ... عليها الكماة الدارعون البطارق

عليها رجال من تميم وقصرها ... كليب بن يربوع الكرام الصادق

وجثوتها سعد وفي جنباتها ... نمير وبيض من كلاب عواتق

وإن لم أصبح عامراً ومحارباً ... بخطة خسف أو تعقني العوائق

أيحسبني العريان أنسى فوارسي ... غداة نزال الردم والموت عالق

وقال في كلمة أخرى يذكر عبد القيس:

أتحسب عبد القيس أني نسيتها ... ولست بناسيها ولا تاركاً تبلى

وهجر وكانت أعظم مدن البحر، وكان بها عياش المحاربي، وكان أعظمهم عدة، وأشدهم شوكة، ومواقعة أبي سعيد العباس بن عمرو الغنوي، وقد جرده المعتضد للقائه من البصرة في السبخة المعروفة بافان، وأفان ماء ونخل أراد العباس نزولها، وذلك عند ارتحاله من الماء المعروف بالإعياء، فسبقه أبو سعيد إلى الماء، وطول هذه السبخة سبعة أميال، وبينها وبين البصرة سبعة أيام، وهي على يومين من ساحل البحر، وهي القطيف وبين القطيف وبين البحر ميل، ولها مدينة على الساحل، يقال لها عنك وفيها يقول الراجز:

طعن غلام لم يجئك بالسمك ... ولم يعلل بخياشيم عنك

فلما توسط العباس السبخة بعث أبا سعيد فغور. ما وراءه من المياه، وكانت في أعلى السبخة، وهو طريق ضيق وأبو سعيد في سبعمائة فارس وراجل من كلاب وعقيل وبحرانيين والعباس في سبعة آلاف من الجند، ومطوعة البصرة والبحرانيين، الذين كانوا خلوا عن

البحرين وغيرهم.

فأسر العباس وأتى على أكثر من كان معه ولم ينج إلا الشريد، وذلك في رجب من سنة 287.

وما كان من سريته إلى صحار وهي قصبة عمان مرة بعد أخرى، ودخوله إياها عنوة وبين البحرين وعمان مسيرة عشرة أيام رمال ودهاس، وفي بعض المواضع ماء مالح، وإلى بلاد الفلج وهي على ثلاثة أيام من اليمامة، وإلى يبرين وهي من اليمامة على مثل ذلك أيضاً، فأباد أهلها وكانت من أطيب بلاد الله وكثرها وأهلاً، وعمائر ونخلاً وشجراً، فلا أنبس بها إلى هذا الوقت وفيها يقول جرير

فقلت للركب إذ جد المسير بنا ... يا بعد يبرين من باب الفراديس

وسبب فتك الخادمين الصقلبيين الذي كان أخذهما حين واقع بدر المحلي، وكان جاء من عمان في البحر لقتاله، وكان اصطنعهما فقتلاه في الحمام في ذي القعدة سنة 300 وعدة من خواص أصحابه من القطيفين معه وهم حمدان وعلي ابنا سنبر، وبشر، وأبو جعفر ابنا نصير، وهما خالا ولد أبي سعيد المعروف بابن جنان ومحمد بن إسحاق وكان مدة أبي سعيد مذ ظهرت دعوته بالقطيف وافتتح سائر مدن البحرين وآخرها هجر إلى أن قتل سبعاً وعشرين سنة

وقد ذكرنا في كتاب خزائن الدين، وسر العالمين، عند ذكرنا أرباب النحل ورؤساء الملل وما أحدثوه عن الآراء والمذاهب ما ذكره من خالف هذه الطائفة ورد عليهم وحكى عنهم وأن هذه الدعوة أحدثت بأصبهان سنة 360 وما الغرض بها والمقصد منها وتسليمهم ظاهر الشريعة، وقولهم في تأويل معانيها، وأمرهم المدعو عند أخذ العهد عليه بستر ما يكشفونه له من تأويل كتاب الله، ومنهم من يقول للمدعو عند ذلك استر ما أكشفه لك من تأويل كتاب الله وتأويل التأويل وتبليغه إلى مراتب ينتهون به إليها يسمونها البلاغ، وغير ذلك من دعواتهم ووجوه سياساتهم وأسرارهم في ذلك ورموزهم.

وقد صنف متكلموا فرق الإسلام من المعتزلة والشيعة والمرجئة والخوارج والنابتة ممن تقدم كتباً في المقالات وغيرها من الرد على المخالفين، كاليمان بن رئاب الخارجي، وزرقان غلام إبراهيم بن سيار النظام، ومحمد بن شبيب صاحب النظام أيضاً، وعباد بن سلمان الصيمري، صاحب هشام بن عمرو الفوطي، صاحب أبي الهذيل محمد بن الهذيل العبدي العلاف البصري، ومحمد بن عيسى بن غوث، صاحب الحسين بن محمد النجار، وأبي عيسى محمد ابن هارون الوراق، وأحمد بن الحسن بن سهل المصمعي المعروف بابن أخي زرقان وغيرهم ممن شاهدناه كأبي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي في كتابه في الرد على أصحاب التناسخ والخرمية وغيرهم من أهل الباطن، وأبي القاسم البلخي وأبي العباس عبد الله بن محمد الناشي، والحسين بن موسى النوبختي في كتابه في الآراء والديانات، وفي كتابه في الرد على الغلاة وغيرهم من الباطنية، وأبي محمد عبد الله بن محمد الخالدي، وأبي الحسن بن أبي بشر الأشعري البصري الكلابي وغير هؤلاء فلم يعرض أحد منهم بوصف مذاهب هذه الطائفة ورد عليهم آخرون مثل قدامة بن يزيد النعماني، وابن عبدك الجرجاني، وأبي الحسن ابن زكريا الجرجاني، وأبي عبد الله محمد بنعلي بن رزام الطائي الكوفي، وأبي جعفر الكلابي الرازي وغيرهم، فكل يصف من مذاهبهم ما لا يحكيه الآخر مع إنكار هذه الطائفة حكاية من ذكرنا وتركهم الاعتراف بها، ونحن فلم نقصد في كتابنا هذا حكاية مذاهبهم ولا الرد عليهم وكان مقتل محمد بن علي الشلمغاني الكاتب المعروف بابن أبي العزاقر يوم الثلاثاء غرة ذي القعدة سنة 322 فقطعت يداه ورجلاه وضربت عنقه وأحرق في مجلس الشرطة في الجانب الغربي لأمور ديانية أحدثها ومقالات فيما ذكر ذكرها وأظهرها كثر المستجيبون له إليها وقتل معه رجل من أتباعه يقال له ابن أبي عون ويعرف بابن النجم الكاتب مثل ذلك.

وقد أتينا على ما ظهر من قوله وحكاه من هذا عن نفسه في رسالته المعروفة بالمذهبة وكتابه فيالوصية وكتاب الغيبة وكتاب التسليم، وغير ذلك من كتبه في كتابنا في المقالات في أصول الديانات عند ذكرنا مذاهب الشيعة وغلاتهم.

ذكر خلافة المتقي إبراهيم

وبويع المتقي إبراهيم بن المقتدر ويكنى أبا إسحاق وأمه أم ولد تسمى خلوب يوم الخميس لتسع بقين من شهر ربيع الأول سنة 329، وخلع وسملت عيناه يوم السبت لعشر ليال بقين من صفر سنة 333 وله ثلاثون سنة، وأشهر وكانت خلافته ثلاث سنين وعشرة أشهر وعشرين يوماً، وكان أبيض صافي اللون أشهل، في شعره شقرة وهو حي إلى وقتنا هذا – وهو سنة 345 مكرم على ما ينمى إلينا من أخباره واستوزر سليمان بن الحسن بن مخلد، ثم أبا الحسين أحمد بن محمد بن ميمون، ثم أبا جعفر محمد بن القاسم الكرخي بعد أن دبر الأمور أبو الحسن علي بن عيسى بن داود بن الجراح، وميسم الوزارة لأخيه عبد الرحمن بن عيسى، ثم أبا إسحاق محمد بن أحمد القراريطي، ثم أبا العباس أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ثم أبا الحسين علي بن محمد بن علي ابن مقلة وكان نقش خاتمه المتقي بالله وقاضيه المعروف بالخرقي، وحاجبه سلامة مولاه المؤتمن المعروف بأخي نجح، ثم بدر الخرشني، ثم أحمد بن خاقان ومن الحوادث العظيمة التي كانت في أيامه في الملك مما لم يجر مثله على أحد من خلفاء بني العباس. دخول أبي الحسين البريدي إلى مدينة السلام في جيوشه في الماء وعلى الظهر، يوم السبت لتسع بقين من جمادى الآخرة سنة 33 وهرب المتقي عن دار ملكه، ومعه محمد بن رائق يريدان الموصل

وانتهبت دار الخلافة وغيرها من دور الأولياء وانتهك الحريم بعد ممانعة عظيمة وحروب وقتل من الناس وغرق نحو من عشرة آلاف، وقيل أكثر من ذلك

ذكر خلافة المستكفي

وبويع المستكفي عبد الله بن علي المكتفي ويكنى أبا القاسم، وأمه أم ولد رومية تسمى غصن، في الموضع المعروف بالبثق على نهر عيسى بإزاء القرية المعروفة بالسندية، في الوقت الذي سملت فيه عينا المتقي وخلع يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة 334، وسملت عيناه، وله ثمان، وقيل ثلاثة وأربعون سنة وأشهر؛ وكانت خلافته سنة وشهرين

وثمانية وعشرين يوماً.

وكان أبيض اللون، حسن الوجه، صغير الفم، بعارضه شيب، وكان المدبر للأمور في أيامه أبو جعفر محمد بن شيرزاد كاتب توزون التركي وقد كان أبو الفرج أحمد بن محمد السامري خلع عليه ووزر سبعة وأربعين يوماً، وهو آخر من خوطب بالوزارة في أيام بني العباس إلى وقتنا هذا ثم الشيرازي أبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن نفذت الكتب عنه باسمه، ثم غلب ابن شيرزاد على الأمر وكان نقش خاتمه المستكفي بالله وقاضيه ابن أبي الشوارب، وابن أبي موسى الهاشمي؛ وحاجبه أحمد بن خاقان المفلحي.

ذكر خلافة المطيع

وبويع المطيع الفضل بن جعفر المقتدر بالله، ويكنى أبا القاسم، وأمه أم ولد صقلبية، تسمى مشعلة – يوم الخميس لثمان ليال بقين من جمادى الآخرة سنة 334.

ولخمس سنين خلت من خلافته أعيد الحجر الأسود إلى موضعه من البيت الحرام في ذي الحجة سنة 339 وكان أخذه في سنة 317 على ما قدمنا في خلافة المقتدر في هذا الكتاب.

وقد ذكرنا في كتاب مروج الذهب، ومعادن الجوهر أخبار الحجر في الجاهلية ومن تداوله من الأمم من جرهم، وإياد، والعماليق، وخزاعة وكم مرة أزيل من موضعه ثم رد إليه، وغير ذلك من أخبار مكة والبيت الحرام.

والغالب على أمر المطيع والقيم بتدبير الحضرة إلى هذا الوقت أحمد بن بويه الديلمي، المسمى بمعز الدولة وكتابه وزالت أكثر رسوم الخلافة، والوزارة في وقتنا هذا، وهو سنة 345 على ما ينمى إلينا من أخبارهم ويتصل بنا من أحوالهم، لطول غيبتنا عن العراق، ومقامنا بأرض مصر والشأم قال المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي: ولم نعرض لوصف أخلاق المتقي والمستكفي والمطيع ومذاهبهم، إذ كانوا كالمولى عليهم، لا أمر ينفذ لهم.

أما ما نأى عنهم من البلدان، فتغلب على أكثرها المتغلبون، واستظهروا بكثرة الرجال

والأموال، واقتصروا على مكاتبتهم بأمرة المؤمنين والدعاء لهم وأما بالحضرة، فتفرد بالأمور غيرهم، فصاروا مقهورين خائفين، قد قنعوا باسم الخلافة، ورضوا بالسلامة.

وما أشبه أمور الناس بالوقت إلا بما كانت عليه ملوك الطوائف بعد قتل الإسكندر بن فيلبّس الملك داريوش وهو دارا بن دارا ملك بابل إلى ظهور أردشير بن بابك الملك كل قد غلب على صقعه، يحامي عنه ويطلب الازدياد إليه، مع قلة العمارة، وانقطاع السبل، وخراب كثير من البلاد، وذهاب الأطراف، وغلبة الروم وغيرهم من الممالك على كثير من ثغور الإسلام ومدنه وقد أتينا على شرح جميع ما ذكرنا في هذا الكتاب وإيضاحه وأخبار من ذكرنا والغرر من أيامهم وما كان من الكوائن والهرج والأحداث في أعصارهم، وغير ذلك من أخبار الشرق والغرب، والشمال والجنوب، وما كان فيها من الفتن والحروب في كتابنا في أخبار الزمان، ومن أباده الحدثان من الأمم الماضية، والأجيال الخالية، والممالك الداثرة، وفيما تلاه من الكتاب الأوسط، وفي كتاب مروج الذهب، ومعادن الجوهر وفي كتاب فنون المعارف، وما جرى في الدهور السوالف وفي كتاب ذخائر العلوم، وما جرى في سالف الدهور وفي نظم الجواهر، في تدبير الممالك والعساكر وفي كتاب الاستذكار، لما جرى في سالف الأعصار الذي كتابنا هذا تال له ومبني عليه. وغيرها من كتبنا.

وأودعنا كتابنا هذا لمعاً من ذلك، استذكاراً لما تقدم من كتبنا منبهين على ما سلف من تصنيفنا.

وقد كان سلف لنا قبل تقرير هذه النسخة نسخة على الشطر منها، وذلك في سنة 344، ثم زدنا فيها ما رأينا زيادته، وكمال الفائدة به، فالمعول من هذا الكتاب على هذه النسخة دون المتقدمة

وكان فراغ علي بن الحسين بن علي المسعودي من تأليف هذا الكتاب بفسطاط مصر سنة 345 للهجرة في خلافة المطيع. والملك على الروم قسطنطين ابن لاون بن بسيل، وهي سنة 1702 لبختنصر، وسنة 1268 للإسكندر بن فيلبس الرومي، وسنة 673 لأردشير

بن بابك، وسنة 324 ليزدجرد بن شهريار بن كسرى أبرويز، آخر ملوك فارس والله ولي التوفيق.